القسم الأول

الشعر

أولاً: مختارات من الشعر الجاهلي

١- امرؤ القيس

٢-الشنفرى

٣-تأبط شرًا

٤-حاتم الطائي

٥-لبيد

٦-الخنساء

امرؤ القيس بن حجر الكندي

هو امرؤ القيس بن حجر الكندي ولد في أوائل القرن السادس في نجد، ونشأ في قبيلة كندة وهي أسرة ملوك كأسرتي الغساسنة والمناذرة ، تولت الحكم على بني وائل .وكان حجر -والد الشاعر- ملكًا على بني أسد يجمع الأتاوى منهم ، ويتعسف بهم ويغلظ عليهم ، وهم يتربصون به ، حتى تصدع ملك أبيه الحارث إثر خلع أنوشروان له ، فثاروا عليه وغدروا به .

وكان حجر قد خلع ابنه امرأ القيس لمجونه وتهتكه وتشبيبه بنساء القبيلة وتصديه لهن ، فهام على وجهه مع جماعة من الخلعاء والصعاليك ، فإذا وقعوا على ماء ، أقاموا عليه، يصطادون أو ينحرون ويشتوون ويحتسون الخمرة ، ولا يلوون على شيء.

قطعة من معلقة امرئ القيس

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ، أرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ ، بِأنْواعِ الهُمُومِ ، لِيَبْتَلِي[1]

فَقُلْتُ لَهُ، لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأردَفَ أعجَازاً ، وَنَاءَ بِكَلْكَلِ[2]

ألا أيُّهَا اللَّيلُ الطَّويلُ، ألا انْجَلِي بِصُبْحٍ، وما الإصبَاحُ مِنكَ بِأمْثَلِ[3]

فَيَا لَكَ مِن لَيلٍ، كَأنَّ نُجُومَهُ بِأمْرَاسِ كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ[4]

وَقَد أغْتَدي، وَالطَّيرُ في وُكُنَاتِهَا بِمُنْجرِدٍ ، قَيدِ الأوابِدِ ، هَيكَلِ[5]

---

(١) وَلَيل: أي: ورُبَّ ليلٍ. سُدول: أستار. ليبتلي: أي ليبتليني وليختبر أمرى.

شبه الليل بموج البحر لهوله وطوله، وضمن ذلك تشبيهه بخيمة هائلة لها سدول وأستار قد أطبقت عليه بأنواع من الهموم.

(٢) تَمَطَّى: تمدد. الصُّلْب: عظام الظهر. أرْدَف: أتبع. أعْجَاز: جمع عجز، مؤخر كل شيء. نَاء: أي نأى. الكَلْكَل: الصدر.

استعار لليل صورة الجمل المترامي على الأرض، وقد ذكر الصلب والتمطي والكلكل، ليرسم صورة عجيبة لحركة الليل البطيئة الثقيلة.

(٣) الأمْثَل: الأفضل.

قلت لليل: هلا تكشفت عن صبح منير، ولكن الصبح ليس بأفضل منك. فالشاعر متشائم من الليل والصباح جميعاً، يائس من الحياة بكل وجوهها ومظاهرها.

(٤) المَرَس: الحبل. الجَنْدل: الصخرة الكبيرة.

يخاطب الليل ويعجب من تطاوله، حتى ليخيل إليه أن نجومه أوثقت بحبال إلى الصخور الصلبة.

(٥) أغتَدي: أذهب باكراً. وُكْنَة الطير: عشه. الأوَابِد: الوحوش. المُنْجَرد: الفرس القصير الشَّعر. الهَيْكل: الضخم.

وقد أباكر الصيد، قبل نهوض الطير من أعشاشها، بفرس قصير الشعر، سريع العدو حتى أنه يدرك الأوابد، ويلتف عليها.

مِكَرٍّ ، مِفَرٍّ ، مُقْبِلٍ ، مُدبِرٍ معًا ... كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ (١)

كُمَيتٍ يَزِلُّ اللبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ ... كَمَا زَلَّتِ الصَّفْواءُ بِالْمُتَنَزِّلِ (٢)

عَلَى الذَّبْلِ جَيَّاشٍ ، كَأَنَّ اهتِزَامَهُ ... إذا جَاشَ فيه حَمِيُّه غَلْيُ مِرْجَلِ (٣)

مِسَحٍّ ،إذا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الوَنَى ... أَثَرْنَ الغُبَارَ بِالكَدِيدِ المُرَكَّلِ (٤)

يُزِلُّ الغُلامَ الخِفَّ عَنْ صَهَوَاتِهِ ... وَيَلْوِي بِأَثْوَابِ العَنِيفِ المُثَقَّلِ (٥)

دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الوَلِيدِ أمَرَّهُ ... تَتَابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ (٦)

---

(١) مكَرّ: اسم مبالغة من الكر، مِفر: اسم مبالغة من الفر، الجلْمود: الحجر العظيم. من عَلِ: من فوق.

يصور في الشطر الأول قوة فرسه واندفاعه وسرعته معًا، بحيث يجمع الحركات المتضادة في لحظة واحدة مما يزيد من جمال المقابلة في هذا البيت.

(٢) كُمَيت: الفرس ذو سواد وحمرة. اللبد: ما يوضع تحت السرج. الحال: مقعد الفارس من ظهر الفرس. المتَنَزّل: النازل، صفة لاسم محذوف هو المطر المترلق بسرعة شديدة فوق الصفواء وهي الصخرة الملساء.

(٣) الذَّبْل: الضمور. جَيَّاش: يغلي غلياناً. الاهتزام: صوت حري الفرس. حَمي: الحرارة. المِرْجَل: القدر.

إن هذا الفرس بالرغم من ضموره تغلى عزيمتُه غليان القدر.

(٤) مِسَحّ: اسم مبالغة من السّح: الصّب والدفع. السّابح: الفرس الذي يمد يديه في العدو، كأنه يسبح. الوَنَى: الفتور. المدَيد: الأرض الصلبة. المُركّل: الذي يركل بالأرجل.

وفي البيت تصوير لقوة هذا الفرس وثباته فهو يجري في لين ويسر كما يسح السحاب وينصب في حالة ظهور الوني والفتور على الخيل حيث تثير الغبار بركلها بأرجلها في الأرض الصلبة الشديدة.

(٥) الخف: الخفيف. الصَّهوة: مقعد الفارس من ظهر الفرس. ألْوى: رمى. العنيف: الثقيل الركوب.

إن هذا الفرس يسقط الفارس الغرّ عن صهوته، ويترع ثوب الفارس الماهر.

(٦) الدّرير: السَّريع. الخُذْرُوف: لعبة يلهو بها الصبية، يجذبونها بخيط، فتدور على ذاتها. أمرَّه: أحكم فتله.

يكرر وصفه لسرعة الفرس، فيشبهها بسرعة دوران خذروف الوليد، كما كان قد شبهها بانهمار الصخر في السيل.

لَهُ أَيْطَـــلا ظَـــبيٍ ، وَسَـــاقا نَعامَـــةٍ وَإِرخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَتْفُـــلِ [1]

ضَلِيعٍ، إِذَا اســـتَدْبَرْتَهُ سَـــدّ فَرْجَـــهُ بِضَافٍ فُوَيْقَ الأَرْضِ، لَيْسَ بِـــأَعزَلِ [2]

كَأَنَّ عَلَى المَتْنَيْـــنِ مِنـــهُ، إِذَا انْتَحَـــى مَدَاكَ عَرُوسٍ، أَوْ صَلايَةَ حَنْظَـــلِ [3]

كَـــأَنَّ دِمَـــاءَ الهَادِيَـــاتِ بِنَحْـــرِهِ عُصَارَةُ حِنَّاءٍ بِشَـــيبٍ مُرَجَّـــلِ [4]

---

(١) أَيْطَل: خاصرة. إرخاء: شدة عدو الذئب. تقْريب: رفع الرجلين معاً ووضعهما موضـــع اليديـــن التَّتْفُل: ولد الثعلب.

ينتقل في هذا البيت من وصف خاصرتيه وساقيه إلى وصف طريقة عدوه. ففيه من الظبي خاصرتـــه. ومن النعامة ساقها، أما عدوه فيشبه الذئب في إرخائه، وروليد الثعلب في تقريبه.

(٢) الضليع: العظيم الأضلاع. الاستِدبار: النظر إلى الشيء من مؤخرته. الفَرْج: الفضاء بـــين اليديـــز والرجلين. ضَافٍ: طويل، نعت للذنب. الأعْزَل: الذي يميل عظم ذنبه ويعوج.

إذا نظرت إلى هذا الفرس من مؤخرته، وجَدته عظيم الأضلاع، يسد ما بين ساقيه بذنب مســـتقيم. وتخصيصه لمدى تدلي الذنب بلفظة "فُوَيْق" وهي تصغير "فوق" يدل على عنايته بالدقائق والجزئيـــات والمحاكاة بين الواقع الشعري والواقع الحسي.

(٣) المَتْنَان: ما عن يمين الفقار وشماله. الانْتِحاء: الاعتماد. مداك: الحجر الذي يسحق عليه الطيـــب، أو الحجر الذي يكسر عليه الحنظل ويستخرج حبه. الصّلاية: الحجر الأملس الذي يسحق عليه.

شبه انمالاس ظهره واكتنازه باللحم بالحجر الذي تسحق العروس عليه الطيب، أو الحجـــر الـــذي يكسر عليه الحنظل، ويستخرج حبه.

(٤) الهَادِيَات: الطرائد التي تكون في المقدمة. المُرَجَّل: الشعر المسرح.

لقد تلطخ شعر نحره بدماء الهاديات، كأنه شعر مسرح أشيبُ صُبِغَ بعصارة الحناء، والمعـــنى يفيـــد الغلو بسرعة عدوه، إذا يدرك مقدمة الطرائد الهاربة ويقيدها، فإذا طعن راكبه، إحداها، صبغ نحـــره بدمائها، تدليلا على سرعته واقترابه من الطرائد.

فَعَنَّ لَنَـــا سِـــرْبٌ ،كَـــأنَّ نِعَاجَـــهُ عَـــذَارَى دَوَارٍ فِي مُـــلاءٍ مُذَيَّـــلِ[1]
فَـــأدبَرْنَ كَـــالجِزعِ المُفَصَّـــلِ بَيْنَـــهُ بِجيدٍ مُعَمٍّ فِي العَشِـــيرَةِ مُخْـــوَلِ[2]
فألحَقَنَـــا بالهَادِيَـــاتِ ، وَدُونَـــهُ جَوَاحِرُهَا فِي صَـــرَّةٍ ، لَم تُزَيَّـــلِ[3]
فَعَادَى عِدَاءً بَيْـــنَ ثَـــوْرٍ وَ نَعْجَـــةٍ دِرَاكاً ، وَ لَم يَنْضَحْ بِمَـــاءٍ فَيُغْسَـــلِ[4]
فَظَلَّ طُهَاةُ اللَّحْمِ من بَـــينِ مُنْضِـــجٍ صَفِيفَ شِوَاءٍ ، أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّـــلِ[5]
وَرُحْنَا يَكَادُ الطَّرْفُ يقصُـــرُ دُونَـــهُ مَتَى مَا تَرَقَّ العَيْـــنُ فِيـــهِ تَسَـــفَّلِ[6]

---

(١) عَنَّ: ظهر، وعرض. السِّرب: القطيع وهنا من البقر الوحشي. نعَاجه: إناثه. الـــدَّوار: حجركـــان الجاهليون يطوفون به، كما يطاف اليوم بالكعبة. مُلاء: جمع ملاءة، الملحفة. المُذيل: الطويل الذيل.
خرجنا إلى الصيد، فظهر علينا قطيع من البقر الوحشي، تشبه إناثه، بطول أذنابها وتدلى شـــعرها، عذاري يطفن حول دوار بثياب متهدلة. والتشبيه ينطوي على بعد في التقاط الشبه بـــين القطيـــع والعذارى. وهو لا يقوم على الدقة البصرية بل على المشاركة الوجدانية.

(٢) الجِزعُ: الخرز اليماني . الجيد: العنق. المُعم والمخول: الكريم الأعمام والأخوال.
وقد بدت تلك النعاج، باختلاف ألوانها وتعددها، كقلادة من الخرز اليماني في عنق فـــتى ســـري، شريف. وهذا التشبيه، ينطوي، أيضا، على تفصيل في خصائص المشبه لغاية التدقيق، إلا أن المشـــبَّه به يتضاءل عن المشبَّه في الدلالة والتعريف، بخلاف التشبيه السابق.

(٣) الجَوَاحِر: المُتخلفة. الصَّرّة: الجماعة. التَزَيُّل: التفوق.
يعود الشاعر لوصف سرعة عدو الفرس، يصورها من خلال المشاهد الواقعية، فهو قد أدرك طلائـــع القطيع السريعة العدو، وأبقى من دونه الأبقار المتخلفة، مجتمعة في صَرة، وقبل أن تتفرق.

(٤) عَادى: والى الرَكض. الدرَاك: المتابعة. النَضُوح بالماء: أي التَفَرّز بالعرق. يجمع الشـــاعر للفـــرس شدة الثبات والقوة الفائقة، فقد توالى على العدو من بقرة إلى أخرى، دون أن يتصبب عرقُـــه، أي دون أن تظهر عليه أمارات التعبّ والإنهاك. والمعنى تكرار لمعان سابقة وشرح وتفصيل لها.

(٥)الصَفِيف: اللحم المُصَفَّف، المعد للشواء. القَدير: المطبوخ في القدر. المُعَجّل: المطبوخ على عجلة.
يصف الشاعر طهيهم وشيهم للحم الطريدة، مثيراً حوا من الغلو والحركة بتعداد أنواع اللحم الذي أكلوه.

(٦) تَرَقَ وتَسَفَّلُ: وضعا موضع ترقي وتسفل، أي ترتفع وتنخفض.
يقول: عدنا من صيدنا، ونحن نرنو إلى ذلك الفرس إعجاباً، نكاد لا نحدق بأعلاه، حتى ننظـــر إلى أسفله، فكان جماله يروع أبصارنا.

الشنفرى

هو ثابت بن أوس الأزدي ، الملقب بالشنفرى، و لم يعرف تاريخ ولادته، وقيل في نشأته آراء مختلفة وروايات متباينة، ولكن ثمة إجماع على القول : بأنه عاش ونشأ بين بني سلامان من بني فهم الذين أسروه ، وهو طفل صغير، فلما شب عرف بقصة أسره، فحلف أن يقتل منهم مائة رجل . ولقد اشتهر عن الشنفرى-مع زملائه ، كتأبط شرًّا، وعمرو بن براقة-أنه كان من أشهر عَدَّائي الصعاليك ، وأكثرهم جرأة ، وأشدهم دهاء . وقد عاش مع إخوانه تارة ، ومنفردًا تارة أخرى في البراري والجبال والمفازات البعيدة ، يغزو على قدميه مرة ، وعلى فرسه مرة أخرى ، ويهاجم أضعاف عدده من الناس ويسلبهم. وقد مات مقتولا على يد أحد أفراد القبيلة التي انتقم منها ، وقتل تسعة وتسعين من رجالها، وأما القتيل المائة ، فقيل : إنه بعد أن مات الشنفرى ، رفسه هذا الرجل على جمجمته ، فدخلت شظية في قدمه وقتلته .

يتقدم الشنفرى شعراء الصعاليك جميعًا ، بفضل شهرة قصيدته المطوّلة المعروفة باسم لامية العرب. وإذا كانت كتب الأدب قد نقلت لنا قصائد ومقطوعات أخرى ، نسبت إليه، فإن لامية العرب تظل هي المتفوقة ، ليس من حيث طولها فحسب ، ولكن من حيث بروز الخصائص الفنية واللغوية الممتازة التي شهرت الشنفرى ، وأعلت من قيمة شعر الصعاليك عامة.

لامية العرب

أقيموا بني أُمّي ، صُـــدورَ مَطِيِّكُـــمْ ... فإنّي إلى قـــومٍ سِـــوَاكُم لأمْيَـــلُ![1]

فَقَدْ حُمّت الحَاجَاتُ ، وَ اللّيْلُ مُقْمِـــر ... وشُدّتْ لِطيّات مَطَايَـــا وأرْحُـــلُ[2]

وفي الأرْضِ مَنأى ، لِلكَرِيم عن الأذَى ... وفيها لِمَنْ خَافَ القِلَـــى مُتَعَـــزّلُ[3]

لَعَمْرُكَ ، مَا بالأرْضِ ضيقٌ على امْـــرئ ... سَرَى رَاغِبًا أوْ رَاهِبا ، وَ هْوَ يَعقِـــلُ[4]

وَلِي دُونَكُم أهلُونَ : سِـــيْدٌ عَمَلّـــسٌ ... وأرْقَطُ زُهْلُولٌ ، وعَرْفاءُ جَيْـــأَلُ،[5]

هُمُ الأهْلُ، لا مستَودَعُ السِّـــر ذائـــعٌ ... لَدَيْهِمْ ، وَ لاَ الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ[6]

---

(١) المَطِيّ: ما يركب من الدواب. أقيمُوا: استعدوا للرحيل. أمْيَل: اسم تفضيل من مال.

يتمنى الشاعر أن يرتحل عنه أهله، وأن ينطلق هو إلى صحبة سواهم من وحوش البريـــة، أو زمـــلاء الصعلكة. وفي ذلك تشخيص واضح لموقف الشاعر الصعلوك من المجتمع.

(٢) حُمّتْ: قدرت وتهيأت. طيّات: جمع طيّة، ما تنطوي عليه النفس من حاجات وميول.

فلقد نضجت في النفس حاجاتها للسفر والترحال، كما أعِدّت عدّةُ السّفر، وخلال وقت مناســب، وهو الليل المقمر الكاشف للطّريق.

(٣) مَنْأى: المنزل البعيد. القلى: الكراهية والحقد. مُتَعَزّل: مكان التوحد والانعزال.

إن الشاعر المفجوع بأهله، ما زال يأمل بوجود منـــزل بعيد له، يلجأ إليه متفردًا، متوحدًا، ناجيـــا بكرامته من البغض والمُبْغضين.

(٤) سَرَى: مشى ليلا.

يقسم للتوكيد أن العالم ما زال متسعاً لكل مرتحل في غياهب الليل، لهدف في ذاتـــه، يـــوافي بـــه ويعقله. وبذلك يخطّ الشاعر الصعلوك قاعدة أساسية للمتوحد، هو إيمانه بذاته وقدرته على التفرد.

(٥) السِّيْد: الذئب. العَمَلّس: القوي على السير والجري. أرْقَطُ زُهْلُول: نمر أملس ويجوز الحيَّة (تذكـــر وتؤنث). عَرْفَاء: أي ذات عُرف. وجَيْأل: من أسماء الضبع، أي الضبع ذات العرف الطويل، وهـــو شعر أعلى العنق. إن الشاعر الصعلوك الذي هجر أهله، أدان الإنسانية كلها، واســـتعاض عنـــها بمصاحبة الوحوش في البراري. وليس ذلك إلا إمعانًا في العودة إلى أصل الحياة وبراءتها الأولى.

(٦) جَرّ: ارتكب جريرة أو إثما. إن رفقة الوحوش تغني عن النميمة والطعن من الخلف. وهي لا تخـــذُل صاحبها، إن أتى ما تأخذُه عليه الجماعةُ البشرية من إثْم أو جريرة. وفي ذلك يضع الشاعر نفســـه ضد المفهوم الجذري للأخلاق السائدة، إذ أنّ ما يُسميه المجتمعُ جريرة أو إثماً، قد لا يكـــون هـــو كذلك في نظر الشاعر الهائم خارج إطار هذه المجتمعات.

وَكُـلُّ أَبِـيٍّ بَاسِـلٍ غَـيْرَ أَنَّنِـي ... إِذا عَرَضَتْ أُولَـى الطَّرَائِـدِ أَبْسَـلُ[1]

وإن مُدَّت الأَيْدِي إلى الزَّادِ لَـمْ أَكُـنْ ... بِأَعْجَلِهِمْ إِذ أَجْشَعُ القَـومِ أَعْجَـلُ[2]

وَمَـا ذَاكَ إِلا بَسْـطَةٌ عَـنْ تَفَضُّـلٍ ... عَلَيهِم ، وَكانَ الأَفْضَـلَ المُتَفضِّـلُ![3]

وَإِنِي كَفَانِي فَقْدَ مَـنْ لَيْـسَ جَازِيًـا ... بِحُسْـنَى ، وَلا فِي قُرْبِـهِ مُتَعَلَّـلُ[4]

ثَلاثَـةُ أَصْحَـابٍ: فُـؤَادٌ مُشَـيَّعٌ ... وَأَبْيَضُ إِصْلِيتٌ ، وَصَفْـرَاءُ عَيْطَـلُ[5]

هَتُوفٌ، مِنَ المُلْـسِ المُتُـونِ ،يَزِينُـهَا ... رَصَائِعُ قَدْ نِيطَتْ إِلَيْـهَا وَمِحْمَـلُ[6]

إِذَا زَلَّ عَنها السَّـهمُ حَنَّـتْ كَأَنَّـهَا ... مُـرَزَّأَةٌ ثَكْلَـى ، تَـرِنُّ وَتُعْـوِلُ[7]

---

(١) أَبِيّ: صاحب الأنفة والعزة. بَاسل: شجاع. يعتز الشاعر بشجاعته، إذا واجه هدفاً أو طريدة صيد، أو طريدة عدوّ. فلابد أن تكون له الغَلَبَةُ عليها.

(٢) أَجْشَعَ: من الجشع، المحبّ النَّهم للطعام.

يتعفف الشاعر عن سلوك الجشع. وبذلك تبرز لدى الصعلوك صفة مدنية، هي أقرب إلى خصائص الفروسية الراقية منها إلى خصائص التشرد المبتذل.

(٣) البَسْطَة: السعة في العيش. التفضل: الإكرام.

إن ترفع الشاعر عن الجشع وسواه، ليس سوى مظهر من مظاهر غناه النفسي بالكرم، وغناه المادي بسعة العيش.

(٤) فَقْدَ: مفعول ثان (لكفاني) . المُتَعَلَّل: الشيء الذي يُمني الإنسانُ نفسه به لإلهائها.

(٥) ثَلاثَة: فاعل كفاني في البيت السابق.

يقول: إن ثلاثة أشياء تُغنيني عن فَقْد من لم ألقَ منهم خيراً، ومن ليس لي في صُحبتهم نفع ومُلتهى. والثلاثة هي: فؤاد مُشيَّع، أي قلب شجاع جسور، وأبيض إصْليت: أي سيف صقيل. وصَفراء عَيْطَل: أي قوس صفراء، طويلة العنق متينة.

(٦)هَتُوف: أي أن القوس ذات رنين يصدر عن وترها المشدود. المُلْس المُتُون: جوانبها. نيطَتْ بها: علقت بها. الرَّصَائع: ما تُرصّع به السيوف من جواهر وغيرها. المِحْمَل: ما يحمل به السَّيف أو القوس.

(٧) المرزأة: التي أصابها مصيبة.

يُشخص الشاعر القوس، ويُسقطُ عليها شعور الإنسان، فهي تُعْولُ وترنّ، إذا ما زل عنها السهم، كأنها أم ثكلت ولدًا لها. وفي هذه الصورة نزعة وجدانية ظاهرة، ومحاولة إحياء للقوس والسَّهم معًا.

وَلَسْتُ بِمِهْيافٍ ، يُعَشِّي سَوَامَهُ ... مُجَدَّعَةً سُقْبانُها ، وَهيَ بُهَّلُ[1]

وَلا جُبَإٍ أَكْهَى مُرِبٍّ بعِرْسِهِ ... يُطَالِعُهَا في شَأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ[2]

وَلا خَرِقٍ هَيْقٍ كَأَنَّ فُؤادَهُ ... يَظَلُّ بِهِ المُكَّاءُ يَعْلُو وَيَسْفُلُ[3]

وَلا خَالِفٍ دَارِيَّةٍ ، مُتَغَزِّلٍ ... يَرُوحُ وَ يَغْدُو دَاهِنًا يَتَكَحَّلُ[4]

وَلَسْتَ بِعَلٍّ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ ... أَلَفَّ إذا مَا رُعْتَهُ اهْتَاجَ أَعْزَلُ[5]

---

(١) مِهْيَاف: السريع الظمأ وسط النهار. يُعَشي سَوَامَه: يرعى إبله في العشاء، أي يتأخر في الرواح من المراعي. المُجَدَّعَة: السَّيئة الغذاء. السُّقْبَان: جمع سقب، صغير الناقة. البُهَّل: جمع باهل وباهلة، الناقة التي لا صرار على ضرعها، لمنع أولادها من الرضاعة.

يريد أنه متعفف فلا يشرب حليب نياقه، ويتأخر بالرواح حتى تعوض النياق عما شربه من لبنها وليس كالرعاة الآخرين الذين يمنعون صغار الإبل عن الرضاعة، ليحتفظوا بلبنها لهم. بل إنك ترى صغار إبلي سمينة، ليست سيئة الغذاء، لأن الأمهات لا صرار لها.

(٢) الجُبَأ: الجبان. الأكْهَى: سيئ الأخلاق. مُربّ: مقيم في مكان. العِرْس: الزوجة.

يصف الشاعر نفسه بأنه ليس رجلا جباناً قعيد منزله، لاحظًا عند زوجه، يشاورها في كل الأمور.

(٣) الخَرِق: المذهول من الذعر، أو الخجل: الخَيْق: الظليم، ذكر النعام. المُكَّاء: طائر. يمكو: يصفر كثيرًا. وهو كثير الخفوق بجناحيه.

لست كالظليم الذي سرعان ما يصاب بالخوف عند حدوث أية نأمة، فيرتعد فؤاده ويرتجف كأنه طائر خفوق الجناح، يعلو ويسفل باستمرار.

(٤) الخَالِف: الذي لا خير فيه، والقاعد خلف القوم عن الأعمال الكبيرة، والأحمق.

الدّرَايَة: الملتجيء إلى داره لا يبارحها. المُتَغَزل: المتشبب بالنساء.

ولست برجل قليل الخير، لا يفارق داره، يصبح ويمسي حالساً إلى النساء لمحادثتهن، وهو يدّهن ويكتحل كأنه منهن.

(٥) العَلّ: القرّاد، ذبابة الخيل، يستعار للرجل الصغير الجسم. أَلَفّ: العاجز الذي لا يقوم لحرب ولا لضيف. رَاعَه: أفزعه. إهْتَاجَ: تحير تَحَيُّرَ الأحمق.

لست برجل ضعيف الجسم والهمة، يعلو شره على خيره، لا يسعى في أمر حرب ولا ضيف، وهو حينما يخشى من شيء، يفر من أمامه كالأحمق، ويهاب حتى من حمل السلاح.

وَلَسْتُ بِمِحْيَارِ الظَّلام إِذا انْتَحَتْ ... هُدَى الهَوْجَلِ العِسِّيفِ يَهْمَاءُ هَوْجَلُ[1]

إذا الأَمْعَزُ الصَّوَّان لاقى مَنَاسِمِي ... تَطَايَرَ مِنْه قَادِحٌ ومُفَلَّلُ[2]

أُدِمُّ مِطَالَ الجُوعِ حَتَّى أُمِيتُهُ ... وأَضْرِبُ عنه الذِّكْرَ صَفْحًا، فأَذْهَلُ[3]

وأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرضِ كَيْ لا يَرَى لَهُ ... عَلَيَّ -مِنَ الطَّوْلِ- امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ[4]

وَلَوْلا اجْتِنَابُ الذَّأْمِ لَمْ يُلْفَ مَشْرَبٌ ... يُعَاشُ بِهِ إلا لَدَيَّ وَمَأْكَلُ[5]

وَلَكِنَّ نَفْسًا مُرَّةً لا تُقِيمُ بِي ... على الضَّيْمِ إلا رِيثَمَا أَتَحَوَّلُ[6]

وأَطْوِي عَلَى الخُمْصِ الحَوَايَا، كَمَا انْطَوَتْ ... خُيُوطَةُ مَارِيٍّ تُغَارُ وتُفْتَلُ[7]

---

(١) المِحْيَار: شديد الحيرة (كثير الارتباك). انتحَتْ: قصدت واعترضت. الهَوْجَل: الرجل المفرط الطول، الأحمق. اليَهْمَاء: البرية التي يتيه فيها المرء ولا يجد طريقه. الهَوْجَل الثانية: صفة للبرية، وفيها تجسيم؛ يعتبرها الشاعر تشبه الإنسان الشديد الطول، والتي يضلّ فيها المرء طريقه.

لا يربكني الظلام حتى في الفلوات البعيدة المخيفة التي يضلّ فيها الرجل الأحمق.

(٢) الأَمْعَز: المكان الصلب الكثير الحصى. الصّوان: صفة للمكان القاصي الذي يكثر فيه حجر الصوان. المَنَاسِم: جمع المنسم، خف البعير. القَادح: الذي يقدح نارًا. المُفَلَّل: المكسَّر.

يقول: لأنه يسير حافيا، فقد أصبح خفّ قَدمه صلباً كحافر الحصان قوة.

(٣) المطَال: مصدر ماطله، أي مده وسوّفه. أذْهَل: أنسى. أشاغل الجوع حتى يذهب عني وأنساه. وبذلك يصف الشاعر نفسه أنه قوي على رد رغبات نفسه.

(٤) سَفّ الدواء: أخذه بشكل مسحوق أو غير ملتوت أي غير ذائب في الماء ولا معجون. الطَّوْل: الفضل والمنّة. أتشردّ في البراري وأستف تراب الأرض، حتى لا أضطر إلى طلب منة من أحد.

(٥) الذَّأم: اللوم والذم.

يريد الشاعر أن يدفع عنه تهمة العجز، في الحصول على الطعام، بينما هو، في الواقع، إذا أراد، قادر على جمع أصناف المآكل والمشارب، شأنه في ذلك شأن الآخرين.

(٦) المُرّة: الأبيَّة. إن نفسي الأبية لا تصبر على ضَيْم حتى تدفعه عنها.

(٧) الخُمْص: الجوع. الحَوَايا: جمع حوية، ما يحوي البطن كالمعي وغيرها. الخُيُوطَة: جمع خيط، والتاء تدل على كثرة الجمع. مَارِيّ: بتشديد الياء: إزار الساقي من الصّوف المخطّط. أغَارَ الحَبْل: أحْكم فتله. أشد أمعائي على الجوع فأطويها، كما يطوي الفاتلُ خيوطا يفتلها ويُحْكم برمها.

وأَغْدُو عَلَى القُوتِ الزَّهِيدِ ، كَمَا غَدَا ... أَزَلُّ تَهَادَاهُ التَّنَائِفُ ، أَطْحَلُ[1]

غَدَا طَاوِيًا ، يُعَارِضُ الرِّيحَ، هَافِيًا ... يَخُوتُ بِأَذْنَابِ الشِّعَابِ، ويَعْسِلُ[2]

فَلَمَّا لَوَاهُ القُوتُ مِنْ حَيْثُ أَمَّهُ ... دَعَا، فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحَّلُ[3]

مُهَلْهَلَةٌ ، شِيبُ الوُجُوهِ كأَنَّمَا ... قِدَاحٌ بِكَفَّيْ يَاسِرٍ ، تَتَقَلْقَلُ[4]

أو الخَشْرَمُ المَبْعُوثُ حَنْحَثَ دَبْرَه ... مَحَابِيضُ أَرْدَاهُنَّ سَامٍ مُعَسِّلُ[5]

---

(١) الأزَلّ: الخفيف، القليل لحم الوركين، وهي صفة للذئب الخفيف، السريع. التنائف: التنوفة، الأرض القفراء، المفازة. تَهَاداهُ: توصله من مفازة إلى أخرى. الأطْحل: الذي لونه كلون الطحال، أو بين الغبرة والبياض. إنني أبكر بقوت قليل، أقنع به، وأعدو في طلبه عدْو الذئب الحرّ.

(٢) الطّاوي: الجائع. يُعارضُ الرّيح: يجري معها. الهَافي: فاعل من هفا، يعدو خفيفًا، يمينًا وشمالا، من شدة الجوع. يَخُوت: ينقضّ، يخطف. يقال: خات البازي إذا انقض على صيده. أذْنَابُ الشِّعاب: أواخرها، والشِّعَاب الطرق في الجبل. يَعْسل: يمشي خَبَبًا ويسرع.

تراني مثل هذا الذئب، إذ يقوم صباحًا، فيُسابق الريح ويعدو، ويرمي بنفسه في قعر الأودية، مُجِدًّا في سيره.

(٣) لَوَاه: دفعه وامتنع عليه. أمَّهُ: قصده. نُحَّل: ضعيفة من شدة الجوع.

لما امتنع عليه القوت من حيث طلبه، صاح، فأجابته ذئاب تشبهه، نَحُل جسمُها وضَمُر، لجوعها.

(٤) المُهَلْهَلَة: الخفيفة اللحم. شيبُ الوُجُوه: مبيضة. القِدَاح: جمع القدح، السهم قبل أن يُراش. اليَاسر: اللاعب بسهام الميسر. قَلْقَلَهَا: حركها.

هذه الذئاب دقيقة الجسم، مبيضة الوجوه، تشبه سهام الضارب بالقداح في الميسر، عندما يحركها بكفيه.

(٥) الخَشْرَمُ: رئيس النحل. المَبْعُوث: المنبعث للسير. حَنْحَثَ: حضّ. الدَّبْر: جماعة النحل. المَحَابيض: جمع محبض: عود يكون مع مشتار العسل يثير به النحل. أرْدَاهنّ: ثبّتهنّ ومكّنهن. سامٍ: اسم فاعل من السمو: المرتفع العالي. المُعَسِّل: طالب العسل.

هذه الذئاب تشبه قداح الميسر في ضمرها، أو تشبه رئيس نحل انبعث في السَّير، فحضت جماعته عيدانٌ، مكنها لها رَحُل معسل، رقي إلى موضع عال. وذلك أن من شأن النحل أن تعسل في الموضع الممتنع الصعب.

مُهرَّتــة ، فُــوهٌ ، كَــأنَّ شُــدُوقَها ... شُقُوقُ العِصِيِّ ، كَالِحَــاتٌ وَ بُسَّــلُ[1]

فَضَــجَّ، وَضَجَّــتْ، بِــالبَرَاحِ، كَأنَّــها ... وَ إيَّاه ، نُوْحٌ فــوق عَلياءَ ، ثُكَّــلُ[2]

وَ أغْضَى، وأغْضَتْ، واتَّسى وَاتَّسَتْ بِــهِ ... مَرَامِيــلُ عَزَّاهــا ، وَعَزَّتْــهُ مُرْمِــلُ[3]

شَكَا وشَكَتْ ، ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدُ وارعَــوَتْ ... وللصَّبْرُ، إنْ لَمْ يَنْفَعِ الشَّــكْوُ أجْمَــلُ[4]

وَفَــاءَ وَفَــاءتْ بَــادِرات ، وَكُلُّــها ... عَلَى نَكَــظٍ مِمَّــا يُكَــاتِمُ، مُجْمِــلُ[5]

وَتَشْرَبُ أسآري القَطَا الكُــدْرُ، بَعْدَمَــا ... سَرَتْ قَرَبــاً ، أحْنَاؤُهــا تَتَصلصَــلُ[6]

هَمَمْتُ وهَمَّتْ ، وابتَدَرنا ، وأسْــدلَتْ ... وَشَمَّــرَ مِنِّــي فَــارِطٌ مُتَمَــهِّلُ[7]

---

(١) مُهَرَّتة: مشقرقة الفم. فرد: جمع أفراد، كبير الفم. الشدوُق: جمع شدق، طرف الفم. كَالِحَــات: عابسات. بُسل: جمع باسل، كرية المنظر غاضب.

هذه الذئاب فاغرة أفواهها، كأن أطرافها المشققة تشبه شقوق العصي، كالحات الوجوه، قبيحة.

(٢) البَرَاح: أرض جرداء. النُّوَّح: جمع نائحة، الباكية.

في الصحراء حيث تنعدم الخضرة، تعُول الذئاب وتتجمع، كما تجتمع المعولات من النساء، علــى ظهور الروابي، حين يفقدن أبناءهن.

(٣) أغْضَىَ: سكت. اتَّسىَ: امتثل واقتدى. المراميل: جمع مرملة، الفاقدة غذاءها.

يريد أنه لما يئس من الطعام، امتنع عن الصّياح وتبعتْه الذئاب الأخرى وتعزَّت به عن فقد القوت.

(٤) إرْعَوى: سكت. حين شكا الذئب شكت معه الذئاب الأخرى، وحين كف عن الشكوى كفــت معه، وحتى لو نفعت الشكوى فالصبر أفضل منها، لأنه من صفات النفس الأبية المتجلدة.

(٥) فَاء: رجع. بَادرَات: مسرعات. النَّكَظ: الجوع الشديد. المُجْمِل: الصابر على مضض.

لما يئست الذئاب من الطعام، عادت متجلدة، برغم الجوع الذي لا تظهره.

(٦) الأسْآر: جمع سُؤر وهو بقية الشراب في قعر الإناء. والقَرَب طلب الماء ليلا، وليلة القرب هي الــتي ترد الطير الماء في صبيحتها. الأحْنَاء: جمع حنو: الجانب. تَتَصَلْصَل: تصدر صوتاً..

يريد أنه يسبق القطا في عدوته، حتى أنها تشرب من فضْلته.

(٧) أسْدَل: أرخى. الفَارط: متقدم القوم إلى الماء.

هَمَمْتُ والقطا في التسابق نحو الماء، لكنني خلفْتها ورائي، بالرغم من أنني مهلت في السير، وعبارة وشمر مني فارط، تعني: (تقدمت مشمرًا لأغرف من الماء).

فَوَلَّيْتُ عَنْـــهَا ، وَ هْـــيَ تَكْبُـــو لِعَقْـــرِهِ يُبَاشِـــرُه مِنْـــهَا ذُقُـــونٌ وَحَوْصَـــلُ[1]
كَـــأَنَّ وَغَاهَـــا حَجْرَتَيْـــــهِ وَحَوْلَـــــهُ أَضَامِيمُ مِـــــنْ سَـــفْرِ القَبَـــائِلِ نُـــزَّلُ[2]
تَوَافَيْـــنَ مِـــنْ شَـــتَّى إِليـــهِ ، فَضَمَّـــهَا كَمَا ضَـــمَّ أَ ذْوَادَ الأَصَـــارِيمِ مَنْـــهَلُ[3]
فَعَبَّتْ غِشَاشًـــا ، ثُـــمَّ مَـــرَّتْ كَأَنَّـــهَا مَعَ الصُّبْحِ رَكْبٌ من أُحَاظَـــةَ مُجْفِـــلُ[4]

وآلَـــفُ وَجْـــهَ الأَرْضِ عِنْـــدَ افْتِرَاشِـــهَا بِـــأَهْدَأَ تُنْبِيـــهِ سَنَاسِـــــنُ قُحَّـــــلُ[5]
وَأَعْـــدِلُ مَنْحُوضًـــا كَـــأَنَّ فُصُوصَـــهُ كِعَابٌ دَحَاهَا لاعِـــبٌ ، فَـــهْيَ مُثَّـــلُ[6]

---

(١) تكْبُوُ: تتساقط. العَقْر: مكان الساقي من الحوض. أو مؤخر الحوض.

وردت الماء وابتعدت عن القطا، وهي لا تزال تتساقط منهكة نحو العَقْر، وتشرب بنهم لشدة عطشها، حتى ابتلت حناكُها وانغمست حواصلها في الماء، ويقصد بهذا أنه أقوى وأجلد على تحمل المشاق من القطا.

(٢) الوَغَى: الضوضاء. الحَجْرة: الجانب. الأضَاميم: جمع اضمامة، وهي جماعة القوم ينضم بعضهم إلى بعض في السفر. إن الجلبة والأصوات التي تحدثها القطا، وهي في طريقها إلى الورد، تشبه أصوات الأقوام من المسافرين الذين حطوا رحالهم بعد مشقة السفر.

(٣) شَتَّى: الطرق المختلفة. الأذْوَاد: جمع ذود، وهو ما بين الثلاث إلى العشر من الإبل. الأصَاريم: جمع صرم، جمع من الإبل. تواردت جموع القطا من طرق مختلفة، فجمعها مورد الماء، كما تجتمع إبل أحياء العرب عند الحوض.

(٤) عَبَّتْ غِشَاشًا: شربت على عجل. أحَاظة: حد قبيلة من حمير. يقول: إن هذه القطا شربت على عجل، وطارت كأنها رهط من بني أحاظة، يسافر مجفلا في باكورة الصباح.

(٥) الأهْدَأ: شديد الثبات، وهو نعت لمنعوت محذوف تقديره منكب أو ظهر. السَّنَاسن: جمع سنسن مغارز رؤوس الأضلاع. تُنْبيه: ترفعه. قُحَّل: جمع قاحل، يابس.

إذا افترشتُ الأرض، أفترشُها شديد الثبات، قوي العزيمة، أنام على ظهر صلب ترفعه عن الأرض حروف فقار يابسة ليس عليها لحم. يريد أنه نحيل، ولكن عظامه شديدة.

(٦) أعْدل: أترسد. مَنْحُوضًا: قليل اللحم. الفُصوص: فواصل العظام. دَحَاها: بَسطَها. المُثَّـل: جمع ماثل، منتصب أو قائم.

إذا ما انبسطتُ على الأرض، فإنني أترسد ذراعاً قليلة اللحم، كأن فواصل عظامها كعاب يلعب بها اللاعب، فهي منتصبة حادة.

فَإِنْ تَبتَئِسْ بالشَّنْفَرَى أُمُّ قَسْطَلٍ ... لَما اغْتَبَطَتْ بالشَّنْفَرى قَبْلُ أَطْوَلُ![1]

طَرِيدُ جِنَايَاتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَهُ ... عَقِيرَتُهُ لأَيِّهِا حُمَّ أَوَّلُ[2]

تَنَامُ إِذَا مَا نَامَ ، يَقْظَى عُيُونُها ... حِثَاثاً إِلى مَكْرُوهِهِ تَتَغَلْغَلُ[3]

وإِلْفُ هُمُومٍ مَا تَزَال تَعُودُهُ ... عِيَاداً، كَحُمَّى الرِّبْعِ، أَوْ هِيَ أَثْقَلُ[4]

إِذا وَرَدَتْ أَصدَرْتُهَا ، ثُمَّ إِنَّها ... تَثُوبُ ، فَتَأْتِي مِنْ تُحَيْتُ وَ مِنْ عَلُ[5]

فَإِمَّا تَرَيْنِي كَابْنَةِ الرَّمْلِ ، ضَاحِيًا ... عَلَى رِقَّةٍ أَحْفَى ولا أَتَنَعَّلُ[6]

---

(١) تَبتئس: تحزن للفراق. القَسْطَل: غبار الحرب.

إن بكت الحرب على مفارقة الشنفرى، الآن، لها، فطالما اغتبطت وسرتْ به من قبل، أي أنه طالما واقعها وأبلى فيها البلاء الحسن.

(٢) الطَّريد: الهارب الملاحق. عَقيرتُه: نفسه: تَيَاسرَ: اقتسم. حُمّ: قدر.

أصبح طريد جنايات كثيرة ارتكبها، تتقاسم لحمه، ولا يدري أية جناية أو ثأر سوف تستل منه روحه، قبل غيرها. أى لكثرة ما ارتكب من الجنايات، فإنه لا يدري بأيها يُطالب بالثأر منه يوماً.

(٣) فلقد تنام عيونه، وأما الثارات التي تلاحقه، فإنها لا تهدأ، بل تظل تحث الخطى وراءه، حتى يعثر عليه بعضُ أصحابها، فتكون نهايته. أى أن هموم جناياته لا تزال تلاحقه ولا تنام عنه.

(٤) تَعُودُه: تزوره، حمى الربع: ضرب من البرداء الدورية التي تعاود المريض مرة كل ثلاثة أيام، فكأنها تظهر في اليوم الرابع.

يقول: إن الهموم قد ألفته، فأصبحت تزوره كحمى الربع، أو لعلها أصعب منها.

(٥) تُحَيْت: تصغير تحت.

إذا حضرت هذه الهموم أردها، لكنها تعود ثانية، فتحدق بي من كل جانب. وفي هذا البيت تمثيل للمعنى بالصورة المستمدة من البيئة في الإبل التي ترد الماء وتصدر عنه، وقد قرن بها همومه، وجعلها كقطيع يحدق به.

(٦) ابْنَةُ الرَّمْل: الأفعى. الضّاحي: البارز للحر والبرد. الرّقة: سوء العيش.

يشبه نفسه بالأفعى التي تنسل بجلدها عارية، في الحر والبرد.

فَـإنِ لَمَـولى الصَّـبْر ، أَحْتَـابُ بَـزَّه ... عَلَى مِثْل قَلْبِ السِّمْع، وَالْحَزْمَ أَنعَـلُ[1]

وأُعْـدِمُ أَحْيَانـاً ، وأَغْنَـى ، وإنَّمَـا ... يَنَـالُ الغِـنى ذُو البُعْـدَة المُتبَـذِّلُ[2]

فَـلا جَـزِعٌ مِـنْ خَلَّـةٍ مُتكَشِّـفٌ ... وَلا مَـرِحٌ ، تَحْـتَ الغِـنى أَتَخَيَّـلُ[3]

ولا تَزْدَهي الأَجْـهَالُ حِلْمِـي، وَلا أُرَى ... سَـؤُولاً بأعقَـابِ الأَقَـاوِيل أُنْمِـلُ[4]

وَلَيْلَةِ نَحْسٍ ، يَصْطَلـي القَـوْسَ رِبهَـا ... وأَقْطُعـه الـلاتي بِـهَا يَتَنَبَّـلُ[5]

دَعَسْتُ عَلَى غَطْشٍ وَبَغْـشٍ، وصُحْبَـتِي ... سُـعَارٌ، وإرْزِيـزٌ، ووَجْـرٌ، وأَفْكَـلُ[6]

فَـأَيَّمْتُ نِسـواناً ، وأَيْتَمْـتُ وِلـدَةً ... وَعُدْتُ كَمَا أَبْـدَأْتُ، وَاللَّيـلُ أَلْيَـلُ[7]

---

(١) مَوْلى الصَّبْر: وليه . أحْتَاب: ألبس، وأكتسي. السمع: ولد الذئب.

يخاطب في البيتين ابنة الحي: فيقول: إن رأيتني أبرز للأنواء على رقة حال، حافي الرجلين، فأنا مع ذلك حليف الصبر، ألبس ثوبه بقلب الذئب الشجاع، جاعلا من الحزم نعلا لي.

(٢) أعْدم: أفتقر. ذُو البعدة: صاحب الهمة. المُتَبَذل: من يجود بنفسه.

افتقر أحياناً وأغتني أحياناً أخرى. ولا ينال الغني، إلا من كان بعيد الهمة مُجازفاً مخاطراً بنفسه.

(٣) الخَلَّة: الحاجة. المتكشف: المظهر فقره وحاجته للناس. المُتَخيل: المحتال المرح النشيط.

لا أخاف من الفقر، ولا أكشف حاجتي للناس، إن كنت فقيراً، وإن اغتنيت لا يبطرني الغني.

(٤) تَزْدَهي: تستخف. الأجْهَال: جمع جهل وهذا الجمع لا يستعمل. الأعقَاب: جمع عقب، المؤخر: أنْمل: من أنْمل: نم غيبة.

لا يستخفني الجهلُ أو الأهواء، ولا أسأل عن عيوب الناس،ولا أنقل الأقاويل وأنم بها من وراء ظهورهم.

(٥) الأقْطع: جمع قطع، نصل قصير عريض السهم. تَنبله: اتخذه نَبْلا.

(٦) الغَطْش: الظلمة. البَغْش: المطر الخفيف. السعار: حَرّ يجده الإنسان في جوفه من شدة الجوع. الإرزيز: البرد. الوَجْر: الخوف. الأفْكَل: الرعدة.

يقول في البيتين: كم من ليلة شديدة البرد، يلقى في النار صاحبُ القوس بقوسه ونبله، فيستدفئ بها، سريت أنا داخلا في ظلمة ومطر، يصحبني جوع شديد وبرد وخوف ورعدة.

(٧) أيَّمْتُ نسوانا: تركتهن أيامى: جمع أيم: الأرملة. اللَّيْلُ الألْيلُ: الشديد الظلمة.

يمثل في هذا البيت شدة بطشه وسرعة عدوه ويقول: إنه يغزو، فيخلف إثره الأيامي واليتامي، وينجو بنفسه، قبل أن يفاجئه الصباح.

وَأصبَحَ عنّي بالغميصَاءِ جَالِسًا ... فَرِيقَانِ : مَسْؤول ،وَآخرُ يَسأَلُ[1]

فَقَالُوا :لَقَدْ هَرَّتْ بليلٍ كِلابُنَا ... فَقُلْنَا:أَذئبٌ عَسَّ؟أم عَسَّ فُرْعُلُ؟[2]

فَلَمْ تَكُ إلا نَبأَةٌ ، ثُمَّ هَوَّمَتْ ... فَقُلنَا قَطَاةٌ رِيعَ، أَمْ رِيعَ أَجْدَلُ؟[3]

فَإنْ يَكُ مِنْ جِنٍّ لأبْرَحُ طَارِقًا ... وَإنْ يَكُ إنْسًا ماكَهَا الإنْسُ تَفْعَلُ![4]

وَيَوْمٍ مِنَ الشِّعْرَى، يَذُوبُ لُعَابُه ... أَفَاعِيهِ فِي رَمْضَائِهِ تَتَمَلْمَلُ[5]

نَصبْتُ لَه وَجْهِي ،وَلا كِنَّ دُونَه ... وَلا سِتْرَ إلا الأُتْحُمِيُّ المُرَعْبَلُ[6]

وَضَافٍ، إذَا هَبَّتْ لَهُ الرِّيحُ طَيَّرَتْ ... لَبَائِدَ عَنْ أَعْطَافِهِ مَا تَرَجَّلُ[7]

---

(١) الغُمَيْصَاء: مكان قرب مكة أوقع فيه خالد بن الوليد ببني حزيمة. جالساً: قد يكون معناه قاصد بلاد (الجلس) وهي نجد، أو بمعنى قاعد في المجلس.

(٢) هَرَّتْ: نبحت. عَسَّ: طاف ودار. الفُرْعُل: ولد الضبع.

بعد أن أغَرْت على الغميصاء ليلا، احتمع فيها فريقان عند الصباح، فسألت فئة الأخرى، قائلة لقد سمعنا في هذا الليل كلابنا تنبح، فقلنا هل طاف بالحي ذئب أو ضبع؟

(٣) النَّبْأَة: الصوت. هَوَّمَتْ: نامت. ريع: أفزع. الأجْدَل: الصقر. لكن لم يصدر إلا صوت ثم هدأ فقلنا: أهذه قطاة أفزعت، أو صقر من الصقور التي يربونها، أخيف وروع.

(٤) ولما رأوا -عند الصباح- ما أوقعت فيهم من القتل والنهب، قال أهل الغميصاء: إن كان هذا الطارق من الجن، فإنه قد أساء كثيرًا. وإن كان إنسًا، لا يستطيع الإنسُ أن يفعلوا ما فعله بنا.

(٥) الشِّعْرَى: كوكب في الجوزاء يظهر في ليالي الحر. اللُّعاب: ما تراه أمام ناظريك أيام الحر، وهو يشبه نسيج العنكبوت. والرمضاء: الأرض الحارة.

(٦) الكِنّ: الستر. الأُتْحُميّ: ضرب من البرود. المُرعبل: المتمزق.

يقول في البيتين: ورب يوم من الأيام التي تطلع فيه الشِّعْرى، وكان قد اشتد فيه الحر، وسارت على الأرض هبرات النار، حتى الأفاعي لا تكاد تستقر على رمضائه لشدة الحرارة، كنت أنا في هذا اليوم، أنصب وجهي لأشعة الشمس لا يسترني عنها ستر، ولا وقاية إلا برد خلق.

(٧)الضّافي: الشعر المسترسل. اللبائد: جمع لبيدة ما تلبد من شعره. الأعْطَاف: الجوانب. رَجَّلَ الشعْر: سرّحه لا يستر وجهي إلا ثوب بال. وشعر رأسي المسترسل، لا تستطيع الريح أن تفرقه لأنه غير مسرح فلقد تلبد واتسخ.

بَعيدٍ بِمَسِّ الدُّهْنِ والفَلْيِ عَهْدُهُ ... لَهُ عَبَسٌ عَافٍ مِنَ الغَسْلِ مُحْوَلُ (١)

وَخَرْقٍ كَظَهْرِ التُّرسِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ ... بِعَامِلَتَيْنِ ظَهْرُهُ لَيْسَ يُعْمَلُ (٢)

وَأَلْحَقْتُ أولاه بِأُخْراهُ مُوفِياً ... عَلَى قُنَّةٍ، أُقْعِي مِرَاراً وأَمْثُلُ (٣)

تَرُودُ الأَرَاوِيُّ الصَّحْمُ حولي كَأَنَّها ... عَذارَى عَلَيهِنَّ المُلاءُ المُذَيَّلُ (٤)

وَيَرْكُدْنَ بِالآصَالِ حَوْلِي، كَأَنَّنِي ... مِنَ العُصْمِ أَدْفَى يَنْتَحِي الكِيحَ، أَعقَلُ (٥)

---

(١) الفَلْي، التَّفْلية: تنقية الرأس من القمل. العَبَس: الوسخ المتأتي من قذر الإبل، والعالق على أذنابها. محوّل: مرت عليه السنة.

إنه لبعد عهده بالدهن والافتلاء، فقد احتمع الوسخ بشعره ولبده، حتى أصبح وكأنه العبس في أذناب الإبل.

(٢)الخَرْق: الأرض الواسعة تنخرق فيها الرياح، العَامِلَتَان: يقصد بهما "رجلاه".

رب مفازة مقفرة تشبه ظهر الترس، قطعتها على قدمي، ومفازات كثيرة غيرها لم يقطعها أحد قبلي.

(٣) موفيًا: مشرفًا: القُنَّة: أعلى الجبل. أقعي: أقعد كقعدة "الكلب". أمْثُلُ: أنتصبُ.

قطعت هذه البراري، وأشرفت على قمة الجبل، أقعي حينًا، وحينا أنتصب.

(٤) تَرُود: تذهب وتجيء. أراوي: جمع أروية، أنثى الوعل، الصَّحْم: جمع أصحم الذي في سواده صفرة. الملأ: الثوب. المُذيل: طويل الذيل.

تجول حولي الوعول كالعذاري اللابسات ثيابا طويلة الذيل، وقد اختلطت بها، بعد أن أنستُ بي.

(٥) رَكَد: ثبت: الآصال: جمع أصيل، الوقت من العصر إلى المغرب. العُصْم: جمع أعصم، الوعل الذي في ذراعيه بياض أو الذي يعتصم في رءوس الجبال فلا يوصل إليه. الأدْفَى: الوعل الذي طال قرنُه. الكيح: عرض الجبل. الأعْقَل: الممتنع في الجبل العالي.

بعد أن أنست الأراوي إلى أصبحت لا تنكرني، فتثبت عند المساء حولي، كأنني وعل منها، طويل القرن، عمد إلى عرض الجبل، وامتنع فيه.

تأبط شرا

هو لقب لثابت بن جابر بن سفيان الفهمي، وقد جاءه هذا اللقب من أمه التي رأته مرة، وهو يخرج حاملاً سيفه ، فقالت لمن سألها عنه : (لا أدري ، تأبط شرًّا وخرج).

وقيل : إن أمه كانت قد لامته مرة على تقصيره ، وقالت له : كل إخوتك يأتيني إذا راح بشيء غيرك . فقال لها : سآتيك الليلة بشيء ، فصاد أفاعي كثيرة من أكبر ما قدر عليه ، فلما دنا الرواح أتى بهن في جراب متأبطا به ، فألقاه بين يديها ، ففتحته، فشاعت الأفاعي في بيتها فوثبت وخرجت، فقالت لها نساء الحي: ماذا أتاك به ثابت؟ فقالت أتاني بأفاع في جراب: فقلن: وكيف حملها؟ فقالت: تأبطها، فقلن: لقد تأبط شرًّا، فلزمته.

واشتهر عن تأبط شرًّا، أنه كان من أشجع فرسان الصعاليك ، يغير في الليل والنهار وحيدا غالبا ومترجلا على قدميه ، دون أن يدركه أحد من شدة كره وفره وسرعة عدوه حتى قيل : إنه " أعدى ذي رجلين ، وذي ساقين ، وذي عينين " وعرف عنه هو وعمرو بن براق والشنفرى أنهم من العدائين المغربين ، حتى روين عنهم الأساطير، فقيل عن تأبط شرًّا: إنه صديق الوعول ، ورفيق الغزلان .

أَلا مَنْ مُبْلِغٌ فِتْيَانَ فَهْمٍ ... بِمَا لاقَيْتُ عِنْدَ رَحَى بِطَانِ[1]

وَإِنِّي قَدْ لَقِيتُ الغُولَ تَهْوِي ... بِسُهْبٍ كالصحيفة صَحْصَحَانِ[2]

فَقُلْتُ لَهَا: كِلانَا نِضْوُ أَيْنٍ ... أَخُو سَفَرٍ ، فَخَلِّي لِي مَكَانِي[3]

فَشَدَّتْ شَدَّةً نَحْوِي فَأَهْوَى ... لَهَا كَفِّي بِمَصْقُولٍ يَمَانِي[4]

فَأَضْرِبُهَا بِلا دَهَشٍ ، فَخَرَّتْ ... صَرِيعًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِرَانِ[5]

فَقَالَتْ:عُدْ. فَقُلْتُ لَهَا: رُوَيْدًا ... مَكَانَكِ ! إِنَّنِي نَبْتُ الجَنَانِ![6]

فَلَمْ أَنْفَكَّ مُتَّكِئًا عَلَيْهَا ... لأَنْظُرَ ، مُصْبِحًا ، مَاذَا أَتَانِي[7]

إِذَا عَيْنَانِ فِي رَأْسٍ قَبِيحٍ ... كَرَأْسِ الْهِرِّ ، مشْقُوقِ اللِّسَانِ[8]

وَسَاقَا مُخْدَجٍ ، وَشَوَاةُ كَلْبٍ ... وَثَوْبٌ مِنْ عَبَاءٍ أَوْ شِنَانِ[9]

---

١) فهَمْ: قوم الشاعر. الرّحَى: قطعة أرض في بطن الوادي لا يغمرها الماء. بطَان: اسم المكان.
يتمنى الشاعر لو يرى أحداً، ليبلغ فتيان قومه عما لاقاه في أرض البطان، عندما اعترضته الغول.

٢) السُهْب: الفلاة. الصّحْصَحان: الأرض المنبسطة.
في تلك الأرض المنبسطة كالصّحيفة الملساء، لاقي الغول تعدو نحوه.

٣) النِّضْو: الهزيل لكثرة العناء من السفر. الأَيْن: التعب. فقال يخاطبها: أن تفسح لـه الطريـق ولا تعترضه ما دامت تجمعهما صفة الارتحال، ومعاناة العناء والشَّظف.

٤) يقول: غير أنها لم تأبه لندائي، واتجهت صوبي تتحداني، ولكنني عاجلتها بضربة سيف يَمَنيّ.

٥) الجَران: أصلا معناه مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره، وهنا مقدم الصّدر.
وما زلت أضربها حتى أعياها كفي الذي لا يعرف الكلل، فخرت صريعة على يديها وصدرها.

٦) فحاولَتْ أن تثنيني عنها وطلبت مني التراجع، ولكنني تحديتها، إذ أنني رجل شجاع، ثابت الفؤاد.

٧) مُصْبحاً: اسم فاعل من أصبح، دخل في الصباح، وهو حال.
وما زلت فوقها متكئًا عليها، منتظرًا الصبّاح، حتى أزاها بوضوح.

٨) وعندما أتى الصباح، رأيت عينين في رأس قبيح المنظر، يشبه رأس الهر، ولسانًا مشقوقًا.

٩) المُخْدج: الولد المشوه.
بعد أن يصف الشاعر عيني الغول ورأسها يقول: إنها ضعيفة الساقين، هزيلتهما، كأنهما ساقا مولود مشوّه، أما قحف رأسها، فيشبه قحف رأس الكلب أو كجلد القربة اليابس، ولها جلد كالثوب الممزّق.

حاتم الطائي

هو حاتم بن عبدالله بن سعد بن المشرج الطائي القحطاني أبو عـــديّ، فـــارس، شاعر، جاهلي، جواد، يضرب المثل بجوده. وقد أدركت ابنته سفّانة وابنـــه عـــدي الإسلام فأسلما، وكان من أهل نجد، وزار الشام فتزوج ماوية بنت حجر الغســانية. تميز شعره بالحكم الجميلة، والإشادة بالجود والكرم وكان يصدق قوله فعله، وكـــان إذا سئل وهب، وإذا أسر أطلق، وكان يشبع الجائع، ويفرج المكـــروب ويفشـــي السلام، حتى سار ذكره في الآفاق، ولهجت باسمه الشعراء. وشعره كثـــير ضـــاع معظمه، وبقي منه ديوان صغير.

مات في عوارض جبل في بلاد طيِّئ وأرخوا لوفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم.

طالَ التَّجنُّبُ والهَجْرُ

قال الرواة: ذكروا أنّ حاتمًا دعتهُ نفسهُ إلى ماوية بنت عفزر - بعد انصرافهِ مـــن عندها- فأتاها يخطبها فوجد عندها النَّابغة ورجلاً من الأنصار من النَّبيت، فقالت لهـــم انقلبوا[1] إلى رحالكم وليقلْ كلُّ واحدٍ منكم شعرًا يذكر فيه فعالهُ ومنصبهُ فإني أتـــزوَّج أكرمَكم وأشعرَكم. فانصرفوا ونحر[2] كلُّ واحدٍ منهم جزورًا ولبست ماويَّة ثيابًا لأمَـــةٍ[3] لها وتبعتهم. فأتت النَّبيتي فاستطعمتْهُ[4] من جزورِه فأطعمها ثَيْل[5] جمله فأخذتهُ. ثم أتـــت

---

(١) انقلبوا: ارجعوا .

(٢) نحر جزورًا: ذبح ذبيحة .

(٣) الأمة: الجارية .

(٤) استطعمته: طلبت منه الطعام .

(٥) الثيل (هنا): وعاء قضيب البعير، والثيل أيضًا: نبات له قضبان طويلة تمتد على الأرض .

نابغة بني ذبيان فاستطعمتهُ فأطعمها ذنب جزورِه فأخذتهُ. ثم أتت حاتمًا وقد نصب قدره فاستطعمتهُ فقال لها: قفي[1] حتى أعطيك ما تنتفعين بهِ إذا صار إليكِ. فانتظرت فأطعمها قطعًا من العجز والسنام ومثلها من المِخْدَش[2] وهو عند الحارِك[3]، ثم انصرفت، وأرسل كلُّ واحدٍ منهم إليها ظهر جملهِ وأهدى حاتم إلى جاراتهِ مثل ما أرسل إليها و لم يكن يترك جاراتهُ إلا بهديَّة وصبَّحوها فاستنشدهم فأنشدها النبيتُّ:

هلاَّ سألتِ النَّبيتِّين ما حسبي ... عندَ الشِّتاءِ إذا ما هبَّت الريحُ[4]

ورد جازرهم حرفًا مُصَرَّمةً ... في الرأسِ منْها وفي الأصْلاءِ تمليحُ[5]

إذا الرياحُ غدتْ ملقًى أصرَّتها ... ولا كريمَ من الولدان مصبوحُ[6]

وقال رائدُهم سيَّان ما لهم ... مثلان مثل لمن يُرعى وتسْريحُ[7]

فقالت لهُ: لقد ذكرت مجهدة. ثمَّ استنشدت النابغة فأنشدها يقول:

هلاَّ سألتِ بني ذبيان ما حسَبي ... إذا الدخَان تغشى الأشْمطَ البَرِما[8]

---

(١) قفي: وفي رواية: اصبري .

(٢) المخدش: كاهل البعير .

(٣) الحارك: أعلى الظهر .

(٤) النَّبيتين: وفي رواية أهل النَّبيت .

(٥) الحرف: النَّاقة الضامرة، المصرَّمة: النَّاقة التي قطع طبياها ليعيش الإحليل فلا يخرج اللبن فيكون أقوى لها، الأصلاء: جمع الصلا، الظهر، وفي رواية الأشلاء، التلميح: السمن .

(٦) الأصرَّة: جمع صرار، ما يشدُّ به .

(٧) وقال رائدهم: وفي رواية قائلهم .

(٨) الأشمط: الذي خالطه الشيب، البرم (بكسر الراء): الضجر، والظاهر أن الشاعر يصف شخصًا بأن شعره خالطه الشيب وأنه ضجر، ورواية الكامل للمبرد (٢٧١/٣) ط دار الكتب العلمية بتحقيقنا: البَرم (بفتح الراء) وكذا في الأغاني (٣٨٣/١٧) ط دار الكتب العلمية والبرم: الذي لا يشارك القوم في الميسر، وهذا محله المدح لا الذم وربما يُظن أن الشاعر يمدح نفسه وهذا بعيد لكونه قال: الأشمط.

وهبت الريـــحُ مـــن تلقـــاءِ ذي أُرُلٍ تُزْجي معَ الليلِ من صرَّادها الصِّرَمـــا[1]
إني أتمـــم أيســـــاري وأمنحـــهُم مثْنى الأيادي وأكسو الجفنـــةَ الأُدُمـــا

فلما أنشدها قالت: ما ينفك النَّاس بخير ما ائتدموا. ثم قالت: يـــا أخـــا طيِّـــيءٍ[2] أنشدني فأنشدها:(من الطويل)

أمَاوِيَّ قَدْ طَـــالَ التَّجَنُّـــبُ وَالْـــهَجْرُ وَقَد عَذَرَتْني مِـــنْ طِلاَبِكُـــمُ الْعُـــذْرُ[3]
أمَـــاوِيَّ إنَّ الْمَـــالَ غَـــادٍ وَرَائِـــحٌ وَيَبْقَى مِنَ الْمَالِ الأَحَادِيثُ وَالذِّكْـــرُ[4]
أمَـــاوِيَّ إنِّـــي لاَ أقُـــولُ لِسَـــائِلٍ إذَا جَاءَ يَوْمًا: حَلَّ فِـــي مَالِنَـــا نَـــزْرُ[5]
أمَـــاوِيَّ إمَّـــا مَـــانِعٌ فَمُبَيَّـــنٌ وَإمَّـــا عَطَـــاءٌ لاَ يُنَهْنِهُـــهُ الزَّجْـــرُ
أمَاوِيَّ مَا يُغْنِـــي الـــثَّرَاءُ عَـــنِ الْفَتَـــى إذَا حَشْرَجَتْ نَفْسٌ وَضَاقَ بِهَا الصَّـــدْرُ[6]
إذَا أنَـــا دَلاَنِـــي الَّذِيـــنَ أحِبُّـــهُمْ لِمَلْحُـــودَةٍ زُلْـــجٌ جَوَانِبُـــهَا غُـــبْرُ[7]
وَرَاحُـــو عِجَـــالاً يَنْفُضُـــونَ أكُفَّـــهُمْ يَقُولُونَ قَدْ دَمَّـــى أنَامِلَنَـــا الْحَفْـــرُ[8]

---

(١) الأرل: جبل بغطفان، تزجي: تسوق، الصرّاد: الغيم الرقيق الذي لا ماء فيه .

(٢) أخا طيىء: المراد حاتم الطائي.

(٣) التجنّب: القطيعة والبعد-العذر: وفي رواية غدرتني في طلابكم الغدر، أي حالت بيني وبينكـــم غدرات الدّهر.

(٤) غادٍ ورائح: أي المال ينفق حينًا فيذهب، ويجمع حينًا فيستعاد ويرجع-يقول: المال ليس خالدًا ولا يبقى على حاله ولكن الخلود للذكر الحميد وما يتحدث النّاس به.

(٥) السائل: المحتاج، طالب العطاء-في مالنا نزر: وفي رواية نذر (بالذال) والأول أصح، والنـــزر: القليل .

(٦) الثراء:الغنى.إذا حشرجت يومًا:وفي رواية إذا حشرجت نفس،وحشرجت النفس:تردّد نفسها عند الاحتضار.

(٧) دلاّني الذين أُحبّهم: أنزلوني.الملحودة: اللحد. الزلج: وفي رواية الزلق، والزلج: المزلة التي تزل فيها الأقدام بسبب النداوة والملاسة .

(٨) وراحوا سراعا: وفي رواية راحوا عجالا، قد دمّى: وفي رواية قد أدمى أي: أسال دمها.

أَمَاوِيَّ إِنْ يُصْبِحْ صَدَايَ بِقَفْرَةٍ ... مِنَ الأَرْضِ لاَ مَاءٌ هُنَاكَ وَلاَ خَمرُ[1]

تَرَيْ أَنَّ مَا أَهْلَكْتُ لَمْ يَكُ ضَرَّنِي ... وَأَنَّ يَدِي مِمَّا بَخِلْتُ بِهِ صَفْرُ[2]

أَمَاوِيَّ إِنِي رُبَّ وَاحِدِ أُمِّهِ ... أَجَرْتُ فَلاَ قَتْلٌ عَلَيْهِ وَلاَ أَسْرُ[3]

وَقَدْ عَلِمَ الأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا ... أَرَادَ ثَرَاءَ الْمَالِ كَانَ لَهُ وَفْرُ

وَإِنِّيَ لاَ آلُو بِمَالٍ صَنِيعَةً ... فَأَوَّلُهُ زَادٌ وَآخِرُهُ ذُخْرُ[4]

يُفَكُّ بِهِ الْعَانِي وَيُؤْكَلُ طَيِّبًا ... وَمَا إِنْ تُعَرِّيهِ الْقِدَاحُ وَلاَ الْخَمْرُ[5]

وَلاَ أَظْلِمُ ابْنَ الْعَمِّ إِنْ كَانَ إِخْوَتِي ... شُهُودًا وَقَدْ أَوْدَى بِإِخْوَتِهِ الدَّهْرُ[6]

عُنِينَا زَمَانًا بِالتَّصَعْلُكِ وَالْغِنَى ... كَمَا الدَّهْرُ فِي أَيَّامِهِ الْعُسْرُ وَالْيُسْرُ[7]

كَسَبْنَا صُرُوفَ الدَّهْرِ لِينًا وَغِلْظَةً ... وَكُلاًّ سَقَانَاهُ بِكَأْسَيْهِمَا الدَّهْرُ[8]

فَمَا زَادَنَا بَغْيًا عَلَى ذِي قَرَابَةٍ ... غِنَانَا وَلاَ أَزْرَى بِأَحْسَابِنَا الْفَقْرُ[9]

فَقِدْمًا عَصَيْتُ الْعَاذِلاَتِ وَسُلِّطَتْ ... عَلَى مُصْطَفَى مَالِي أَنَامِلِيَ الْعَشْرُ[10]

---

(١) الصدى (هنا): الجثة. القفرة: الأرض الخالية من الماء والنبات، الموحشة. لا ماء لديّ ولا خمر: وفي رواية لا ماء هناك ولا خمر.

(٢) ما أهلكت: وفي رواية ما أنفقت، أي من المال في الجود والعطاء.

(٣) واحد أمه: وحيدها-أجرت: وفي رواية أخذت.

(٤) وإني: وفي رواية: فإني-لا آلو: لا أبطئ ولا أقصر-الصنيعة: البرّ، وعمل الخير-الذّخر: الاسم من ذخر، وذخر الشيء: خبأه لوقت الحاجة.

(٥) العاني: الأسير. وفي رواية: تعرّته-القداح: جمع قدح وهو الواحد من سهام الميسر-ولا الخمر: وفي رواية: القمر، أي القمار.

(٦) ولا أظلم: وفي رواية لا ألطم-أودى الدّهر بهم: أهلكهم. بإخوته: وفي رواية بإخوانه.

(٧) عنينا: وفي رواية عنينا-التّصعلك (هنا): حالة الافتقار. وروي البيت:

عُنينا زمانًا بالتَّصَعْلُكِ والغِنى ... كما الدَّهرُ في أيّامِه العسرُ واليُسرُ

(٨)في رواية: بكأسيهما، وكلاهما مقبول وعروضيا.

(٩)البغي: التعدّي والظلم وفي رواية البأو وفي أخرى: بأوًا-أزرى: الفتر بأحسابنا: عابها، أضعف من شأنها.

(١٠) العاذلات: جمع عاذلة اللائمة، أي التي تلومه على جوده وكرمه وإنفاقه المال في المكارم-المصطفى من المال: المختار من ماله، أفضل ما يملك.

وَمَا ضَرَّ جَارًا يا بْنَةَ الْقَوْمِ فَاعْلَمِي يُجَاوِرُنِي ألا يَكُونَ لَهُ سِتْرُ
بِعَيْنَيَّ عَنْ جَارَاتِ قَوْمِيَ غَفْلَةٌ وَفِي السَّمْعِ مِنِّي عَنْ حَدِيثِهِمِ وَقْرُ[1]

فلما فرغ حاتم من إنشاده دعت بالغداء وكانت قد أمرت إماءَها أن يقدمنَ إلى كل رجل منهم ما كان أطعمها. فقدّمن إليهم ما كانت أمرتهنَّ أن يقدّمنه إليهم، فنكس النبيتي رأسهُ والنابغة. فلما نظر حاتم إلى ذلك رمى بالذي قدّمَ إليهما وأطعمهما مما قُدّم إليهِ فتسلّلا لواذًا وقالت: إن حاتمًا أكرمكم وأشعركم. فلما خرج النبيتُّ والنّابعة قالت لحاتم: خلّ سبيل امرأتك فأبى فزوّدتهُ وردّته. فلما انصرف دعتهُ نفسهُ إليها وماتت امرأتهُ فخطبها فتزوّجتهُ فولدت عديًّا.

(١) الوقر: الصمم.

لبيد بن ربيعة

هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، كان لبيد خير شاعر لقومه في الجاهلية.. فهو لسان حالهم، كما كانت حالة كل شاعر في عهده، يمدح قومه ويرثيهم ويفاخر بهم.. ولعل هذا ما قدمه على غيره من شعراء بني عامر قاطبة. واختلف النقاد في تقدير شعره، فمنهم من رآه سهل المنطق رقيق الحواشي، ومنهم من عده مثالا لخشونة الكلام وصعوبته.

وإذا سئل يومًا من أعظم الشعراء في رأيه، ابتدأ بامرئ القيس ثم بطرفة.. وذكر نفسه في المقام الثالث.

تغلب على قصائد لبيد دينية.. وهذا يدل على أن روح لبيد خالطها التدين، وهو لا يزال في الجاهلية، وجاء الإسلام؛ ليصقلها ويزيدها عمقًا:

إن تقوى ربنا خير نَفَلِ ... وبإذن الله ريثي وعجل

أحمد الله ولا ند له ... بيديه الخير ما شاء فعل

من هداه سبل الخير اهتدى ... ناعم البال ومن شاء أضل

يستمد لبيد حكمه من التجارب التي عانى منها طوال حياته المديدة، ولعل أكثر ما تأثر له هو مقتل أخيه، ولذلك قال:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة، زائل

وله معلقته الشهيرة والتي مطلعها:

عفت الديار محلها فمقامها ... بمنى تأبد غولها فرجامها

وهي إحدى المعلقات السبع الشهيرة .

ويعد التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة من أهم الأدوات التي يعتمد عليها الشاعر في بنائه الفني للقصيدة .

ومن النماذج البليغة التي نجح الشاعر فيها في توظيف تلك الأداة من خلال تكرير اسم الفاعل، قصيدة للبيد يرثي فيها أخاه يقول فيها:

بَلِينا وَمَا تَبْلَى النُّجُومُ الطَّوَالِعُ ... وَتَبْقَى الجِبَالُ بَعْدَنا وَالْمَصَانِعُ[1]

وَقَدْ كُنْتُ فِي أَكْنَافِ جَارٍ مَضِنَّةٍ ... فَفَارَقَنِي جَارٌ بِأَرْبَدَ (نَافِعُ)[2]

فَلا جَزِعٌ إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا ... وَكُلُّ فَتىً يَوْمًا بِهِ الدَّهْرُ (فَاجِعُ)[3]

فَلا أَنَا يَأْتِينِي طَرِيفٌ بِفَرْحَةٍ ... وَلا أَنَا مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ (جَازِعُ)[4]

وَمَا النَّاسُ إِلا كَالدِّيَارِ وَأَهْلُهَا ... بِهَا يَوْمَ حَلُّوهَا وَغَدْوًا بَلاقِعُ[5]

وَمَا لَمْرءُ إِلا كَالشِّهَابِ وَضَوْئِهِ ... يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ (سَاطِعُ)[6]

وَمَا البِرُّ إِلا مُضْمَرَاتٌ مِنَ التُّقَى ... وَمَا لْمَالُ إِلا مُعْمَرَاتٌ وَدَائِعُ[7]

وَمَا لْمَالُ وَالأَهْلُونَ إِلا وَدِيعَةٌ ... وَلا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الوَدَائِعُ

وَيَمْضُونَ أَرْسَالاً وَنَخْلُفُ بَعْدَهُمْ ... كَمَا ضَمَّ أُخْرَى (التَّالِيات) المُشَلِّعُ[8]

وَمَا النَّاسُ إِلا (عَامِلانِ) (فَعَامِلٌ) ... يُتَبِّرُ مَا يَبْنِي، وآخَرُ (رَافِعُ)[9]

فَمِنْهُمْ سَعِيدٌ (آخِذٌ) لِنَصِيبِهِ ... وَمِنْهُمْ شَقِيٌّ بِالمَعِيشَةِ (قَانِعُ)

---

(١)المصانع: المباني الشاهقة أو القصور.

(٢)الاكناف: الجوانب.

(٣)الجزع: الخوار عند المصيبة.

(٤)الطريف: ما استطرف من الشيء.

(٥)غدوا: غدا. بلاقع: الغابات.

(٦)الشهاب: النار. يحور: يصير. الساطع: المشتعل.

(٧)المعمر: الوديعة التي تذهب مدى العمر.

(٨)إرسالا: أي يرسلهم جماعة في إثر جماعة. المشايع: الذي يزجر الإبل.

(٩)يثبر: يخسر ويهلك. رافع: يقيم البناء ويرفعه.

أَلَيْسَ وَرَائِـــى، إِنْ تَرَاخَـــتْ مَنِيَّـــتِى لُزُومُ العَصَا تُحْنَى عَلَيها الأَصَـــابِعُ[1]

أُخَبِّرُ أَخْبَارَ القُـــرُونِ الـــتِى مَضَـــتْ أَدِبُّ كَأَنِّى كُلَّمَـــا قُمْـــتُ(رَاكِـــعُ)

فَأَصْبَحْتُ مِثلَ السَّيفِ غَـــيَّرَ جَفنَـــهُ تَقَادُمُ عَهْدِ القَيْنِ وَالنَّصْلُ(قَـــاطِعُ)[2]

فَـــلا تَبْعُـــدَنْ إِنَّ المَنِيَّـــةَ مَوْعِـــدٌ عَلَيكَ(فَدَانٍ) للطُّلُـــوعِ وَ(طَـــالِعُ)[3]

(أَعَاذِلَ) مَـــا يُدْرِيـــكَ، إلا تَظَنِّيـــا إِذا ارْتَحَلَ الفِتْيَانُ مَنْ هُوَ(رَاجِـــعُ)[4]

تُبَكِّى عَلى إِثْرِ الشَّبَابِ الذى مَضَـــى أَلا إِنَّ أَحْدَانَ الشَّـــبَابِ الرَّعَـــارِعُ[5]

أَتَجْزَعُ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْـــرُ بِـــالفَتى وَأَىُّ كَرِيمٍ لَـــمْ تُصِبْـــهُ(القَـــوَارِعُ)[6]

لِعَمْرُكَ مَا تَدْرِى(الضَّوارِبُ) بـــالحصَى ولا(زَاجِرَاتُ) الطَّيْرِ مَا اللهُ (صَـــانِعُ)

سَلُوهُنَّ إِنْ كَذَّبْتُمُـــونِى مـــتى الفَتَـــى يَذُوقُ المَنَايا أَوْ متى الغَيْثُ(وَاقِـــعُ)[7]

يوظف هنا لبيد صيغة الفاعل للدلالة على الحقائق والصفات الثابتـــة مـــن ســـنن الكون، فالناس تبلى والنجوم ثابتة فى طلوعها، والدهر يفجع كـــل إنســـان فى أحبائـــه وأقاربه، فما هم عنده إلا ودائع (وكل فتى يوما بـــه الدهـــر فـــاجع) المنايـــا تقـــع لا تتخلف(فالمنية موعد عليك فدان للطلوع وطالع)، والسنن الثابتة مـــن صفـــات النـــاس وأحوالهم:

وما النـــاس إلا (عـــاملان): يتبر ما يبنى وآخـــر(رافـــع)

فمنهم سعيد(آخذ) لنصيبـــه ومنهم شقى بالمعيشة (قـــانع)

---

(١)تراخت: تباعدت وأبطأت.

(٢)القين: الحداد.

(٣)دان للطلوع: قريب الأجل. طالع: المختلف عن الداني.

(٤)التظني: الظن والتخمين.

(٥)أحوان: إخوان. الرعارع: الأحداث.

(٦)القوارع: الدواهي والمصائب.

(٧)شرح ديوان لبيد ص ٨٠- تقديم وشرح إبراهيم جزيني- دار القاموس- بيروت.

ويستوقفنا هنا عدول لبيد عن اسم الفاعل فى (يتبر) حيث عبر عن فعل المفسد الـــذى يتبر عمله بالمضارع الدال على التجدد، فكلما بنى تبر ما بناه، بينما عبر عن الصالح المحسن باسم الفاعل الدال على ثبوته فى رفعته وتقدمه فيها.

وكذلك التعبير باسم الفاعل فى(راكع) كأن الركوع والانحناء قد صار هيئة للمرء عنـد مشيه. كما يوظفها بمعنى الثبوت نفيا(ولا أنا مما أحدث الدهر جازع).

كما يوظف دلالته المنتفية فى قوله (ما يدريك من هو راجع) وفى رأيى لو قـــال (يرجـــع) لكان أولى، لأن نفى مجرد الحدث، ينفى ثبوته بالأولى.

كذلك فقد وظف اسم الفاعل لثبوت الصفة مستقبلا كما فى(لعمرك ما تدرى.. مـــا الله صانع)، (متى الغيث واقع)

وذلك أيضا فى إطار توظيف اسم الفاعل للتعبير عن السنن الثابتة، ومنها ثبوت علـــم الغيب لله تعالى وحده.

وبهذا نستطيع أن نعد (صيغة اسم الفاعل) بهذا التكرار الوظيفى لها مفتاحـــا لفكـــرة الشاعر المسيطرة على نفسه، والتى جاش بها ضميره ووجدانه، فراح يصوغها شعرا يســلى به نفسه عن فقدان أخيه الذى ثبت نفعه له (ففارقنى جار بأربد (نافع) فدارت قصيدتـــه حول تلك الحوادث والفواجع التى هى دأب هذا الدهر وديدنه شأنها فى ذلـــك كشـــأن غيرها من الحقائق الثابتة، فالحقيقة الثابتة التى لا مراء فيها فى هذا الكون هى أن (كل فـــتى يوما به الدهر فاجع) وفى ذلك أعظم العزاء له عن فقد أخيه.

الخنساء

هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرياحية السلمية من بني سليم، من قيس عيلان بن مضر، والخنساء لقب غلب عليها.

أشهر شواعر العرب. وأشعرهن على الإطلاق، من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت، ووفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها بني سليم، فكان يستنشدها ويعجبه شعرها.

أجمل شعرها في رثاء أخويها صخر ومعاوية، وكانا قد قتلا في الجاهلية، فرثتهما في الجاهلية والإسلام ونورد لها هنا قصيدتين في رثائهما في الجاهلية، وهما من أجود شعرها، ومن رثائها لهما في الإسلام قصيدتها التي أنشدتها بين يدي عمر بن الخطاب، وتقول في مطلعها:

سقى جَدَثًا أكْنافَ غَمْرَةَ دونه من الغيث دِيماتُ الربيعِ ووابِلُه

وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية (١٦هـ) فاستشهدوا فيها، ولم ترثهم بشيء وقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم.

لها ديوان شعر مطبوع.

قالت الخنساء ترثي أخاها صخرًا، وهذا من محاسن شعرها فيهِ غناء لإبراهيم الموصلي (من المتقارب):

أعَيْنَـــيَّ جُـــودَا وَلاَ تَجْمُـــــدَا ... ألاَ تَبْكِيَـــانِ لِصَخْـــرِ النَّـــدَى

ألاَ تَبْكِيَـــانِ الْجَـــرِيءَ الْجَمِيـــلَ ... ألاَ تَبْكِيَـــانِ الْفَتَـــى السَّـــيِّدَا

طَوِيـــلَ النِّجَـــادِ[1] رَفِيـــعَ الْعِمَـــا ... دِ[2] سَـــادَ عَشِـــيرَتَهُ أَمْـــرَدَا

إِذَا الْقَـــوْمُ مَـــدُّوا بِأَيْدِيـــهِمُ ... إِلَى الْمَجْـــدِ مَـــدَّ إِلَيْـــهِ يَـــدَا

فَنَـــالَ الَّـــذِي فَـــوْقَ أَيْدِيـــهِمُ ... مِنَ الْمَجْدِ ثُمَّ مَضَـــى مُصْعِـــدَا[3]

---

(١)قال المبرد في الكامل:النجاد حمائل السيف تريد بطول النجاد طول قامتهِ وهذا ممـا يمـدح بـهِ الشريف.قال جرير:

فإني لأَرضى عبدَ شمس وما قَضَت ... وأرضى الطوالَ البيضَ مِن آل هاشمِ

ويُروى الطوال الغُرَّ. وقال مروان للمهديّ:

قصرتْ حمائلهُ عليهِ فقلّصت ... ولقد تأنّق قَيْنُهـا فأطالهـا

وقال رجلٌ من طيِّئ:

جديرٌ أن يُقلّ السيف حتَّى ... يَنُوسَ إذا تمطّى في النجادِ

النَّوْس الحركة والاضطراب. وقال الحكمي أبو نواس:

سَبطُ البنانِ إذا احتبى بنجادهِ ... غَمَرَ الجماجمَ والسَّماطُ قيامُ

وقال عنترة في معلّقتِه:

بطلٌ كـأنَّ ثيابهُ في سَرْحةٍ ... يُحذَى نعالُ السِبْت ليس بتوأمِ

السرحة شجرة (وفي) بمعنى (على). فيكون المعنى كأن ثيابهُ على سرحةٍ من طولـهِ. والسـبَت الجلود المدبوغة. وقولهُ: ليس بتوأم أي لم يولد معهُ آخر فيكونَ ضعيفًا.

(٢) هذا مِثل طويل النجاد يقال: رَجُل مُعَمَّد أي طويل. ومنهُ قولـهُ: إرم ذات العمـاد أي ذات القدود الطوال أو ذات البناء الرفيع.

(٣) ويُروى مُسْعدا.

يُكَلفُهُ الْقَوْمُ مَا عَالَهُمْ[1] وَإنْ كَانَ أصْغَرَهُمْ مَوْلِدَا
تَرَى المَجْدَ يَهْوِي إلى بَيْتِهِ يرى أفضلَ الكسب أن يُحْمَدَا
وإن ذُكِرَ المجدُ ألفَيْتَهُ تأزَّرَ بالمجد ثم ارتَدي

وقالت من (البسيط):

قَذًى بعَينِكِ أمْ بالعَينِ عُوّارُ أمْ ذَرَّفَتْ إذْ خلَتْ من أهلِها الدارُ[2]
كأنّ عيني لذكراهُ إذا خَطَرَتْ فيضٌ يَسيلُ على الخَدَّينِ مِدرارُ[3]
تَبكي لصَخرٍ هي العَبْرَى وقدْ وَلَهتْ ودونَهُ من جديدِ التُّرْبِ أستارُ[4]
تبكي خُناسٌ فما تَنفكُّ ما عَمَرتْ لها علَيْهِ رَنينٌ وهيَ مِفْتارُ[5]
تبكي خُناسٌ على صَخرٍ وحقّ لها إذ رابَها الدَّهْرُ، إنّ الدَّهرَ ضَرَّارُ
لا بدّ مِنْ ميتَةٍ في صرفِها عِبَرٌ والدَّهْرُ في صَرْفِهِ حولٌ وأطْوارُ[6]

---

(١) يقال: عالني الشيءُ أي غلبني وثقل عليَّ. وجاء في الكامل: ما عالهم أي: نابهم ونزل بهم تقول العرب "ما عالك فهو عائلي" أي: ما نابك فهو نائبي ومن ذا قول كُثَيِّر:

يا عين بكي لِلّذي عالني منكِ بدمعٍ مُسبِلٍ هاملِ

ويُروى أيضًا: ويكفي العشيرة ما غَالَها.

(٢)العوار والعائر: وجع في العين وهو مثل الرمد. ذرفت: قطرت قطرًا متتابعًا لا يبلغ أن يكون سيلا.

(٣) إذا خطرت: أي إذا خطرت ذكراه في بالها.

(٤) العبرى: الدامعة. والوله: ما يصيب الرجل والمرأة من شدة الجزع على الولد. وجدير الترب: ما أثير من باطن الأرض.

(٥) ما عمرت: ما عاشت. المفتار: المقصر، تريد أنها ما بكت على صخر مقصرة عن إيفائه حقه.

(٦) العبر، واحدتها عبرة: الاعتبار. الحول: التحول والتصرف. الأطوار: الحالات والتقلبات.

قد كان فيكُمْ أبو عَمْـــرٍو يسودُكُمُ ... نِعْـمَ المُعَمَّـمُ للدَّاعـينَ نَصَّـــارُ[1]

صُلْـبُ النَّحـيزَةِ وَهَّـابٌ إذا مَنَعُـوا ... وفي الحروبِ جريءُ الصَّدْرِ مِـهصَارُ[2]

يـا صَخْـرُ وَرَّادَ مـاءٍ قـد تَنـاذرَهُ ... أهـلُ المـوارِدِ مـا في وِرْدِهِ عـارُ[3]

مشْيَ السَّـبَنْتى إلى هيجـاءَ مُعْضِلَـةٍ ... لـهُ سـلاحانِ : أنيـابٌ وأظفـارُ[4]

وما عَجُولٌ علـى بَـوٍّ تُطيـفُ بِـهِ ... لهـا حَنينـانِ: إعْـلانٌ وإسْـرارُ[5]

تَرْتَعُ ما رَتَعَـتْ، حـتى إذا ادُّكِـرَتْ ... فإنَّمـا هـيَ إقْبـالٌ وإدْبـارُ[6]

لا تَسمنُ الدهرَ في أرضٍ، وإن رَتعـتْ ... فإنَّمـا هـيَ تَحْنـانٌ وتَسْـجارُ[7]

يوْمًـا بـأوْجَدَ منِّـي يـوْمَ فـارَقَني ... صَخْـرٌ وَلِلدَّهْـرِ إحـلاءٌ وإمـرارُ[8]

وإن صَخـرًا لَوالِينـا وسـيدُنَا ... وإن صَخْـرًا إذا نَشْـتو لَنَحَّـارُ[9]

وإن صَخْـرًا لِمَقْـدامٌ إذا رَكِبـوا ... وإنَّ صَخْـرًا إذا جـاعوا لَعَقَّـارُ[10]

---

(١) المعمم: المسود .

(٢) النحيزة: الطبيعة. المهصار: الذي يهصر الأعناق، أي يدقها.

(٣) قولها: وارد ماء، تعني الموت، أي لإقدامه على الحرب. تناذره: أنذر بعضهم بعضًا هوله وصعوبته. أهل الموارد: أهل المياه. وقولها: ما في ورده عار، أي ليس يعير أحد إن عجز عنه من صعوبة ورده.

(٤) السبنتي: الجريء الصدر، وأصله في النمر.

(٥) العجول: الثكلى من النساء الواله التي فقدت ولدها، سميت بذلك لعجلتها في مجيئها وذهابها جزعًا. البو: أن ينحر ولد الناقة فيؤخذ جلده ويحشى ويدنى من أمه فترأمه.

(٦) إقبال وإدبار: أي لا تنفك تقبل وتدبر، كأنها خلقت منهما.

(٧)يقال: حنت الناقة، إذا طربت في أثر ولدها. فإذا مدت الحنين وطربته قيل قد سجرت تسجر سجرًا.

(٨) بأوجد: بأشد وجدًا. إحلاء وإمرار: أي أن الدهر يأتي بالحلو المحبوب والمر المكروه.

(٩) تصفه بالجود، أي ينحر للضيوف إذا نزل بالناس ضيق الشتاء.

(١٠) عقار: كثير العقر، الذبح للنياق ليطعم الجائعين.

وإن صَخْـرًا لَتـأتَمُّ الهُـداةُ بِـهِ ... كَأنَّـهُ عَلَـمٌ في رأسِـهِ نـارُ[1]

جَلْـدٌ جَميـلُ المُحَيَّـا كـامِلٌ وَرِعٌ ... وللحروبِ غـداةَ الـرَّوْعِ مِسـعارُ[2]

حَمَّـالُ ألويـةٍ هَبَّـاطُ أوْديَـةٍ ... شَـهَّادُ أنْدِيَـةٍ للجَيـشِ جَـرارُ

نَحّـارُ راغيَـةٍ مِلْجـاءُ طاغِيَـةٍ ... فكّـاكُ عانيَـةٍ للعظـمِ جبّـارُ

فقلتُ لما رأيـتُ الدّهـرَ ليـسَ لَـهُ ... مُعـاتبٌ وحـدَهُ يُسِـدي ونيّـارُ[3]

لقد نَعَى ابـنُ نُهيـكٍ لي أخـا ثِقَـةٍ ... كانتْ تُرَجَّـمُ عنـهُ قبـلُ أخبـارُ[4]

فبِـتُّ سـاهرَةً للنّجْـمِ أرقُبُـهُ ... حتى أتى دونَ غَورِ النّجـمِ أسـتارُ[5]

لم تَـرَهُ جـارَةٌ يَمشـي بسـاحَتِها ... لريبَـةٍ حـينَ يُخلـي بيتَـهُ الجـارُ

ولا تَـراهُ ومـا في البيـت يأكُلُـهُ ... لكِنّـهُ بـارزٌ بـالصّحنِ مِـهْمارُ[6]

ومُطْعِمُ القَوْمِ شَحمًا عنـدَ مَسـغَبهم ... وفي الجُدوبِ كـريمُ الجَـدّ ميسـارُ[7]

قد كان خالصتي من كلّ ذي نَسَـبٍ ... فقد أُصِيبَ فمـا للعيـشَ أوْطـارُ[8]

مثـلُ الرُّدَيـنيّ لم تَنفَـدْ شَـبيبَتُهُ ... كَأنَّهُ تحـتَ طـيِّ البُـرْدِ أسْـوَارُ[9]

---

(١) تأتم به: تمتدي به. الهداة، واحداها هاد: المرشد، المتقدم. كأنه علم في رأسه نار: مثل ضربته في شهرة أخيها، والعلم الجبل.

(٢) مسعار الحرب: موقدها.

(٣) نيار: من نير الثوب جعل له نيرًا، خلاف أسداه. تريد أن الدهر يفعل ما يشاء.

(٤) ترجم: تكلم بالظن .

(٥) أرقبه: متى يصبح لعل لي في ذلك فرجًا. غور النجم: سقوطه.

(٦) المهمار: المكثار يكثر للأضياف من القرى.

(٧) مسغبهم: جوعهم. الجدوب، واحدها جدب: القحط. الميسار: الكثير الغنى.

(٨) خالصتي: الذي اخترته لنفسي وخلص لي وده. الوطر في العيش: أي ليس بعده في العيش جدة.

(٩) أي لم يستمتع بشبابه و لم يتملأ. ونصب مثل على القطع، أو على الصفة، ويجوز رفعه على الابتداء. الرديني: الرمح منسوب إلى ردينة، امرأة كانت تقوم الرماح. الأسوار: السوار في اليد،

جَهْمُ المُحَيّا تُضِيءُ اللّيلَ صورَتُهُ ... آباؤهُ من طِوالِ السَّمْكِ أحرارُ[1]

مُورَّثُ المَجْدِ مَيْمُونٌ نَقيبَتُهُ ... ضَخْمُ الدّسيعَةِ في العَزّاءِ مِغوارُ[2]

فَرْعٌ لفَرْعٍ كَريمٍ غَيرِ مُؤتَشَبٍ ... جلدُ المَريرَةِ عندَ الجَمْعِ فَخّارُ[3]

في جوْفِ لَحْدٍ مُقيمٌ قد تَضَمّنَهُ ... في رَمْسِهِ مُقْمَطِرّاتٌ وأحْجارُ[4]

طَلْقُ اليَدينِ لفِعْلِ الخَيرِ ذو فَجَرٍ ... ضَخْمُ الدّسيعَةِ بالخَيراتِ أمّارُ[5]

لَيْكِهِ مُقْتِرٌ أفْنى حريبَتَهُ ... دَهْرٌ وحالَفَهُ بؤسٌ وإقْتارُ[6]

ورِفْقَةٌ حَارَ حاديهم بمُهْلِكَةٍ ... كأنّ ظُلْمَتَها في الطِخْيَةِ القارُ[7]

لا يَمْنَعُ القَوْمَ إنْ سألُوهُ خُلْعَتَهُ ... ولا يُجاوِزُهُ باللّيلِ مُرّارُ[8]

شبهته به لهيفه ولطافة بطنه.

(١) جهْم المحيا: عابس الوجه. السمك: القامة.

(٢) أي قد ورث الشرف. الدسيعة: القدر. العزاء: الشدة.

(٣) فرع لفرع: أي رأس لرأس. المؤتشب: المخلوط الحسب. المريرة: إبرام الرأي.

(٤) المقمطرات: صخور عظام وأحجار صغار.

(٥) ذو فجر: يتفجر بالمعروف. الدسيعة: العطاء.

(٦) المقتر: الفقير. والإقتار: الفقر. حريبته: أرادت ماله. البؤس: العذاب، الشدة.

(٧)الطخية: من الطخاء وهو الغيم الرقيق الذي يواري النجوم فيتحير الهادي.

(٨)سالوه: مسهل سألوه. الخلعة: خيار المال. المرار: الذين يمرون به لا يجاوزونه، وإنما ينزلون ضيوفًا عليه.

ثانيا : مختارات من شعر صدر الإسلام

١ ـ كعب بن زهير

٢ ـ حسان بن ثابت

كعب بن زهير

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبو المضرّب: شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد. له ديوان شعر مطبوع، كان ممن اشتهر في الجاهلية، ولما ظهر الإسلام هجا النبي ﷺ وأقام يشبب بنساء المسلمين، فهدر النبي ﷺ دمه، فجاءه كعب مستأمنًا وقد أسلم وأنشده لاميته المشهورة التي نحن بصددها الشعر: أبوه زهير بن أبي سلمى، وأخوه بجير وابنه عقبة وحفيده العوام كلهم شعراء، وقد كثر معارضو لاميته وشراحها وترجمت إلى الإيطالية وعني بها المستشرق رينيه باسية (Reue Basset) فنشرها مترجمة إلى الفرنسية ومشروحة شرحًا جيدًا صدره بترجمة كعب.

راجع ترجمته في خزانة الأدب للبغدادي (٤-١١،١٢)، الشعر والشعراء (٦١)، وطبقات فحول الشعراء (٢٠)، وابن هشام (٣/٣٢)، وعيون الأثر (٢/٢٠٨)، والمشرق (١٤-٤٧)، وجمهرة أشعار العرب (١٤٨)، وسمط اللآلي (٤٢١).

قال كعب بن زهير رضي الله عنه:

١-بانَتْ سُعادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ ... مُتَيَّمٌ إِثْرَها لم يُفْدَ مَكْبُولُ

٢- وما سُعادُ غَدَاةَ البَيْنِ إِذْ رَحَلُوا ... إلاَّ أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

٣-هَيْفَاءُ مُقْبِلَةً عَجْزَاءُ مُدْبِرَةً ... لا يُشْتَكى قِصَرٌ مِنْهَا وَلا طُولُ

٤-تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلْمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ ... كَأَنَّهُ مَنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ

٥-شُجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ ... صَافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وَهْوَ مَشْمُولُ

٦-تَنْفِي الرِّياحُ القَذَى عَنْهُ وَأَفْرَطَهُ ... مِنْ صَوْبِ غَادِيَةٍ بِيضٌ يَعَالِيلُ

٧-فَيَالَهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ ... بِوَعْدِها أَوْ لَوْ أَنَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ

٨-لَكِنَّهَا خُلَّةٌ قَدْ سِيطَ مِنْ دَمِهَا ... فَجْعٌ وَوَلْعٌ وَإِخْلاَفٌ وَتَبْدِيلُ

٩-فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهِ ... كَمَا تَلَوَّنُ فِي أَثْوَابِهَا الغُولُ

١٠-وَلاَ تَمَسَّكُ بِالعَهْدِ الَّذِي زَعَمَتْ ... إِلاَّ كَمَا يُمْسِكُ المَاءَ الغَرَابِيلُ

١١-فَلاَ يَغُرَّنكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ ... إِنَّ الأَمَانِيَّ وَالأَحْلاَمَ تَضْلِيلُ

١٢-كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلاً ... وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلاَّ الأَبَاطِيلُ

١٣-أَرْجُو وَآمُلُ أَنْ تَدْنُو مَوَدَّتُهَا ... وَمَا إِخَالُ لَدَيْنَا مِنْكِ تَنْوِيلُ

١٤-أَمَسَتْ سُعَادُ بِأَرْضٍ لا يُبَلِّغُهَا ... إِلاَّ العِتَاقُ النَّجِيبَاتُ المَرَاسِيلُ

١٥-وَلَنْ يُبَلِّغَهَا إِلاَّ عُذَافِرَةٌ ... لَهَا عَلَى الأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ

١٦-مِنْ كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْرَى إِذَا عَرِقَتْ ... عُرْضَتُهَا طَامِسُ الأَعْلاَمِ مَجْهُولُ

١٧-تَرْمِي النِّجَادَ بِعَيْنَيْ مُفْرَدٍ لَهِقٍ ... إِذَا تَوَقَّدَتِ الحُزَّانُ وَالمِيلُ

١٨-ضَخْمٌ مُقَلَّدُهَا فَعْمٌ مُقَيَّدُهَا ... فِي خَلْقِهَا عَنْ بَنَاتِ الفَحْلِ تَفْضِيلُ

١٩-غَلْبَاءُ وَجْنَاءُ عُلْكُومٌ مُذَكَّرَةٌ ... فِي دَفِّهَا سَعَةٌ قُدَّامُهَا مِيلُ

٢٠-وَجِلْدُهَا مِنْ أُطُومٍ مَا يُؤَيِّسُهُ ... طِلْحٌ بِضَاحِيَةِ المَتْنَيْنِ مَهْزُولُ

٢١-حَرْفٌ أَخُوهَا أَبُوهَا مِنْ مُهَجَّنَةٍ ... عَمُّهَا خَالُهَا قَوْدَاءُ شِمْلِيلُ

٢٢-يَمْشِي القُرَادُ عَلَيْهَا ثُمَّ يُزْلِقُهُ ... مِنْهَا لَبَانٌ وَأَقْرَابٌ زَهَالِيلُ

٢٣-عَيْرانَةٌ قُذِفتْ بالنَّحْضِ عَنْ عُرُضٍ ... مِرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزَّوْرِ مَفْتُولُ

٢٤-كَأَنَّمَا فَاتَ عَيْنَيْهَا وَمَذْبَحَهَا ... مِنْ خَطْمِهَا وَمِنَ اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيلُ

٢٥-تُمِرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذا خُصَلٍ ... فِي غَارِزٍ لَمْ تَخُوِّنْهُ الأَحَالِيلُ

٢٦-قَنْوَاءُ فِي حُرَّتَيْهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا ... عِتْقٌ مُبِينٌ وَفِي الخَدَّيْنِ تَسْهِيلُ

٢٧-تَخْدِي عَلَى يَسَرَاتٍ وَهْيَ لاحِقَةٌ ... ذَوَابِلٍ مَسُّهُنَّ الأَرْضَ تَحْلِيلُ

٢٨-سُمْرُ العُجَايَاتِ يَتْرُكْنَ الحَصَى زِيَمًا ... لَمْ يَقِهِنَّ رُءُوسَ الأُكْمِ تَنْعِيلُ

٢٩-كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا وَقَدْ عَرِقَتْ ... وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالقُورِ العَسَاقِيلِ

٣٠-يَوْمًا يَظَلُّ بِهِ الحِرْبَاءُ مُصْطَخِدًا ... كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بِالشَّمْسِ مَمْلُولُ

٣١-وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيهِمْ وَقَدْ جَعَلَتْ ... وُرْقُ الجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الحَصَى: قِيلُوا

٣٢-شَدَّ النَّهَارِ ذِرَاعًا عَيْطَلٍ نَصَفٍ ... قَامَتْ فَجَاوَبَهَا نُكْدٌ مَثَاكِيلُ

٣٣-نَوَّاحَةٌ رِخْوَةُ الضَّبْعَيْنِ لَيْسَ لَهَا ... لَمَّا نَعَى بَكْرَهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ

٣٤-تَفْرِي اللَّبَانَ بِكَفَّيْهَا وَمِدْرَعُهَا ... مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِيهَا رَعَابِيلُ

٣٥-لِسَعْيِ الغُوَاةِ جَنَابَيْهَا وَقَوْلُهُمُ ... إِنَّكَ يَابْنَ أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُولُ

٣٦-وَقَالَ كُلُّ صَدِيقٍ كُنْتُ آمُلُهُ ... لا أُلْهِيَنَّكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ

٣٧-فَقُلْتُ خَلُّوا سَبِيلِي لا أَبَا لَكُمُ ... فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ

٣٨-كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلامَتُهُ ... يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءُ مَحْمُولُ

٣٩-نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِي ... وَالعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ

٤٠-مَهْلاً هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ ال ... قُرْآنِ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ

٤١-لا تَأْخُذَنِّي بِأَقْوَالِ الوُشَاةِ وَلَمْ ... أُذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِيَّ الأَقَاوِيلُ

٤٢-لَقَدْ أَقُومُ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ ... أَرَى وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الفِيلُ

٤٣-لَظَلَّ يَرْعَدُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ ... مِنَ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللهِ تَنْوِيلُ

٤٤-مَا زِلْتُ أَقْتَطِعُ البَيْدَاءَ مُدَّرِعًا ... جُنْحَ الظَّلامِ وَثَوْبُ اللَّيْلِ مَسْبُولُ

٤٥- حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أُنَازِعُهُ ... فِي كَفِّ ذِي نِقْمَاتٍ قِيلُهُ القِيلُ

٤٦- فَلَهوَ أَخْـوَفُ عِنْـدِي إِذْ أُكَلِّمُـهُ ... وَقِيلَ إِنَّـكَ مَنْسُـوبٌ وَمَسْئُـولُ

٤٧-مِنْ ضَيْغَمٍ بِضَرَاءِ الأَرْضِ مُخْـدَرَةٌ ... فِي بَطْـنِ عَـثَّرَ غِيـلٌ دُونَـهُ غِيـلُ

٤٨-يَغْدُو فَيُلْحِمُ ضِرْغَـامَيْنِ عَيشُـهما ... لَحْمٌ مِـنَ النـاسِ مَعْفُـورٌ خَرَادِيُـلُ

٤٩-إذا يُسـاوِرُ قِرْنًـا لا يَحِـلُّ لَـهُ ... أَنْ يَـتْرُكَ القِـرْنَ إلا وَهْـوَ مَفْلُـولُ

٥٠-منْهُ تَظَلُّ سِـبَاعُ الجَـوِّ ضَـامِزَةً ... ولا تُمَشِّـي بواديـه الأَراجِيـلُ

٥١-ولا يـزال بِوَادِيـهِ أَخـو ثِقَـة ... مُضَـرَّجُ البَـزِّ والدِّرْسَـانِ مَـأْكُولُ

٥٢-إنّ الرسولَ لَنُـورٌ يُسْـتَضَاءُ بِـهِ ... مُـهَنَّدٌ مِـنْ سُـيُوفِ اللهِ مَسْـلُولُ

٥٣-فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَـالَ قَائِلُـهُمْ ... بِبَطْنِ مَكَّـةَ لَمَّـا أَسْـلَمُوا: زُولُـوا

٥٤- زالوا، فما زالَ أنكاسٌ ولا كُشُـفٌ ... عِنْـدَ اللِّقَـاءِ وَلا مِيـلٌ مَعَـازِيلُ

٥٥-شُـمُّ العَرانِـينِ أبطـالٌ لَبُوسُـهُمُ ... من نَسْـجِ داودَ في الهَيْجـا سَـرَابِيلُ

٥٦-بِيضٌ سَوَابِغُ قَدْ شُكَّت لهـا حَلَـقٌ ... كأنّهـا حَلَـقُ القَفْعَـاءِ مَجْـدُولُ

٥٧-ليسوا مَفَارِيحَ إن نَـالَتْ رِمَاحُـهُم ... قَوْمًـا وَلَيْسُـوا مَجَازِيعًـا إذا نِيلُـوا

٥٨-يمشون مشي الجمالِ الزُّهْرِ يعصِمُـهُمْ ... ضَـرْبٌ إذا عَـرَّدَ السُّـودُ التَّنَـابِيلُ

٥٩-لا يقـعُ الطَّعْـنُ إلا في نُحُورِهِـمُ ... وما لهم عن حِيَـاضِ المَـوْتِ تَـهليل

شرح أبيات القصيدة

اللغة :

١- بانت : فارقت فراقا بعيدا.

مكبول: لا يجد من قيده فكاكا.

لم يفد : لم يخلص من الأسر.

٢- غداة البين: صبيحة الفراق.

أغن : ظبي صغير في صوته حسن .

٣- هيفاء: ضامرة البطن والخصر.

عجزاء: كبيرة العجز.وهو الردف.

متبول : أسقمه الحب وأضناه.

متيم : ذليل مستعبد.

غضيض الطرف: فاتر الجفن.

مكحول : بعينيه كحل (سواد يعلو جفنيهما).

لا يشتكي : لا يعاب.

٤- تجلو : تصقل وتكشف. العوارض: جمع عارضة : الأسنان.

ظلم : ماء الأسنان وبريقها ورقتها. المنهل: المسقى والنهل الشرب الأول.

الراح : الخمر. معلول : اسم مفعول من علة والعلل الشرب الثاني.

١- تخيل الشاعر كعب أن له محبوبة غادة حسناء ابتعدت عنه ابتعاد السها فآلمه فراقها وصار قلبه في غاية الضنى والسقم والذل والأسر.

٢- وأنها في وقت الفراق الذي هو وقت الرحيل شبيهة بالظبي في ثلاث خلال مستحسنة :

(١) غنة في صوت ورخامة يستلذ بسماعها.

(٢) غض الطرف والحياء الوافر والأدب الجم.

(٣) الكحل والجمال الفطري في عينيها.

٣- ويتصورها الناظر غصنا نضيرا وقامة بديعة دقيقة الخصر حال كونها مقبلة عليه بمحياها السني ووجهها البدري ويراها ممتلئة الجسم في حال الإدبار ولا يعاب قصرها ولا يذم طولها بل هي ربعة متوسطة القد في وضع محكم.

٤- وتتبسم عن جمان وتكشف عن أسنان حسان ذات بريق ولمعان وأطيب ثغرها كأنه مسقى بالراح نهلا ثم عللا . . .

اللغة:

٥- شجت : مزجت حتى انكسرت سورتها وهدأت. ذي شبم : ماء شديد البرد.

محنية : منعطف الوادي، ماؤه أصفى وأبرد. أبطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى.

أضحى : أخذ في وقت الضحى.

مشمول : ضربته ريح الشمال حتى برد.

٦- القذى : ما يقع في الماء من تبن أو عود أو غيره. أفرطه: سبق إليه وملأه.

صوب غادية: مطر سحابة مبكرة.

بيض يعاليل: حباب يعلو وجه الماء أو الجبال الشديدة البياض ينحدر عليها ماء المطر.

٧- خلة : صديقة وخليلة.

٨-سيط : خلط بلحمها ودمها. فجع : إصابة بمكروه كهجر وصد.

إخلاف: خلف الوعد. ولع : كذب في إخفاء المحبة وتقاصيها.

المعنى:

٥- مزجت تلك الراح بماء بارد أخذ من منعطف الوادي صاف في مسيل واسع في دقاق الحصى وقت الضحى مرت به ريح الشمال.

٦- وتزيل الرياح القذى عنه حتى لم يبق فيه ما يكدره وأن ذلك الأبطح ملأته الفقاقيع البيض التي نشأت من مطر السحابة الغادية.

٧- وأنها كريمة صديقة ولو أنها صدقت في الوعد وقبلت النصح لكانت على أتم الخلال وأكمل الأحوال.

٨- وأن محبوبته ابتلى بحبها فرآها متصفة بهذه الأخلاق حتى صارت طبيعة مختلطة بدمها ممزنة سجية لها لا طمع في زوالها عنها.

اللغة:

٩- الغول : ساحرة الجن ترى في الفلاة بألوان شتى، والجمع أغوال.

١٠- ولا تمسك: أي ولا تتمسك.

١١- فلا يَغُرَّنْكَ : فلا يخدعنك.

ما منت: الذي منتك إياه وحملتك على ترجيه من الوصل.

الأماني: الآمال التي يرجوها الإنسان. الأحلام: ما يراه النائم.

تضليل: سبب في الضلال وضياع الزمان.

١٢- عرقوب : مثل عربي لرجل يضرب في خلف الوعد. الأباطيل : جمع باطل.

١٣- تدنو : تظهر . إخال : أظن. تنويل : وصل وعطاء.

المعنى:

٩- محبوبته سعاد لا تدوم على حال وتتغير من حال إلى حال فتتلون بألوان شتى وترى في صور مختلفة كما تتلون الغول في أثوابها بألوان جمة.

١٠- ولا تتمسك بالعهد الذي تكلفت الوفاء به إلا تمسكا يشبه إمساك الغرابيل للماء في العدم.

١١- ولا تغتر بما حملتك سعاد على تنميه منها من ترك هجرها فإن ما يتمناه الإنسان أو يراه في منامه سبب في الضلال وضياع الزمان بلا فائدة.

١٢- وضرب الشاعر مثلا لمواعيد سعاد بهذا الرجل الكذوب فمواعيدها باطلة.

١٣- ويفتح الله تبارك وتعالى باب الرجاء والأمل عسى أن نفوز بوصلك، وإن كان الجفاء بك شديدا، ولكن لا أظن عطاء منك. هيهات !هيهات!

اللغة:

١٤- العتاق: الكرام ، المفرد: عتيق . المراسيل: جمع مرسال، السريعة.

النجيبات: جمع نجيبة، القوية الخفيفة.

١٥- العذافرة : الناقة الصلبة العظيمة. الأين: الإعياء والتعب.

إرقال وتبغيل: ضربان من السير السريع.

١٦- نضاخة: كثيرة رشح العرق. الذفرى : النقرة التي خلف أذن الناقة.

عرضتها: همتها.

طامس الأعلام: الدارس المتغير العلامات التي تكون في الطريق ليهتدي بها.

١٧- (النجاد) جمع نجد ما ارتفع وعلا. مفرد : ثور وحشي انفرد في الصحراء.

لهق : أبيض.

الحُزان: الأمكنة الغليظة الصلبة تكثر فيها الحصباء جمع حزين. الميل جمع ميلاء العقدة الضخمة من الرمل.

المعنى:

١٤- أمست سعاد بأرض لا يبلغها، محبوبته بأرض بعيدة لا يوصل إليها إلا الإبل السريعة.

١٥- لا يبلغ تلك الأرض إلا ناقة صلبة عظيمة قوية على السير.

١٦- وأن هذه الناقة كثيرة العرق وذلك لا يكون إلا مع اشتداد في السير وجهد نفسها فيه ، وأنها عارفة للطريق الدارس الأعلام المجهول المسالك، لكثرة أسفارها وسلوكها المفازات خبيرة بصيرة.

١٧- وأن هذه الناقة في غاية من حدة البصر، فتبصر ما غاب من آثار الطريق عن العيون بعينيها الشبيهتين بعيني الثور الوحشي الأبيض وقت اشتداد الحر في الأمكنة الغليظة الصلبة والرمال المنعقدة الضخمة.

اللغة:

١٨- مقلد : موضع القلادة في العنق. مقيد : موضع القيد يريد قوائمها.

فعم : ممتلئ. بنات الفحل: الإناث من الإبل.

١٩- غلباء: غليظة العنق. علكوم: شديدة .

وجناء : عظيمة الوجنتين. مذكرة: عظيمة الخلقة تشبه الذكر.

الدف : الجنب أي واسعة الجنبين. قدامها ميل: كناية عن طول عنقها أو سعة خطوها.

٢٠- أطوم: سلحفاة بحرية غليظة الجلد. ما يؤيسه: ما يذلله أو لا يؤثر فيه.

طلح: قراد، دويبة تلزق في الجلد. الضاحية : ناحيته البارزة للشمس.

أراد بالمتنين ما اكتنف صلبها عن يمين وشمال.

٢١- حرف : ناقة ضامرة.

أبوها أخوها: مداخلة النسب في الكرم أي لم يدخل في نسبها غير أقاربها.

مهجنة: كريمة الأبوين من الإبل. قوداء: طويلة الظهر والعنق.

شمليل: خفيفة سريعة.

٢٢- يزلقه : يسقطه. أقراب : خواصر واحدها قرب.

لبان: صدر. زهاليل: ملس جمع زهلول.

المعنى:

١٨- يصف كعب الناقة بضخامة عنقها وبعظم قوائمها وقوتها في السير وطاقتها على نقل الحمل وحسن تكوينها.

وأنها ناقة واسعة الجنبين واسعة الخطى.

٢٠- وجلد ناقته في غاية النعومة والملاسة.

اللغة :

٢٣- عيرانة: ناقة تشبه عير الوحش في سرعته ونشاطه وصلابته.

النحض : اللحم. مرفق: موصل الذراع في العضد.

عرض : جانب. بنات الزور: ما يتصل به مما حول المرفق من الأضلاع وغيرها. مفتول: مدمج محكم.

٢٤- فات: تقدم. مذبحها: منحرها. الخطم : الأنف وما حوله.

مفتول : مدمج محكم. اللحيان: العظمان اللذان تنبت عليهما الأسنان السفلى.

برطيل : حجر مستطيل أو معول من حديد.

٢٥- عسيب النخل : جريده الذي لم ينبت عليه الخوص. في غارز: على ضرع.

ذا خصل : ذيل له لفائف من الشعر. لم تُخَوِّنْهُ: لم تنقصه.

الأحاليل : مخارج اللبن جمع إحليل.

٢٦- قنواء : محدودبة الأنف. الحرتان: الأذنان. عتق : كرم.

مبين : ظاهر. تسهيل: سهولة ولين.

المعنى :

وأن وجه هذه الناقة من الأنف واللحيين يشبه الحجر المستطيل وتمر ذنبا مثل جريدة النخل في الغلظ والطول كثير الشعر على ضرع لم تنقصه مخارج اللبن لكونها لا تحلب وهي محدودبة الأنف (وجناء) يظهر للعارف بالإبل الكرم كرم ظاهر في أذنيها وطولهما ونجابة في خديها سهولة وليونة في حرتيها.

اللغة:

٢٧- تخدي : تسرع. يسرات: قوائم خفاف.

لاحقة: سابقة. ذوابل جمع ذابل : الرمح الصلب اليابس. تحليل: قليل لم يبالغ فيه.

٢٨- العجايات: الأعصاب المتصلة بالحافر. زيما : متفرقة.

الأكم: الأرض المرتفعة. تنعيل: شد النعل على ظفر الدابة ليقيها الحجارة.

٢٩-أوب : سرعة التقلب والرجوع. القور: جمع قارة الجبل الصغير.

تلفع: اشتمل والتحف. العساقيل: السراب والمقصود تلفعت القور بالعساقيل.

٣٠- الحرباء: ضرب من الغطاء. ضاحيه : ما برز للشمس منه.

مصطخدا: محترقا بحر الشمس. مملول : محروق.

اللغة:

٣١-الحادي : سائق الإبل.

ورق: هو الأخضر الذي يضرب إلي السواد.

جندب: ضرب من الجراد. يركضن الحصى: يدفعنه.

قيلوا : خذوا راحتكم وقت القيلولة.

٣٢-شد النهار : وسطه وارتفاعه (شدة القيظ) عيطل: طويلة.

نصف: متوسطة في السن بين الشابة والكهلة.

نكد : جمع نكداء التي لا يعيش لها ولد.

مثاكيل: جمع مثكال كثيرة فقد الأولاد، ذراعا عيطل: خبر لقوله: كأن أوب ذراعيها.

٣٣- نواحة: كثيرة النوح على ميتها. رخوة الضبعين: مسترخية العضدين.

بكر : أول الأولاد. الناعون: المخبرون للموت النادبون له.

مقعول : عقل .

٣٤- تفري: تقطع. اللبان : الصدر. الدرع : القميص. مشقق: به شقوق كثيرة.

التراقي: جمع ترقوة: عظام الصدر التي تقع عليها القلادة. رعابيل : قطع.

المعنى:

يتصور كعب-رضي الله عنه-قوما رحلا وقد بلغ الحر غايته فأمر حادي العيس بالاستراحة من حمارة القيظ لينشط الإبل:

ثم تخيل كعب نسوة اجتمعن يندبن فلذات أكبادهن ويضربن خدودهن حزنا، ومن حركات لطم الوجه يرى الرائي سرعة حركة عدو الناقة.

٣٣- نواحة ، إن هذه المرأة كثيرة النوح على ميتها مسترخية العضدين فيداها سريعتان

في الحركة ولما أخبرها الناعون بموت أول أولادها لم يبق لها عقل فهي لا تحس بالإعياء والتعب شأن ناقته لا تحس بإعياء في سيرها ولا تعب في جريها.

٣٤- تفري اللبان.

هذه المرأة تقطع مدرعها وتمزق ثوبها بأناملها لذهاب عقلها من شدة الحزن فقميصها مشقوق عن عظام صدرها قطعا كثيرة ،كذلك ناقته هائمة في سرعة السير رجاء الفوز في السبق والوصول إلي حبيبته.

اللغة:

٣٥- الغواة: الوشاة المفسدون جمع غاو. مقتول : متوعد بالقتل.

جنابيها: حواليها . تثنية جناب.

٣٦- آمله : أترجى إعانته لي في الملمات.

لا ألهينك: لا أشغلك عما أنت فيه من الخوف فاعمل لنفسك.

٣٧-خلوا سبيلي: اتركوني وشأني لأمتثل بين يدي رسول الله ﷺ لأنه تحقق أنهﷺ يقبل من جاء إليه تائبا ولا يطالب بما كان قبل الإسلام.

٣٨- آلة حدباء: نعش يحمل عليه الميت.

المعنى:

٣٥- تمشي الوشاة بجنبيها.

أ-كعب بين أعداء يسعون للتفرقة بينه وبين سعاد.

ب-ودعاة الشماتة به وتخويفه من رسول اللهﷺ وقد أهدر دمه وتباعد عنه أخلاؤه والكل ينأى بنفسه أن يتقرب من كعب رغبة أن يسلم دينه ويثبت خيره ويزول عنه ضيره.

فيضع الله الإيمان في قلب كعب ويلجأ إلى الله سبحانه وتعالى الذي قدر كل شيء وعليه الاعتماد والاستناد والتكلان. ويقول كعب القولة المشهورة: كل إنسان صائر إلي الموت طالت سلامته أو قصرت فلا يشمت بي أحد إذا هلكت.

اللغة:

٣٩-نبئت : أخبرني قومي. أوعدني : هددني بالقتل. مأمول : مرجو، مطموع فيه.

٤٠- نافلة القرآن: زيادة على النبوة.

٤١- لم أذنب: لم أخطئ في حقك.

٤٣- تنويل: تأمين وعطية وأمان. يرعد: تأخذه الرعدة والخوف. لظل: لاستمر.

المعنى:

٣٩- أخبرني العداة المفسدون أن رسول اللهﷺ يهددني بالقتل وجعل دمي مباحا لمن استحل قتلي حبا في نصر دين الله ولكن عفو رسول الله شملني وتحليت بمحاسن عفوه.

٤٠- رفقا بي يا رسول الله وتأن في معاملتي بالحسنى زادك الله إرشادا وسدادا، ومنحك الفضل ، وعلمك العلم ، وكساك الحكمة، وأعطاك مزايا النبوة.

٤١- لا تأخذني : هذا البيت من تتمة استعطاف رسول اللهﷺ والتلطف في القول أي لا تستبح دمي بسبب أقوال الوشاة الساعين بيني وبينك بالإفساد والكذب والبهتان.

٤٢- لقد أقوم مقاما لو يقوم به ...

والله لقد حضرت مجلس رسول اللهﷺفشعرت بالهيبة. لو حضر الفيل لاضطرب من شدة الفزع. والمراد تعظيم هذا المجلس وزيادة وقار رسول اللهﷺ.

٤٣- ولن يسكن روعه إلا إذا أمنه سيد القوم -رسول الله ﷺ وشمله عطفه، وأظلته إنسانيته ورأفته ورحمته ﷺ.

لظل يرعد إلا أن يكون له من الرسول بإذن الله تنويل

يسوق كعب رضي الله عنه دلائل توحيد الله جل وعلا وبراهين عظمة رسول اللهﷺوأن الوحوش مهما قويت ترتعد فرائصها في مجلس رسول اللهﷺإلا إذا أمنها رسول الله.

اللغة:

البيداء : الصحراء. مسبول : مسدول مستور.

ذي نقمات: جمع نقمة شديدة السطوة. لا أنازعه : أطيعه راضيا بحكمه.

قيله : قوله النافذ. أخوف : أشد إرهابا.

يبذل كعب جهد الطاقة في وعثاء السفر وتحمل مشاقه في السير.

المعنى:

٤٤- ما زلت أقتطع البيداء .

استمر كعب في السفر يقطع المفازة منتهزا كل فرصة في قطع المسافات البعدة مستعينا بنسيم الليل ونفحات السحر وقد أرخى الليل ستوره.

٤٥- حتى وصل بالسلامة فوضع يمينه في كف النبيﷺ صاحب الانتقامات من الكافرين الذي قوله هو القول النافذ وأمره المطاع.

٤٦- فلهو أخوف عندي ...

وإن النبيﷺ أشد هيبة وأكثر رهبة عند كعب رضي الله عنه وقت كلامه معهﷺ.

اللغة:

٤٧- ضيغم : أسد ضراء الأرض: التي فيها شجر. مخدر : غابة الأسد.

عثر: مكان مشهور بكثرة السباع. غيل: شجر كثير ملتف أي أجمة تقربها أجمة أخرى.

٤٨-يغدو: يخرج في أول النهار يتطلب صيدا لولديه. يلحم : يطعم لحما.

معفور: ملقى في التراب. ضرغامين: شبلي الأسد. خراديل: قطع صغار.

٤٩- يساور : يواثب. القرن: المقاوم في الشجاعة. مفلول: مكسور مهزوم.

٥٠- الجو : ما اتسع من الأدوية. ضامزة: ساكنة.

الأراجيل: جماعات من الرجال . جمع أرجال.

المعنى :

٤٧- يصور كعب هيبة رسول اللهﷺ تصويرا محسوسا يفهمه السام بأشد وقار واحترام ورهبة من أسد كاسر من أجلد الأسود وأقواها مستترا في عرينه في أجمة عثر.

٤٨- يغدو مبكرا جالبا قوت شبليه ويصفه بكثرة الافتراس وعظيم الاصطياد.

٤٩- يساور الأقوياء الزملاء الأمثال من المساورة وهي المواثبة التي هي مفاعلة من الجانبين لأن كلاهما يثب على الآخر ليفترسه.

ويخص في العراك قرنه إشارة إلي أنه سيد قوي فائز منصور لا يقاوم ضعيفا ولا يؤذي جبانا وإنما يهجم ويساور مقاومه في الشجاعة ومساويه في القوة وهذه طريقة الشجعان الأفذاذ في الحرب حتى إن أحدهم إذا برز له من دونه في الشجاعة لا يبرز له ولا يقابله ويطيب له أن يلزم خصمه ويرميه ملقى الجدالة وينبذه نبذ النواة.

٥٠-منه تظل: من هذه الخلال ترى الأسد مهابا بين أضرابه يحوطه الإجلال وتخشى سلطانه جميع سباع ما اتسع من الوادي أو البر الواسع ولن يسمع لها صوتا مزعجا ولا حركة ، مقلقة مؤلمة ويهابه الرجال أجمعون لا يمشون نحو عرينه ولا يسكنون في واديه.

٥١- ولا يزال يمر بوادي هذا الأسد شجاع أخو ثقة إلا أكله وطرح ثيابه التي مزقها فلا يولع إلا بالشجعان ولا يلتفت لغير الأقوياء.

يقرب كعب شخصية رسول الله ﷺ العظيمة بذكر الفيل والأسد وهما المثلان في القوة الظاهران للعرب المحسوسان للناظرين فيشعر السامع باقشعرار الفيل في مجلس الرسولﷺ هيبة إلال إذا صدر منه الأمان والاطمئنان عليه الصلاة وأزكى السلام.

ب- وسيدنا رسول اللهﷺأرهب من ضيغم خادر غادر متوحش في أجمة سلطان الحيوان وفاتك بالإنسان وغالب الأقران قاطع الطريق لا تمس الوحوش خوفا منه وتتباعد عنه الأبطال فرارا منه والواثق بنفسه مهدر دمه مباح أكله.

اللغة :

٥٢- يستضاء به : يهتدى به إلي الحق. مسلول : مخرج من غمده.

مهند: من سيوف الهند وهي أجود أنواع السيوف.

المعنى:

رجع كعب رضي الله عنه إلي تمام مدح رسول اللهﷺ وأكد أنه الشمس المشرقة التي تضيء سبل السعادة والحكمة والحق، ثم جعله سيفا صارما نسبة إلي أحسن السيوف(مهند) ثم أضافه الرسولﷺ إلى صانعه القدير العزيز الحكيم جل وعلا.

وقد كانت عادة العرب أنهم إذا أرادوا استدعاء من حولهم من القوم شهروا السيف

الصقيل فيبرق فيظهر لمعانه من بعد فيأتون إليه طائعين مختارين مهتدين بنوره رمز القـــوة والسطان ومؤتمين بهديه خشية الذل والهوان.. وكذلك جاء محمدﷺفـــأرهب المنـــافقين والكافرين.

اللغة :

عصبة: جماعة ما بين العشر إلي الأربعين.

زولوا: تحولوا وانتقلوا عن مكة إلي المدينة.

٥٤-أنكاس، جمع نكس: الرجل الضعيف المهين.

كشف ، جمع أكشف: الذي لا ترس معه. ميل : جمع أميل ، الذي لا سيف له أو الذي لا يحسن الركوب.

معازيل: الذين لا سلاح معهم، المفرد معزال.

٥٥- شم ، جمع أشم، وأشم العرنين: الذي في قصبة أنفه علو مع استواء أعلاه، وهـــو علامة السيادة والكرم. اللبوس: ما يلبس. نسج داود: الدروع. الهيجا: الحرب.

سرابيل: جمع سربال، القميص أو الدرع.

٥٦- بيض: مجلوة صافية مصقولة، المفرد أبيض.

السوابغ: الطوال التامة من السرابيل جمع سابغ. شكت: أُدخل بعضها في بعض.

القفاء: نبات له شوك ينبسط على وجه الأرض تشبه به حلق الدروع يشبه الحسك.

مجدول: محكم الصنعة. حلق : جمع حلقة.

المعنى:

٥٣- في فتية جمع فتى، السخي : الكريم..

الله أكبر! محمد رسول اللهﷺ يتلألأ كوكبه في سماء المجد والعزة في فتية مـــن المـــهاجرين الأعزاء السعداء اختاروا الهجرة الميمونة من أوطانهم ليفوزوا بدينهم: قـــال الله تعـــالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾.(١)

---

(١) سورة النساء : ١٠٠.

٥٤-لبى أصحاب رسول الله ﷺ داعي الهجرة حبا في نصر دين الله وانتفت عنهم صفات الضعف والذلة والجبن، والمهاجرون كلهم أقوياء، ذوو أسلحة حادة كلما سمعوا صيحة طاروا إليها فرحا بالدفاع عن رسول الله ﷺ وقاموا على الحق والذود عنه وثبتوا عند الشدائد وهم فرسان عند اللقاء مكبتوا الأعداء.

شم العرانين -رضي الله عنهم- بمعنى أن الله رفع قدرهم وأعلى شأنهم في الدنيا شجعان يتحلون بالدروع الواقية وتوجد عندهم الأسلحة الكافية المانعة.

٥٥- البيضاء: النقية. الطويلة : التامة تداخل بعضها في بعض محكمة الصنعة ويلزم من طول الدروع قوة لابسها إذا حملها مع طولها يدل على القوة والشدة نحو طويل النجاد رفيع العماد.

اللغة :

٥٧-مفاريح: كثيروا الفرح المفرد مفراح. نيلوا: أصيبوا.

مجازيع: كثيروا الجزع المفرد مجزاع.

٥٨-الزهر : البيض جمع أزهر. يعصمهم: يمنعهم.

عرَّد: أعرض عن قرنه وهرب منه. التنابيل : جمع تنبال. القصير.

٥٩-حياض الموت: موارد الحتف، ساحات القتال. تمليل: تأخر. فرار.

المعنى:

٥٧-امتاز أصحاب رسول الله ﷺ بأنهم مؤمنون بالله حقا لا يفرحون إذا غلبوا وإذا قهرهم العدو لا يجزعون من لقائه ثانيا ثقة بنصر الله.

٥٨-أصحاب رسول الله وفده المنصور يمشون إلى الحرب مشي الجمال البيض ويمنعهم من الأعداء ضربهم لهم وقت فرار القوم ومن لازم ذلك كمال شجاعتهم وغاية رسوخهم في أمر المحاربة.

أصحاب رسول الله سادة قادة ينصرهم الله في كل موقعة يستقبلون الأعداء وجوها لوجه لا يشعرون بهزيمة ولا يرون اندحارا، وليس لهم من الأمكنة التي فيها مجتمع الموت ومواطن الكر والفر والضرب والهجوم تأخر.

حسان بن ثابت

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي.

أبو الوليد الصحابي، شاعر النبي (صلى الله عليه وسلم) وأمه الفريعة خزرجية أيضا، أدركت الإسلام فأسلمت وبايعت.

قال أبو عبيدة: فضل حسان بن ثابت على الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي (صلى الله عليه وسلم) في أيام النبوة،وشاعر اليمن كلها في الإسلام.

في الصحيحين عن البراء أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال لحسان: اهجهم أو هاجهم وجبريل معك. وفي رواية: إن روح القدس مع حسان ما دام ينافح عن رسول الله ﷺ .

عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام فهو من الشعراء المخضرمين، وكان من سكان المدينة، واشتهرت مدائحه في الغسانيين، وملوك الحيرة قبل الإسلام، وعمي قبيل وفاته.

وكان شديد الهجاء، فحل الشعراء، توفي في المدينة وهو ابن عشرين ومائة سنة.

له ديوان مطبوع.

بطيبة رسم للرسول ﷺ

قال رضي الله عنه يرثي النبي ﷺ:

بِطَيْبَةَ رَسْمٌ للرَّسُولِ وَمَعْهَدُ ... مُنِيرٌ، وَقَد تَعْفُو الرُّسُومُ وتَهْمَدُ

ولا تَنْمَحي الآياتُ مِن دارِ حُرمَةٍ ... بها مِنْبَرُ الهادي الذي كانَ يَصْعَدُ

وواضِحُ آياتٍ، وَبَاقي مَعَالِمٍ، ... وَرَبْعٌ لَهُ فيهِ مُصَلىً وَمَسْجِدُ

بها حُجُرَاتٌ كَانَ يَنْزِلُ وسْطَها ... مِنَ اللهِ نورٌ يُسْتَضَاءُ، ويُوقَدُ

مَعالِمُ لَمْ تُطْمَسْ على العَهدِ آيُها ... أتَاها البِلَى، فالآيُ منها تَجَدَّدُ

عرَفْتُ بِها رَسْمَ الرّسولِ وعَهْدَهُ، ... وَقَبْرًا بِهِ وَارَاهُ في التُّرْبِ مُلْحِدُ[1]

ظَلِلْتُ بِها أبكي الرّسولَ، فأسْعدَتْ ... عُيونٌ، وَمِثْلاها مِنَ الجَفْنِ تُسعِدُ[2]

تَذَكَّرُ آلاءَ الرّسولِ، ومَا أرَى ... لَها مُحصِيًا نَفْسي، فنَفسي تبلَّدُ[3]

مُفجَّعَةٌ قَدْ شَفَّهَا فَقْدُ أحْمَدٍ، ... فَظَلَّتْ لآلاءِ الرّسُولِ تُعَدِّدُ

ومَا بَلَغَتْ مِنْ كلِّ أمْرٍ عُشَيْرَةٌ، ... وَلكِنَّ نَفْسي بعضَ مَا فيهِ تَحمَدُ

أطالتْ وُقوفًا تَذْرِفُ العَينُ جُهدَها ... عَلى طَلَلِ القَبْرِ الذي فِيهِ أحْمَدُ

فَبورِكتَ، يا قبرَ الرَّسولِ، وَبُورِكتْ ... بِلادٌ ثَوَى فيهَا الرّشيدُ المُسدَّدُ[4]

وَبُورِكَ لَحْدٌ منكَ ضُمِّنَ طَيِّبًا، ... عَلَيهِ بناءٌ من صفيحٍ، مُنَضَّدُ

تَهيلُ عَلَيْهِ التُّرْبَ أَيْدٍ وأَعْيُنٌ ... عليهِ، وقدْ غارَتْ بذلِكَ أسْعُدُ[5]

لقد غَيَّبُوا حِلْمًا وعِلْمًا وَرَحْمَةً، ... عَشِيَّةَ عَلَّوْهُ الثَّرَى، لا يُوَسَّدُ

وَرَاحوا بحُزنٍ ليسَ فيهِمْ نَبِيُّهُمْ، ... وَقَد وَهَنَتْ منهُمْ ظُهورٌ، وأعْضُدُ

يَبكُون مَن تَبكي السَّمواتُ يَوْمَهُ ... وَمَن قدْ بَكَتْهُ الأرْضُ فالناسُ أكْمَدُ[6]

---

(١) مُلْحِدُ: يقصد من ألحد الرسول -صلى الله عليه وسلم- في قبره.

(٢) أسعدت: أعانت .

(٣) تبلد: تتحير .

(٤) المسدد: الذي وفقه الله للسداد، أي: للصواب .

(٥) تهيل: تصب. وقوله: وأعين، أراد وأعي تصب عليه الدمع.

(٦) أكمد: أحزن .

وَهَلْ عَدَلَتْ يَومًا رَزِيَّةُ هَالِكٍ ... رَزِيَّةَ يَوْمٍ ماتَ فِيهِ مُحَمَّدُ

تَقَطَّعَ فِيهِ مَنْزِلُ الوَحْيِ عَنْهُمُ، ... وقد كان ذا نورٍ، يَغورُ ويُنْجِدُ

يَدُلُّ علي الرَّحمنِ مَنْ يَقْتَدي بِهِ، ... وَيُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الخَزَايا وَيُرْشِدُ

إمامٌ لَهُمْ يَهْديهِمُ الحقَّ جَاهِدًا، ... مُعلِّمُ صِدْقٍ، إنْ يُطيعوهُ يسعَدوا

عَفُوٌّ عن الزلاتِ، يَقبلُ عُذْرَهمْ، ... وَإنْ يُحْسِنوا، فاللهُ بالخَيرِ أجْوَدُ

وَإنْ نابَ أمْرٌ لم يَقوموا بحَمْدِهِ، ... فَمِنْ عِندِهِ تَيْسيرُ مَا يَتَشَدَّدُ

فَبَيْنَا هُمُ في نِعْمَةِ اللهِ بَيْنَهُمْ ... دليلٌ بِهِ نَهْجُ الطَّريقَةِ يُقْصَدُ

عزيزٌ عليْهِ أنْ يَحِيدوا عن الهدَى، ... حَريصٌ علي أن يَسْتَقِيموا وَيهتَدوا

عَطُوفٌ عَليهِمْ، لا يُثَنِّي جَنَاحَهُ ... إلي كَنَفٍ يَحْنو عليهم وَيَمْهِدُ[1]

فَبَيْنَا هُمُ في ذلكَ النّورِ، إذْ غَدَا ... إلى نُورِهِمْ سَهمٌ من المَوْتِ مُقصِدُ[2]

فأصْبَحَ مَحْمُودًا إلي الله رَاجِعًا، ... يُبَكِّيهِ جَفْنُ المُرسَلاتِ وَيَحْمَدُ[3]

وَأمستْ بِلادُ الحُرْمِ وَحشًا بقاعُها، ... لِغَيْبَةِ ما كانَتْ مِنَ الوَحْيِ تَعْهَدُ[4]

قِفارًا سِوَى معمورةِ اللَّحْدِ ضَافَها ... فَقِيدٌ، يُبَكِّيهِ بَلاطٌ وغَرْقَدُ[5]

وَمَسْجِدُهُ، فالموحِشاتُ لفَقْدِهِ، ... خَلاءٌ لَهُ فِيهِ مَقامٌ وَمَقْعَدُ

وبالجمْرَةِ الكُبْرَى لَهُ ثَمَّ أوْحشَتْ ... دِيارٌ، وعَرْصَاتٌ، وَرَبْعٌ، وَمولِدُ

فَبَكِّي رَسولَ اللهِ يا عَينُ عَبْرَةً ... ولا أعْرِفَنْكِ الدَّهْرَ دَمْعَكِ يَجْمَدُ

وَمَا لَكِ لا تَبْكِينَ ذا النِّعْمَةِ الَّتي ... علي النَّاسِ مِنْها سابغٌ يَتَغَمَّدُ[6]

فَجُودي عَلَيْهِ بالدّموعِ وَأعْوِلي ... لِفَقدِ الذي لا مِثْلُهُ الدَّهْرَ يُوجَدُ

---

(١) الكنف: الجانب. يمهد: يوطئ .

(٥) المقصد: المصيب .

(٣) المرسلات: أراد الملائكة المستترة عن عيون الآدميين .

(٤) الحرم: مكة. وحشًا: قفرًا .

(٥) الغرقد: ضرب من شجر العضاه، واسم مقبرة أهل المدينة لوجود هذا الشجر هناك .

(٦) يتغمد: يستر .

وَمَا فَقَدَ الماضُونَ مِثْلَ مُحَمّدٍ، ... ولا مِثْلُهُ، حتّى القِيامَةِ، يُفْقَدُ

أعَفُّ وَأوْفَى ذِمّةً بَعْدَ ذِمّةٍ، ... وَأقْرَبَ مِنْهُ نائِلاً، لا يُنَكَّدُ[1]

وَأبْذَلَ مِنهُ للطَّريفِ وَتالِدٍ، ... إذا ضَنَّ مِعْطاءٌ، بِما كانَ يُتْلِدُ[2]

وأكرَمَ حَيًّا في البُيوتِ، إذا انتمى، ... وأكْرَمَ جَدًّا أبْطَحِيًّا يُسَوَّدُ

وَأمْنَعَ ذِرْوَاتٍ، وأثْبَتَ في العُلى ... دَعائِمَ عِزٍّ شَاهِقاتٍ تُشَيَّدُ

وَأثْبَتَ فَرْعًا في الفُروعِ وَمَنْبِتًا، ... وَعُودًا غَداةَ المُزْنِ، فالعُودُ أغْيَدُ[3]

رَباهُ وَلِيدًا، فَاسْتَتَمّ تَمامَهُ ... على أكْرَمِ الخيرَاتِ، رَبٌّ مُمجَّدُ

تَناهَتْ وَصَاةُ المُسلِمِينَ بِكَفِّهِ، ... فَلا العِلمُ مَحْبوسٌ، ولا الرَّأيُ يُفْنَدُ

أقُولُ، ولا يُلْفَى لِقَولِيَ عائِبٌ ... منَ النّاسِ، إلاّ عازِبُ العقلِ مُبْعَدُ

وَلَيسَ هَوَائي نازِعًا عَنْ ثَنائِهِ، ... لَعَلّى بِهِ في جنَّةِ الخُلْدِ أخْلُدُ

مَعَ المُصْطَفَى أرْجو بِذاكَ جِوارَهُ، ... وفي نَيْلِ ذاك اليَومِ أسْعى وأجْهَدُ

---

(١) النائل: العطاء. لا ينكد: لا يكدر .

(٢) الطريف: المال المحدث. التالد: المال القديم. يتلد: يتخذ من مال .

(٣) أغيد: ناعم متين .

نموذج من الشعر الأموي

عمر بن أبي ربيعة

هو أبو الخطاب وأبو حفص، عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي، القرشيّ، أرق شعراء عصره، من طبقة جرير والفرزدق، و لم يكن في قريش أشعر منه.

ولد في نفس الليلة التي توفى بها عمر بن الخطاب فسمي باسمه، وكان أبوه في الجاهلية يسمى "بجيرا" فسماه الرسول عبدالله، وكان جده أبو ربيعة يسمى ذا الرمحين، قيل: لأنه كان طويل القامة فكأنه يمشي على رمحين، وقيل لأنه قاتل يوم عكاظ برمحين .

كان ابن أبي ربيعة يفد على عبدالملك بن مروان فيكرمه ويقربه، ورفع إلى عمر بن عبدالعزيز أنه يتعرض للنساء في الحج ويشبب بهن، فنفاه إلى "دهلك".

غزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه، فمات فيها غرقًا. له ديوان شعر مطبوع.

ليت هندًا

لَيْتَ هِنْـدًا أَنْجَزَتْنَـا مَـا تَعِـدْ ... وَشَفَتْ أَنْفُسَـنَا مِمَّـا تَجِـدْ[1]

وَاسْـتَبَدَّتْ مَـرَّةً وَاحِـدَةً ... إِنَّمَـا الْعَـاجِزُ مَـنْ لاَ يَسْـتَبِدْ

زَعَمُوهَـا سَـأَلَتْ جَارَاتِهَـا ... وَتَعَـرَّتْ ذَاتَ يَـوْمٍ تَبْـتَرِدْ[2]

أَكَمَـا يَنْعَتُنِـي تُبْصِرُنَنِـي ... عَمْرَكُـنَّ اللهَ أَمْ لاَ يَقْتَصِـدْ[3]

فَتَضَـاحَكْنَ وَقَـدْ قُلْـنَ لَهَـا : ... حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَـنْ تَـوَدّ[4]

حَسَـدًا حُمِّلْتَـهُ مِـنْ شَـأْنِهَا ... وَقَدِيمًا كَـانَ فِي النَّـاسِ الْحَسَـدْ

غَـادَةٌ تَفْتَرُّ عَـنْ أَشْـنَبِهَا ... حِينَ تَجْلُـوهُ أَقَـاحٍ أَوْ بَـرَدْ[5]

وَلَهَـا عَيْنَـانِ فِي طَرْفَيْـهِمَا ... حَوَرٌ مِنْهَا، وَفِي الْجِيـدِ غَيَـدْ[6]

طَفْلَـةٌ بَـارِدَةُ الْقَيْـظِ إِذَا ... مَعْمَعَانُ الصَّيْفِ أَضْحَى يَتَّقِـدْ[7]

---

(١) أنجزتنا: جعلت وعدها ناجزا، و(ما) في قوله (ما تعد) يجوز أن يكون حرفا مصدريا: أي أنجزتنا وعدها، ويجوز أن تكون اسما موصولا: أي أنجزتنا الذي تعده، وكذلك (ما) في قوله (مما تجد) .

(٢) وقع في ب (سألت جارتها) ولا يتفق مع الضمائر في الأبيات التالية، وفي الأغاني وغيره (ولقد قالت لجارات لها) والواو في قوله (وتعرت) واو الحال، و(قد) مقدرة بعدها، وتقدير الكلام: وقد تعرت ذات يوم، وتبترد: أي تجلب البرد بسبب شدة القيظ .

(٣) ينعتني: يصفني، ولا يقتصد: أراد أنه يغلو في وصفها ويتزيد، وعمركن الله، جملة قسمية اعترض بها بين المتعاطفين، وتقديرها: أقسم عليكن بتعميركن الله: أي بإقراركن له بالبقاء.

(٤) حسن في كل عين من تود: جرى مجرى المثل، ونظيره قول الآخر:

أهابك إجلالا، وما بك قدرة ... على، ولكن ملء عين حبيبها

(٥) الغادة: الناعمة، وتفتر: تضحك، والأشنب: أراد به فمًا ذا شنب، والشنب-بفتح الشين والنون جميعًا-برد الأسنان وعذوبتها ورقتها، والأقاحي: جمع أقحوانه، وهو نبت ذو زهر أبيض في وسطه كتلة صغيرة صفراء وأوراق زهره مفلجة، يشبهون به الأسنان، والبرد-بالتحريك-حب الغمام، تشبه به الأسنان في صغرها وصفائها.

(٦) الجيد-بكسر الجيم-العنق، والغيد-بفتح الغين والياء جميعا-هنا: الميل .

(٧) الطفلة-بفتح الطاء وسكون الفاء-الناعمة اللينة، وباردة القيظ: أي باردة في زمن القيظ، والقيظ: هو شدة الحر، ومعمعان الصيف: شدة حره .

سُخْنَةُ المَشْتَى، لَحِافٌ لِلْفَتَى ... تَحْتَ لَيْلٍ حِينَ يَغْشَاهُ الصَّرَدْ[1]

وَلَقَدْ أَذْكُرُ إِذ قِيلَ لَهَا ... وَدُمُوعِي فَوْقَ خَدِّي تَطَّرِدْ[2]

قُلْتُ: مَنْ أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا مَنْ ... شَفَّهُ الْوَجْدُ وَأَبْلاَهُ الْكَمَدْ[3]

نَحْنُ أَهْلُ الْخَيْفِ مِنْ أَهْلِ مِنًى ... مَا لِمَقْتُولٍ قَتَلْنَاهُ قَوَدْ[4]

قُلْتُ: أَهْلاً، أَنْتُمُ بُغْيَتُنَا ... فَتَسَمَّيْنَ، فَقَالَتْ: أَنَا هِنْدْ[5]

إِنَّمَا ضَلَّلَ قَلْبِي فَاجْتَوَى ... صَعْدَةٌ فِي سَابِرِيٍّ تَطَّرِدْ[6]

إِنَّمَا أَهْلُكِ جِيرَانٌ لَنَا ... إِنَّمَا نَحْنُ وَهُمْ شَيْءٌ أَحَدْ

حَدَّثُونَا أَنَّهَا لِي نَفَثَتْ ... عُقَدًا، يَا حَبَّذَا تِلْكَ الْعُقَدْ[7]

كُلَّمَا قُلْتُ: مَتَى مِيعَادُنَا؟ ... ضَحِكَتْ هِنْدٌ، وَقَالَتْ: بَعْدَ غَدْ

---

(١) سخنة المشتى: أي ساخنة في زمن الشتاء، والصرد: شدة البرد، وأصله بفتح الصَّاد وسكون الراء.

(٢) تَطَّرِد: تجري متلاحقة .

(٣) شفه: أضناه، والوجد: شدة الحب، وأبلاه: صيره باليا، والكمد-بالتحريك-الحزن .

(٤) القود-بفتح القاف والواو جميعا-القصاص، يريد إذا قتلنا أحدا لم يؤخذ بثأره و لم يطلب بدمه .

(٥) بغيتنا: طلبتنا، وتسمين: اذكري لنا اسمك .

(٦) ضلل قلبي: هو بالبناء للمعلوم، وضبط في رواية بالبناء للمجهول، وليس بشيء، وفاعل ضلل هو (صعدة) وأصل الصعدة القناة المستوية خلقة: أي أنها تنبت مستوية فلا تحتاج إلى تثقيف؛ وأراد بها المرأة المستوية القامة على التشبيه، والسابري: ضرب من الثياب الجيدة، وتطرد: أي تهتز، واجتوى: صار ذا جوى، وهو شدة الحزن من عشق أو غيره، ووقع في ا (فاحتوى) بالحاء، تحريف .

(٧) نفثت لي عقدا: أراد سحرتني، وذلك أن من عادة الساحرة أن تأخذ خيطا، ثم تتلو عليه شيئًا ثم تتفل بريقها ثم تعقد عقدة، وهكذا، وفي القرآن الكريم: (ومن شر النفاثات في العقد) وفسرت الآية الكريمة بهذا، كما فسرت تفسيرات أخرى .

ثالثاً مختارات من الشعر العباسي:

١- المتنبي

٢- أبو تمام

٣- أبو العلاء المعري

٤- الشريف الرضي

المتنبـــي

هو: أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد الجعفي الكوفي الكنـــدي، أبـــو الطيب المتنبي: الشاعر الحكيم. وأحد مفاخر الأدب العربي، له الأمثـــال الســـائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة وفي علماء الأدب من يعده أشعر الإسلاميين.

ولد بالكوفة في محلة تسمى "كندة" وإليها نسبته. ونشأ بالشـــام، ثم تنقـــل في البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس، وقال الشعر صبيـــا دارت حولـــه وحول شعره الكثير من المؤلفات والرسائل "كالوساطة بين المتنـــبي وخصومـــه" و"الصبح المنبى عن حيثية المتنبي" و"الكشف عن مساوىء شعر المتنبي" و"أبـــو الطيب المتنبي ما له وما عليه" و"ذكرى المتنبي بعد ألف عام" و"مـــع المتنـــبي" و"فلسفة المتنبي من شعره".

راجع في ترجمته:

ابن خلكان (٣٦/١)، ومعاهد التنصيص (٢٧/١)، وابن الـــوردى (٢٩٠/١)، ولسان الميزان (١٥٩/١)، تاريخ بغداد (١٠٢/٤)، والمنتظم (٧-٢٤)، ودائـــرة المعارف الإسلامية (٣٦٣/١).

من سيفيات المتنبي

عَذْلُ العَواذِلِ حَوْلَ قَلبِ التائِهِ ... وَهَوَى الأحِبَّةِ مِنْهُ فى سُوْدَائِهِ

يَشْكُو المَلامُ إلى اللوائِمِ حرَّهُ ... ويَصُدُّ حينَ يَلُمْنَ عَنْ بُرَحائِهِ

وبمهْجَتِي يا عَاذِلِي المَلِكُ الذى ... أسخَطتُ كُلَّ الناسِ فى إرْضائِهِ

إنْ كانَ قَدْ مَلَكَ القُلُوبَ فإنَّهُ ... مَلَكَ الزَّمَانَ بأرْضِهِ وَسَمَائِهِ

الشمسُ مِن حُسَّادِهِ، والنصرُ من ... قُرَنائِهِ، والسيفُ من أسْمَائِهِ

أينَ الثلاثةُ مِنْ ثَلاثِ خِلالِهِ ... مِنْ حُسْنِهِ وإبائِهِ ومَضَائِهِ

مَضَتِ الدُّهُورُ وَمَا أَتَينَ بمثْلِهِ ... وَلَقَدْ أَتَى فَعَجِزْنَ عَن نُظَرَائِهِ

القلبُ أعلمُ يا عَذُولُ بدائِهِ ... وأحقُّ منك بجفنِهِ وبمائِهِ

فَوَمَنْ أُحب لأعْصِيَنَّكَ فى الهوَى ... قَسَمًا بِهِ وبحُسْنِهِ وبِهائِهِ

أَأَحُبه وأحبُّ فيهِ مَضلامَةً؟ ... إن الملامةَ فيه مِن أعدائِهِ

عجب الوُشَاةُ مِنِ اللُّحَاةِ وقَوْلِهِمْ ... دَعْ ما تَراكَ ضَعُفْتَ عن إخْفَائِهِ

مَا الخِلُّ إلا مَنْ أودُّ بِقَلْبِهِ ... وَأرى بطَرْفٍ لا يَرَى بِسَوائِهِ

إنَّ المُعِينَ عَلَى الصَّبَابَةِ بالأسَى ... أَوْلَى برَحْمَةِ رَبِّهَا وإخائِهِ

مَهْلا فَإنَّ العَذْلَ مَنْ أَسْقامِهِ ... وتَرَفَّقَا فَالسَّمْعُ مِنْ أَعْضَائِهِ

وهَبِ الملامَةَ فى اللذاذةِ كالكَرَى ... مَطْرُودةً بسُهادِهِ وبكائِهِ

لا تَعْذُلِ المُشْتاقَ فى أَشْواقِهِ ... حتى يكونَ حَشاكَ فى أحْشائِهِ

إنَّ القَتِيلَ مُضَرَّجًا بدمُوعِهِ ... مِثْلُ القَتِيلِ مُضَرَّجًا بِدِمَائِهِ

والعِشْقُ كالمَعْشُوقِ يعْذُبُ قُرْبُهُ ... للمُبْتَلَى وَيَنَالُ مِنْ حَوْبَائِهِ

لَوْ قُلْتَ للدَّنَفِ الحَزِينِ فَدَيْتُهُ ... مِمَّا بِهِ لأغَرْتَهُ بفدائِهِ

وُقِيَ الأميرُ هَوَى العيُونِ فَإنَّهُ ... مَا لا يَزولَ بأسِهِ وسَخَائِهِ

يَسْتَأْسِرُ البَطَلَ الكَمِيَّ بنَظْرَةٍ ... وَيَحُولُ بَينَ فُؤادِهِ وعزائِهِ

إنِّـي دعوتُـكَ للنَّوائِـبِ دَعْـوَةً ... لم يُـدْعَ سـامِعُهَا إلى أكْفَائِـهِ

فَأَتَيْتَ مِنْ فَـوْقِ الزَّمَـانِ وَتَحْتِـهِ ... مُتَصَلْصِـلاً وأمَامِـهِ وَوَرَائِـهِ

مَنْ للسُّيوفِ بـأنْ تكـونَ سَـمِيَّهُ ... فِـي أصْلِـهِ وفِرِنْـدِهِ وَوَفَائِـهِ

طُبِعَ الحَديدُ فكـانَ مِـنْ أجْنَاسِـهِ ... وَعَلَـيٌّ المَطْبُـوعُ مِـنْ آبائِـهِ

قال المتنبى هذه القصيدة يمدح بها سيف الدولة، ويتملقه، ويحاول فيها أن يلفت إليه نظر ممدوحه بادعاء حرصه على صحبته والمحبة المفرطة له؛ حتى تعرض من جراء ذلك إلى لوم اللائمين له فى محبته لممدوحه، وكأنه يعرض بذلك بممدوحه، وبأنه يمدحه ويلازمه دون أن ينال منه الجزاء الكافى على إخلاصه له ومدحه إياه.

ونستطيع أن نلمح اتكاء المتنبى على بعض أنواع من الصيغ- يمكن أن نعدها كالمفاتيح لفهم هذه القصيدة- حيث حاول توظيف تلك الصيغ للتعبير عن الغرض العام فى القصيدة أو عن الفكرة التى سيطرت عليه فيها.

فمن ذلك: كثرة استخدام المتنبى لصيغ الجمع موظفا إياها للتعبير عن الغرض العام المدعى فى قصيدته وهو كثرة لوم اللائمين له فى حبه المفرط لممدوحه؛ وإن كان يعبر بذلك عما يكنه فى نفسه من عدم استحقاق ممدوحه لتلك المحبة المفرطة أو ذلك الإخلاص الذى يبدو وكأنه نادم على بذله، ويبدو ذلك وأضحا حين يقول:

وبمهجتى يا عاذلى الملك الذى ... أسخطت كل الناس فى إرضائه

ولذا فقد أكثر المتنبى من استخدام صيغ الجمع للتعبير عن عواذله ولوامه فى محبة سيف الدولة ومن ثم تكررت صيغ الجمع فى قوله: (العواذل- اللوائم- الوشاة- اللحاة) ففى البيت الأول والثانى:

عذلُ العواذل حول قلب التائه ... وهوى الأحبة منه فى سودائه[1]

يشكو الملام إلى اللوائم حرَّه ... ويصد حين يلمن عن برحائه

---

(١) ديوانه بشرح العكبرى ١/ص ٣.

آثر الشاعر صيغة الجمع (العواذل- اللوائم) على المفرد، والغرض من ذلك هو إظهار كثرة لائميه فى حب ممدوحه مع ثباته على ذلك الحب، مهما كثر لائموه، ويؤيد ذلك قوله بعده:

وبمهجتى يا عاذلى الملك الذى أسخطت كل الناس فى إرضائه

وقد يظن أن ذلك ليس بمستحسن من المتنبى؛ وذلك لأن اختياره الجمع فى العواذل، وتقريره أنه أسخط كل الناس فى إرضائه ممدوحه، إنما هو مدح لنفسه لا لممدوحه لأن معنى ذلك أن ممدوحه بغيض إلى الناس كافة؛ فتكثير العواذل واللائمين له فى ذلك دال على عدم استحقاق ممدوحه لمحبته إياه لدى هؤلاء اللائمين وهم كل الناس؛ وكفى بذلك ذما له.

فإذا أضفت إلى ذلك إيثاره لصيغة الماضى- فى قوله(أسخطت) مما يدل على تحقق وقوع ذلك الإسخاط للناس بمدحه ممدوحه وإرضائه إياه؛ إذا أضفت ذلك إلى ما سبق زاد معنى الذم لذلك الممدوح.

فإذا فسرنا ذلك فى ضوء الملابسات النفسية التى سبق الإشارة إليها عند المتنبى- من سخطه الخفى على ممدوحه لعدم إنالته ما كان يؤمله لديه- فإنه يتضح لنا سبب خروج مدحه إلى ما يشبه الهجاء.

وبنحو ذلك- يمكن أن يفسر أيضا اختياره لصيغة الجمع فى (الوشاة) و(اللحاة) فى قوله: عجب الوشاة من اللحاة وقولهم دع ما نراك ضعفت عن إخفائه[1]

اختار صيغة الجمع فى (الوشاة واللحاة) وهو مناسب لبيان كثرة لائميه فى حبه مع كثرة الواشين به، وثباته على ذلك الحب رغم كثرة الواشين واللاحين وما يناله منهم.

وهذا يدل بطريق خفى على كراهية هؤلاء جميعا لممدوحه الذى كثر كذلك(حساده) و(أعداؤه).

كما يستخدم كذلك صيغ الجمع لبيان كثرة ما ناله فى محبته وإخلاصه له من الأسقام

---

(١) شرح التبيان للعكبرى ص ٥.

والآلام؛ ومن ثم فقد لجأ إلى الجمع فى (أسقامه) (أحشائه) (دموعه) (دمائه)

وهذا كله يكشف عن التجربة الحقيقية للمتنبى، تلك التجربة التى لا يجرؤ المتنبى على التصريح بها؛ ولكنه فى الوقت نفسه لا يستطيع أن يكتم ما بنفسه من لوعة الحرمان والأسى وخيبة الآمال، ويظهر ذلك واضحا فى قول الوشاة له:

دع ما نراك ضعفت عن إخفائه

ولذا يختار التعبير بالجمع (من أسقامه) (من أعضائه) على التعبير بالمفرد(سقم) و(عضو) فى قوله:

مهلا فإن العذل من أسقامه وترفقا فالسمع من أعضائه

فجعل العذل واحدا من أسقامه، دون قوله فإن العذل(سقم له) فاختار الجمع على المفرد ليوحى بأن له أسقاما أخر ينالها من جراء محبته لممدوحه.

كذلك فقد اختار الاسمية فى وصف العذل على الفعلية فجعله سقما من أسقامه ولم يقل(فإن العذل يسقمه) وذلك ليدل على أن العذل لكثرته ودوامه قد أورثه السقم على هيئة الصفة الثابتة له.

ويؤيد المتنبى ذلك الغرض الخفى لديه بأساليب شتى، منها:

صيغة الفعل الماضى دالا به على تحقق وقوع تلك المحنة التى يعانيها، وذلك فى مثل قوله:

(أسخطت كل الناس)، (عجب الوشاة)، (ضعفت عن إخفائه)، (إنى دعوتك للنوائب) .. إلخ

كما يوظف كذلك صيغة المضارع لبيان استمرار ذلك به؛ وذلك كما فى: (يشكو) الملام، و(يصد) حين(يلمن)، والعشق كالمعشوق(يعذب) قربه، و(ينال) من حوبائه.

وقد وفق أبو الطيب كذلك فى توظيف عدد من الصيغ- إما عن طريق الاختيار أو العدول أو التكرار، وذلك للتعبير عن معاناته التى يحاول كتمانها، ولكنها تجد متنفسا تظهر فيه زفرات الشاعر التى يبث فيها لوعة الأسى والحسرة عن طريق تلك الصيغ التى تعطى تلك الدلالة الإيقاعية الحزينة التى عبرت عنها تلك القافية المنتهية بحرف المد

وهمزته مع تعزيز الشاعر لها بإضافة تلك الصيغ إلى هاء الغـــائب لتتجـاوب الدلالـة الإيقاعية فى تلك ألقافية التى تمسح القصيدة بتلك المسحة الحزينة؛ حيث تبدو القافية فيها وكأنها زفرات حزن متتالية تحملها تلك الأبيات التى يخفى كل منها لوعة خفية لشـلعرنا، ونستطيع أن نلمح ذلك فى:

سودائه - برحائه - إرضائه - إخفائه - بكائه - أحشـــائه - دمائـــه - حوبائـــه - عزائه..إلخ

حيث يراوح الشاعر بين استخدامه لصيغة (فعلاء)، وصيغة الجمع (فعـــلاء) بضـــم الفاء، و(أفعال)، والمصدر (إفعال)، و(فعال).. إلخ؛ وذلك ليحقق الغرض السابق.

يوظف الشاعر كذلك العديد من الصيغ لتحقيق ذلك الغرض الســـابق ولكـــن دون شيوع أو تكرار كالصيغ السابقة وذلك كاســـم الفـــاعل(التائـــه) (عـــاذلى)، واســـم المفعول(مضرجا)، (المبتلى) والصفة المشبهة (الدنف).. إلخ.

هذا على مستوى الغرض الحقيقى الذى يحاول الشاعر إخفاءه فى قصيدته. أما علـــى مستوى الغرض الظاهر من القصيدة وهو المدح؛ فقد استطاع المتنبى أن يوظـــف صيـــغ الجمع كذلك فى إضفاء هالة من التعظيم والتبجيل على ممدوحه الذى يصوره وكأنه قـــد ملك الدنيا كلها روحا ومادة، وملك كل شىء ، وذلك حيث يقول:

إن كان قد ملك القلوب فإنه ملك الزمان بأرضه وسمائه

ومن ثم فقد وظف صيغ الجمع التالية فى حق ممدوحه على نحو ما بينـــا فى التحليـــل التفصيلى فى قوله: الأحبة- القلوب- قرنائه- أسمائه- خلالـــه- الدهـــور- النوائـــب- أكفائه- السيوف- أجناسه- آبائه.. إلخ.

فقد اختار المتنبى صيغة الجمع (الأحبة) على (الحبيب) لتعظيم ممدوحه.

كما اختار صيغة الجمع فى (القلوب) مما يوحى بكثرة المحبين للممدوح بخلاف المعـــنى الذى قرره فى الأبيات الثلاثة الأولى مما أحدث تناقضا مع ما قرره فى هذا البيت.

وفى قوله: لا تعذر المشتاق فى أشواقه..

فالجمع هنا يوحى بألوان من الشوق والوجد مختلفة تنتاب المشتاق فى اشتياقه مع الإيحاء بكثرة تلك الأشواق وشدتها؛ وهذا مناسب للمبالغة فى ادعاء المحبة للممدوح.

كذلك فقد أحسن المتنبى فى اختيار المفرد فى قوله(حتى يكون حشاك فى أحشائه) وذلك ليجعله داخلا فى أحشاء المشتاق، متغلغلا فيه؛ كأنه حشا من أحشائه.

فكأنه يقول للائمه إنك لا تعرف الشوق ولا تعذر المشتاق فيه إلا إذا تغلغلت فى قلبه، واطلعت على ما فيه من برحاء الشوق.

كما حسن كذلك اختيار الجمع فى قوله:

الشمس من حساده، والنصر من قرنائه، والسيف من أسمائه

حيث اختار صيغة الجمع على قوله: الشمس حاسدته أو تحسده، وكذلك النصر قرينه والسيف اسم له لمناسبة مقام المدح المقتضى تعظيم محبوبه ووصفه بأن له حسادا كثيرين وذلك لكثرة ما يحسد عليه من الصفات والنعيم مما لا يوحى به (الشمس تحسده أو حاسدته) وكذلك اختار (النصر من قرنائه) بدلا من(النصر قرينه) ليفسح المجال لتصور قرناء آخرين له على شاكلة النصر من الفلاح والنجاح والسعادة والتوفيق وغير ذلك مما يرغب فى الاقتران به. وكذلك جعل (السيف من أسمائه) وذلك لتعدد صفات ممدوحه مما يقتضى تعدد أسمائه وهذا كله مناسب لمقام المدح أتم المناسبة.

وفى قوله:

مضت الدهور وما أتين بمثله ولقد أتى فعجزن عن نظرائه

أراد المتنبى فى هذا البيت أن يصف ممدوحه بتفرده على وجه الزمان؛ لأن معنى البيت" أن ما مضى من الزمان ما كان فيه مثله فلما جاء فى عصره عجز الزمان أن يأتى له بنظير"[1] كما آثر اختيار صيغة الجمع (أعداء) على التعبير بالمفرد (عدو) له في قوله:

أأحبه وأحب فيه ملامة إن الملامة فيه من أعدائه

وذلك فيما أرى لنكتة هى تكثير أعداء الممدوح، مما يناسب مقام المدح بالشجاعة والنصر؛ لأن ذلك يكون أبلغ فى حق الممدوح كلما كثر أعداؤه.

---

(١) شرح التبيان للعكبرى على ديوان أبى الطيب المتنبى ٤/١، دار الطباعة العامرة.

وقد حسن كذلك جمع(النوائب) و(أكفاء) فى قوله:

إنى دعوتك للنوائب دعوة لم يدع سامعها إلى أكفائه

حيث دل بجمع (النوائب) وأكفاء على قوة ممدوحه على رد النوائب جميعها.

وفى قوله:

طبع الحديد فكان من أجناسه وعليّ[1] المطبوع من آبائه

"يقول الحديد يترع إلى أجناسه فإن كان جيدا فهو من جنسه الجيد، وإن كان رديئا فهو من جنسه الردىء، وهذا الممدوح "علىّ" يرجع إلى أصله وشرفه وشرف آبائه.

فالحديد مطبوع من أجناس الحديد كالفولاذ وغيره، وهذا الممدوح إنما هو من جنس واحد، جنس طيب شريف، فهو لا نسبة بينه وبين السيوف إلا فى الاسمية، لا فى الفعل، ولا فى الخلق ولا فى المضاء"[2]. وعلى نفس المعنى جاء قوله في مدح سيف الدولة أيضًا في قصيدة أخرى:

وندعوك الحسام وهل حسام يعيش به من الموت القتيلُ

وما للسيف إلا القطع فعلٌ وأنت القاطعُ البرُّ الوصولُ[3]

ومن ثم فإن اختيار المتنبى لصيغة الجمع(أجناسه) دالة على المعنى المراد، وهو المبالغة فى وصف ممدوحه وتفضله على السيف بشرف أصله الذى لا يختلف فى أصوله وآبائه، بينما تختلف جودة السيف باختلاف أصول أجناسه بين جيد ورديء.

أما الجمع فى قوله (فعجزن عن نظرائه) فأرى أن الجمع فى (نظرائه) غير مستحسن؛ إذ المناسب لمقام المدح أن يبالغ فى وصف ممدوحه بالتفرد وانقطاع النظير، فكان الأنسب أن يقول عن نظيره ولأن العجز عن النظير يقتضى العجز عن النظراء بطريق أبلغ.

---

(١)علىّ: يقصد سيف الدولة: على بن أبى الهيجاء بن حمدان التغلبى.

(٢)العكبرى: ١/٨.

(٣)العكبري: ٢/٢١.

ومن ثم فهو اختيار إيقاعى متكلف لعدم مناسبته للمقام.

كما وظف كذلك صيغة الماضى الدالة على تحقق وقوع الفعل للدلالة على تحقق تلك الخصال لممدوحه وثبوتها له، فمن ذلك قوله:

ملك القلوب

ملك الزمان

مضت الدهور

ولقد (أتى) (فعجزن)

فأتيت من فوق الزمان.. الخ

فقد حسن اختياره لصيغة الماضى(ملك) على غيرها من الصيغ كالاسم مثلا؛ وذلك لأنه بصدد إثبات الحدث المستغرب وهو امتلاكه للقلوب؛ لا بصدد ادعاء اتصافه به على الدوام؛ لأن وقوع مثل هذا الحدث المستغرب يحتاج إلى إثباته أولا.

واختار صيغة الماضى على المضارع لإثباته على سبيل التحقيق، وأكد التحقيق بقد، وكرر صيغة الماضى فى قوله(ملك الزمان) لإفادة عموم امتلاكه لكل شىء.

كما استخدم لذلك أيضا صيغة الماضى (مضت) (فعجزن) الدالة على الوقوع والتحقق.

وأرى أنه كان من الأولى أن يقول: (تمضى الدهور وما يأتين) بالمضارع بدلا من الماضى، ولو فعل لأغناه عن قوله فى الشطر الثانى: (ولقد أتى فعجزن عن نظرائه)؛ وذلك أنه أراد أن يستوعب الزمان فأتى بلفظ الماضى ليثبت خلو الزمان من مثله فيما مضى، ثم احتاج إلى أن يخبر عن خلوه عن مثله فى الحاضر أيضا فقال: (ولقد أتى ..إلخ)

ولو أنه عبر بالمضارع لشمل الزمان ماضيه، وحاضره، ومستقبله؛ وذلك لأن الدلالة المعجمية للفعل (تمضى) فى قولنا (تمضى الدهور) تدل على الماضى المستمر و الدلالة الوظيفية للمضارع تدل على الحال والمستقبل فلو استخدم هذه اللفظة لعبر عن معان أكثر بلفظ أقل وأوجز.

ولقد أحسن المتنبى كذلك توظيف صيغة المضارع كما فى قوله: (فو من أحب

لأعصينك فى الهوى) اختار المضارع على الماضى وهو أجود فى الدلالة على دوام حبه له من التعبير بالماضى الذى يقتصر على مجرد إثبات وقوع الحدث.

وفى قوله (دع ما نراك ضعفت) اختار صيغة الأمر (دع) لتوظيف الأمر لغرض العذل واللوم له فى محبته لممدوحه وإخفائه لتلك المحبة.

واختار المضارع (نراك) للدلالة على أن حاله فى حب ممدوحه حال حاضرة مشاهدة.

كما اختار الماضى (ضعفت) للدلالة على تحقق ضعفه عن كتم تلك المحبة لظهورها عليه ولهجه بها.

كما أحسن كذلك توظيف المضارع فى (أود) و(أرى) فى قوله:

ما الخل إلا من أود بقلبه.. وذلك للدلالة على تحقق ذلك على الدوام.

وإجمالا فقد وزع المتنبى الصيغ المتنوعة على الغرضين السابقين - الظاهر والباطن - وإن لم يكن بذلك القدر من الشيوع الذى أشرنا إليه فى الصيغ السابقة التى يمكن أن نعتمدها كمفاتيح لفهم القصيدة.

فاختياره لصيغة المصدر (ملامة) فى قوله:

أأحبه وأحب فيه ملامةً إن الملامة فيه من أعدائه

أجود من (اللوم) لأن الملامة مصدر قد وافق صيغة المرة ومن ثم فهو أولى؛ لأن نفيه لقبول أدنى اللوم ذال على عدم قبوله ما هو أكثر منه.

كما حسن اختياره لصيغة المرة (دعوة) ليدل على كرم ممدوحه وسرعة إجابته لمن دعاه أو لجأ إليه فى نوائب الدهر.

وقوله:

لو قلت للدنف الحزين فديته مما به لأغرته بفدائه

"بفدائه: أى بفدائك إياه، أضاف المصدر إلى المفعول كقوله تعالى ﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾ أى بسوءاله نعجتك،..، والدنف: الشديد المرض"[1].

---

(١)العكبري: ١/٧.

وعبر بالدنف وهى صفة مشبهة دالة على ثبوت صفة المرض له من شـــدة الشـــوق والوجد.

وهو مناسب لحال هذا المحب الدنف الذى يتصف بالشح على محبوبه والخـــوف أن يحل أحد محله، فهو على ما فيه لا يسمح لأحد أن يفدّيه مما به من المشقة".

كذلك فقد حسن تعبيره باسم الفاعل فى (التائه) للدلالة على أنه قد استقر حبه لـــه وولهه به وتحير قلبه فى محبته.

وفى قوله:

فأتيت من فوق الزمان وتحته متصلصلا وأمامه وورائه

عبر باسم الفاعل (متصلصلا) من الفعل (تصلصل) بما فيه من زيادة مبـــنى تناســـب الدلالة على قوة المعنى المراد، ليدل على مدى قوة ممدوحه، وضجيج بطشه، وقد اختـــار اسم الفاعل على الفعل ليوحى بثبوت الحدث لممدوحه حتى كأنه صار صفة له.

وفى قوله:

إن القتيل مضرجا بدموعه مثل القتيل مضرجا بدمائه

عبر باسم المفعول(مضرجا) ليدل على فاعل ضرجه بالدمع كما يضرج القاتل قاتلـــه بالدماء؛ فكأنه لما تسبب فى صبابته ووجده ودموعه أشبه القتيل يضرج قاتله بالدمـــاء؛ كما أن مجيء اسم المفعول (مضرجا) من الفعل المضعف (ضرّج) يدل على كثرة الدمـــع الملطخ به المشبه بكثرة دم القتيل.

وفى قوله:

والعشق كالمعشوق يعذب قربه للمبتلى وينال من حوبائه

اختار التعبير بصيغة المفعول(المبتلى) على اسم الفاعل مثلا(العاشق) ليوحى بأن هـــذا العشق بلاء مفعول به، فهو قدر نزل به، وهو محل له، لا سبيل إلى دفعه عنه، بخـــلاف التعبير باسم الفاعل الذى يثبت له فعلا وكسبا ويجعل له فى الأمر مدخلا وسببا.

وفى قوله:

القلب أعلم يا عذول بدائه وأحق منك بجفنه وبمائه

أحسن المتنبى فى التعبير بصيغة التفضيل للدلالة على المعنى المراد فى قوله" أعلم " فلو وضع بدلا منها اسم الفاعل (عالم) لما دل على المراد من الدلالة على مدعى العلم بداء قلبه، والقلب أعلم بدائه من عذوله، كما أن فيها مراعاة للتوازى الصرفى بين (أعلم) و(أحق).

وفى قوله:

وقى الأمير هوى العيون فإنه ما لا يزول ببأسه وسخائه[1]

يستأسر البطل الكمى بنظرة ويحول بين فؤاده وعزائه

عبر بصيغة (استفعل) فى قوله (يستأسر) للدلالة على شدة الأسر وقوته والمبالغة فيه، وهذا مناسب لما أراد تصويره من قوة أسر الهوى لأربابه.

ومن خلال ما سبق نستطيع القول بأن المتنبى قد أجاد فى توظيف الصيغ فى هذه القصيدة توظيفا فنيا يوائم الغرض الذى ساق القصيدة لأجله إلى حد كبير.

---

(١)العكبرى ١/٧.

بعض حكم المتنبي

ذَلَّ مِـن يَغْبِـطُ الذليـلَ بِعَيْـشٍ ... رُبَّ عيـشٍ أخَـفُّ مِنْـهُ الحِمـامُ

كـلُّ حِلْـم أتـى بغـير اقْتـدار ... حُجَّـةٌ لا جـئ إليـها اللئـامُ

مَـنْ يَـهُنْ يَسْـهُل الهَـوَانُ عليـه ... مـا لِجُـرْحٍ بَمَيِّـتٍ إيـلامُ

وقال أيضا:

أفاضلُ النـاسِ أغـراضٌ لِـذَا الزَّمَـنِ ... يَخْلو من الهَمّ أخْلاَهُـمْ مـن الفِطَـنِ

وقال أيضا:

وإذا أتَتْـكَ مَذَمّـتي مِـن نَـاقصٍ ... فـهي الشَّـهادةُ لي بـأنّيَ كـاملُ

وقال أيضا:

ومن يُنْفق السـاعات في جَمْـع مالـهِ ... مخافـةَ فَقْـرٍ فـالذى فَعَـل الفقـرُ

وقال أيضا:

ومن نَكَدِ الدُّنيا على الحـرِّ أن يَـرَى ... عَـدُوًّا لـه مـا مـن صَدَاقتـه بُـدُّ

وأُكْـبِرُ نفسـي عـن جَـزاءِ بِغِيبـةٍ ... وكلُّ اغتيابٍ جُهْدُ مَن لا لـه جُـهْدُ

وقال أيضا:

من الحِلْم أن تَسْـتعمل الجـهلَ دونـه ... إذا اتَّسعَت في الحلـم طُـرْقُ المظَـالِمِ

وقال أيضا:

إذا لم تكن نفْـسُ النَسـيبِ كَأَصْلـهِ ... فماذا الـذي تُغْـني كِـرامُ المَنَـاصبِ

وقال أيضا:

والهَـمُّ يَخْـتَرِمُ الجَسـيم نحافـةً ... ويُشـيب ناصيـةَ الصَّـبيِّ ويُـهْرِمُ

ذو العقـلِ يَشْـقَى في النَّعِيـمِ بعقلـه ... وأخـو الجهالـةِ في الشَـقاوةِ يَنْعَـمُ

لا يسْلمُ الشـرفُ الرفيـعُ مـن الأذى ... حـتى يُـراقَ عَلـى جوانبـهِ الـدَّمُ

والظُّلمُ من شِيَمِ النفُـوسِ فـإنْ تَجِـدْ ... ذا عِفَّـةٍ فَلعلُّـةٍ لا يَظْلِـمُ

ومن البلِيَّـةِ عَـذْلُ مَـن لا يَرْعَـوى ... عن جَهْلِه وَخِطَـابُ مـن لا يفـهَمُ

والـذُّلُّ يُظـهر في الذليـلِ مـودّةً ... وأود منـه لَمـن يَـوَدُّ الأرْقَـمُ
ومـن العَـداوة مـا يَنـالك نفعُـه ... ومـن الصَّداقـةِ مـا يَضُـرُّ ويؤلِـمُ

وقال أيضا:

يـرى الجُبَنـاءُ أنّ العجـز عقـلٌ ... وتلـك خديعـةُ الطبـع اللئيـمِ
وكـلُّ شـجاعةٍ في المـرء تُغْـنى ... ولا مثـلَ الشـجاعةِ في الحَكيـمِ
وكم مـن عـائبٍ قـولا صحيحـا ... وآفتُـهُ مـن الفـهمِ السـقيمِ

وقال أيضا:

والأسى قبـل فُرقـة الـروح عجـز ... والأسـى لا يكـون بعـد الفـراقِ
والغِـنَ في يـد اللئيـم قبيـحٌ ... قَـدْرَ قُبْـحِ الكـريم في الإمـلاقِ

وقال أيضا:

وإذا كـانت النفُـوس كِبـاراً ... تَعِبَـتْ في مُرادِهـا الأجسـامُ

وقال أيضا:

ولـو كـان النسـاءُ كَمـنْ فَقَدْنـا ... لَفُضِّلَـت النِّسـاءُ علـى الرجـالِ
وما التأنيثُ لاسْـمِ الشـمسِ عَيْـبٌ ... ولا التذكـيرُ فخـرٌ للـهلالِ
فـإنْ تَفُـق الأنـامَ وأنـت مِنْـهُمْ ... فـإنّ المِسْـكَ بعـضُ دمِ الغـزالِ

وقال أيضا:

مَن كان فوقَ محلِ الشَّـمسِ موضعُـهُ ... فليـس يَرْفَعُـهُ شـيءٌ ولا يَضَـعُ
فقد يُظَنُّ شُـجاعًا مَـن بـهِ خَـرَقٌ ... وقد يُظَـنّ جبانـاً مَـن بـهِ زَمَـعُ
إنّ السـلاحَ جميـعُ النـاس تحملُـهُ ... وليسَ كُـلٌّ ذواتِ المخْلـبِ السَّـبُعُ

وقال أيضا:

وما الخَـوفُ إلا مـا تَخَوّفَـهُ الفـتى ... ولا الأمْـنُ إلا مـا رآهُ الفـتى أمْنـا

وقال أيضا:

وحيدٌ مـن الخِـلاّنِ في كـل بلـدةٍ ... إذا عظُـم المطلـوبُ قـلّ المسـاعِدُ
بذا قضت الأيـام مـا بـين أهلِـها ... مصـائبُ قـومٍ عنـدَ قـومٍ فَوائِـدُ

وقال أيضا:

وفي تَعَبٍ مَن يَحسُدُ الشمسَ ضوءها ... ويَجْهَد أن يأتى لها بِضَرِيبِ

وقال أيضا:

ومَن صَحِبَ الدنيا قليلا تقلَّبت ... على عينهِ حتى يرى صدقَها كِذْبَا

ومن تَكُنُ الأُسْدُ الضَّوارى جُدُودَه ... يكن ليلُهُ صُبْحاً ومَطْعَمُهُ غَصْبَا

وقال أيضا:

أُعِيذُهَا نَظَرَاتٍ منكَ صادقةً ... أن تَحْسَبَ الشحمَ فيمن شحمُهُ وَرَمُ

وما انتفاعُ أخى الدنيا بناظِره ... إذا استوتْ عنده الأنوارُ والظُّلَمُ

إذا رأيتَ نُيوبَ الليث بارزةً ... فلا تَظُنَّنَّ أنّ الليثَ يبتَسِمُ

وبيننا لو رَعَيتَمْ ذاك مِعْرِفةٌ ... إنَّ المعارِفَ في أهلِ النُّهى ذِمَمُ

شرُّ البلادِ مكانٌ لا صديقَ بِهِ ... وشرُّ ما يَكْسَبُ الإنسانُ ما يَصِمُ

وشرُّ ما قَنَصَتْهُ راحتى قَنَصٌ ... شُهْب البُزَاةِ سواءٌ فيهِ والرَّخَمُ

وقال أيضا:

لعلّ عَتْبَك مَجْمُودٌ عواقِبُهُ ... وربما صَحَّتِ الأجسامُ بالعِلَلِ

لأنَّ حِلْمَكَ حلْمٌ لا تُكَلِّفُهُ ... ليس التكحُّلُ في العينين كالكَحَلِ

وقال أيضا:

وليس يَصِحُّ في الأفهام شيءٌ ... إذا احتاج النهارُ إلى دَلِيلِ

وقال أيضا:

وما كَمَدُ الحسادِ شيءٌ قصدتُه ... ولَكِنَّهُ مَن يَزْحَمِ البحرَ يَغْرَقِ

وإطراقُ طرفِ العينِ ليسَ بنافعٍ ... إذا كان طرفُ القلبِ ليسَ بمُطْرِقِ

وقال أيضا:

أيدرى ما أرابَك مَن يُريبُ ... وهل تَرْقَى إلى الفَلَكِ الخُطوبُ

وقال أيضا:

وما قَتَلَ الأحرارَ كالعفو عنهمُ ... ومَن لكَ بالحرِّ الذي يَحْفظ اليَدا

إذا أنتَ أكرمْتَ الكريمَ ملكتَهُ ... وإنْ أنت أكرمتَ اللئيمَ تَمَرَّدا

ووضْعُ النَّدى في موضعِ السَّيفِ بالعُلَى ... مِضرٌّ كوضْعِ السيفِ في موضعِ النَّدى

وقال أيضا:

وأتْعَبُ مَن ناداك مَن لا تُجيبهُ ... وأغيَظُ مَن عاداكَ مَن لا تُشَاكِلُ

وقال أيضا:

على قَدْرِ أهلِ العَزْمِ تأتى العزائمُ ... وتأتي على قَدْرِ الكِرامِ المكَارِمُ

وقال أيضا:

وما الحُسْنُ في وَجْهِ الفتى شرفا لهُ ... إذا لم يَكُنْ في فِعْلِهِ والخلائقِ

وما بَلَدُ الإنسانِ غيرُ الموافقِ ... ولا أهْلُهُ الأدْنَوْنَ غيرُ الأصادقِ

وقال أيضا:

وإذا لم تجدْ من الناس كفؤًا ... ذاتُ خدْرٍ تَمَنَّتِ الموتَ بعلا

وإذا الشيخُ قال أفٍّ فما مَلَّ ... حياةً وإنما الضَعْفَ مَلا

آلةُ العَيشِ صِحَّةٌ وشبابٌ ... فإذا وَلَّيا عن المرء ولّى

وقال أيضا:

وإذا ما خلا الجبانُ بأرْضٍ ... طَلَبَ الطِعنَ وحدَه والنزالا

مَن أراد التماسَ شيءٍ غلابًا ... واغْتصابا لم يلتمسْهُ سُؤالا

كلُّ غادٍ لحاجةٍ يتمنَّى ... أن يكونَ الغضنفرَ الرِّئْبالا

وقال أيضا:

الرأيُ قَبْلَ شَجاعةِ الشُّجعانِ ... هو أولٌ وهى المحلُّ الثّانِي

ولربما طَعَنَ الفتى أقرانَهُ ... بالرأى قَبْلَ تَطاعُنِ الأقرانِ

لولا العُقولُ لكان أدنى ضَيْغَمٍ ... أدنى إلى شرفٍ من الإنسانِ

وقال أيضا:

وعادَ في طَلَبِ المتروكِ تاركُهُ ... إنا لَنَغْفُلُ والأيامُ في الطلبِ

وما قَضَى أحدٌ منها لُبَانَتَهُ ... ولا انتهى أرَبٌ إلا إلى أرَبِ

ومن تَفَكَّرَ في الدُّنيا ومُهجَتِهِ ... أقامَهُ الفِكْرُ بينَ العجْزِ والتَّعَبِ

وقال أيضا:

إذا كنتَ ترَضى أن تعيش بذلّة ... فلا تَسْتَعِدَّنّ الحسامَ اليمانيا
فما يَنْفع الأُسْدَ الحياءُ من الطَّوَى ... ولا تُتَّقَى حتى تكون ضواريا
إذا الجودُ لم يُرْزَق خَلاصا من الأذى ... فلا الحمدُ مكسوبًا ولا المالُ باقيا
وللنفس أخلاقٌ تَدُلُّ على الفتى ... أكان سَخاءً ما أتى أم تَساخيا

وقال أيضا:

فما الحداثةُ عن حلْمٍ بمانعةٍ ... قد يوجد الحِلْمُ في الشُّبانِ والشِيبِ

وقال أيضا:

وما الصَّارِمُ الهندىُّ إلا كغيرِهِ ... إذا لم يفارِقْهُ النِّجادُ وغِمدُهُ

وقال أيضا:

إذا ساءَ فعلُ المرءِ ساءتْ ظُنونُهُ ... وصَدَّقَ ما يعْتادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ
وأَحْلُمُ عن خِلِّي وأعْلَمُ أنَّهُ ... متى أجْزِهِ حلما على الجهلِ يَنْدَمِ
لمنْ تطلُبُ الدنيا إذا لم تُرِد بها ... سُرُورَ مُحِبٍّ أو إساءةَ مُجْرِمِ

وقال أيضا:

إنما تَنْجَحُ المقَالَةُ في المرْءِ ... إذا وافَقَتْ هوىً في الفؤادِ

وقال أيضا:

وكلُّ امرئ يُولِي الجميلَ مُحَبَّبٌ ... وكلُّ مكانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طَيِّبُ
ولو جازَ أن يَحْوُوا عُلاكَ وَهَبْتَها ... ولَكِنْ من الأشياءِ ما ليس يُوهَبُ

وقال أيضا:

ما كلُّ ما يَتَمَنَّى المرءُ يُدْرِكُهُ ... تَجْرِى الرِّيَاحُ بما لا تَشْتَهِى السُّفُنُ

وقال أيضا:

غير أن الفتى يُلاقى المَنَايَا ... كَالحاتٍ ولا يلاقى الهوانا
وإذا لم يَكُنْ من الموتِ بُدٌّ ... فمن العجزِ أن تموتَ جَبانا

كلُّ ما لم يكن من الصَّعْبِ في الأنفُسِ ... سَهْلٌ فيها إذا هو كانا

وقال أيضا:

لولا المَشَقَّةُ سادَ النَّاسُ كلُّهُمُ ... الجودُ يُفْقِرُ والإقدامُ قَتَّالُ

وقال أيضا:

ولم أرَ في عُيوبِ الناسِ شيئًا ... كنَقْصِ القادرينَ على التمامِ

وقال أيضا:

وللسِّرِّ من موضعٌ لا ينالُهُ ... ندىً ولا يُفضى إليه شَرَابُ

أعَزُّ مكانٍ في الدُّنا ظَهْرُ سَابحٍ ... وخيرُ جَليسٍ في الزَّمَانِ كِتَابُ

وقال أيضا:

ومَن جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ ... رأى غَيْرُهُ منهُ مالا يَرَى

وقال أيضا:

أين الذي الهَرَمانِ من بُنْيَانِهِ ... ما قومُهُ ما يومُهُ ما المصرَعُ

تَتَخَلَّفُ الآثارُ عن أصحابِها ... حيناً ويُدرِكُهَا الفناءُ فتتبَعُ

وقال أيضا:

ولم تزلْ قلَّةُ الإنصافِ قاطِعَةً ... بين الأنامِ ولو كانوا ذوى رَحِمِ

وقال أيضا:

ذَريني أنَلْ مالا يُنَالُ من العُلا ... فَصَعْبُ العلا في الصَّعْبِ والسَّهْلُ في السَّهْلِ

تُريدينَ لقْيانَ المعالى رَخيصةً ... ولابُدَّ دونَ الشهدِ من إبَرِ النَّحْلِ

تمتّع من سهادٍ أو رقاد

«من الوافر»

نالت أبا الطيب بمصر حمى، فقال يصفها ويعرض بالرحيل عن مصر، وذلك في ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة (٩٥٩م):

مَلُومُكُمَا يَجِلُّ عَنِ الْمَلامِ ... وَوَقْعُ فِعَالِهِ فَوْقَ الكَلامِ[١]

ذَرَانِي وَالفَلاةَ بِلا دَلِيلِ ... وَوَجْهِي وَالهَجِيرَ بِلا لِثَامِ[٢]

فَإِنِّي أَسْتَرِيحُ بِذِي وَهَذا ... وَأَتْعَبُ بِالإِنَاخَةِ وَالمُقَامِ[٣]

عُيُونُ رَوَاحِلِي إِنْ حِرْتُ عَيْنِي ... وَكُلُّ بُغَامِ رَازِحَةٍ بُغَامِي[٤]

فَقَدْ أَرِدُ المِيَاهَ بِغَيْرِ هَادٍ ... سِوَى عَدْوِي لَهَا بَرْقَ الغَمَامِ[٥]

يُذِمُّ لِمُهْجَتِي رَبِّي وَسَيْفِي ... إِذَا احْتَاجَ الوَحِيدُ إِلَى الذِّمَامِ[٦]

وَلا أُمْسِي لأَهْلِ البُخْلِ ضَيْفًا ... وَلَيسَ قِرَى سِوَى مُخِّ النَّعَامِ[٧]

وَلَمَّا صَارَ وُدُّ النَّاسِ خِبًّا ... جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامٍ بِابْتِسَامِ[٨]

---

(١) أي من تلوماه: يعني نفسه، لا يأتي عملاً يلام عليه فهو يجل عن الملام، وما يفعله لا يصل إليه كلام القائلين.

(٢) ذراني أمر من ذرى: اتركاني، الهجير حر الهاجرة، أي اتركاني أقطع الفلوات بلا دليل لأني مجرب مسالكها واتركا وجهي مكشوفًا لحر الهجير فأنا معتاد عليه.

(٣) ذي وهذا، أي الفلاة والهجير، الإناخة للإبل بمعنى: النزول، المقام: الإقامة.

(٤) رواحلي: نياقي، البغام صوت الناقة إذا قطعت الحنين و لم تمده، رازحةٌ ساقطة من التعب، المعروف أن الناقة سفينة الصحراء فلا تتيه منها، وهي خبيرة بمسالكها، ويقول الشاعر أن عيون النوق هي عينه أي لا يضيع في الفلوات، وصوتي كصوت الناقة، واستخدم البغام لإتمام الاستعارة.

(٥) أعدّ البرق وأطمئن إلى الغيث فيكون عدّي هذا دليلا إلى المياه ولا أحتاج لسواه.

(٦) يذم يعطي الذمة، كل وحيد يحتاج إلى صاحب يرافقه في السفر ليأنس به، أما أنا فأكون في ذمة الله والسيف، وهما يرافقاني في سفري.

(٧) المخ: دسم العظم في جوفه.

(٨) والودّ المحبة، الخب الخداع.

وَصِرْتُ أشُكُّ فيمَنْ أصْطَفيهِ ... لعِلْمي أنَّهُ بَعْضُ الأنَامِ[1]

يُحِبُّ العَاقِلُونَ على التَّصَافي ... وَحُبُّ الجَاهِلينَ على الوَسَامِ[2]

وَآنَفُ مِنْ أخي لأبي وأُمِّي ... إذا مَا لم أجِدْهُ مِنَ الكِرامِ[3]

أرَى الأجْدادَ تَغْلِبُهَا كَثِيرًا ... على الأوْلادِ أخْلاقُ اللِّئَامِ[4]

وَلَسْتُ بقانعٍ مِن كُلِّ فَضْلٍ ... بأنْ أُعْزَى إلى جدٍّ هُمَامِ[5]

عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدٌّ وَحَدٌّ ... وَيَنْبُو نَبْوَةَ القَضِمِ الكَهَامِ[6]

وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إلى المَعَالي ... فَلا يَذَرُ المَطِيَّ بِلا سَنَامِ[7]

وَلَمْ أرَ في عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا ... كَنَقصِ القَادِرِينَ على التَّمَامِ

أقَمْتُ بأرْضِ مِصْرَ فَلا وَرَائي ... تَخُبُّ بِيَ الرِّكَابُ وَلا أمَامي[8]

وَمَلَّنِيَ الفِرَاشُ وَكانَ جَنْبي ... يَمَلُّ لِقَاءَهُ في كُلِّ عَامِ[9]

قَلِيلٌ عَائِدي سَقِمٌ فُؤادي ... كَثِيرٌ حَاسِدي صَعْبٌ مَرَامي[10]

عَلِيلُ الجِسْمِ مُمْتَنِعُ القِيَامِ ... شَدِيدُ السُّكْرِ مِنْ غَيرِ المُدَامِ[11]

---

(١) أصطفيه: أختاره، الأنام: الخلق.

(٢) حب العاقل تبادل وتصافي، أما حب الجاهل فهو على جمال الهيئة وحسن الصورة.

(٣) آنف: أستنكف، فهو يأنف من أخيه المولود من أمه وأبيه إذا لم يكن كريمًا.

(٤) المعنى: أن الأخلاق اللئيمة تغلب الأصل الكريم، فقد لا يتمثل الولد بأخلاق الأجداد.

(٥) أعزى: أنسب، الهمام: العظيم الهمة.

(٦) الحد: البأس، نبوة السيف كلاله، السيف القضم المتثلم، الكهام الذي لا يقطع.

(٧) من معطوفة على مثلها في البيت السابق، يذر يترك المطي للإبل، السنام الحدب البارز في البعير.

(٨) الخبب ضرب من المشي، الركاب الإبل، يعني أنه مكث في مصر و لم يبرح على غير عادته في السفر الدائم.

(٩) أي مله الفراش في مرضه المزمن، بعد أن كان هو يملّ الفراش ولو نام عليه مرة واحدة في السنة.

(١٠) العائد زائر المريض، المرام المطلب والهدف.

(١١) المدام: الخمر

وَزَائِـرَتِي كَـأَنَّ بِـهَا حَيَـاءً ... فَلَيْسَ تَـزُورُ إلاَّ في الظَّـلامِ
بَذَلْتُ لها الـمَطَارِفَ وَالْحَشَـايَا ... فَعَافَتْـهَا وَبَـاتَتْ في عِظَـامي[1]
يَضِيقُ الجِلْدُ عَـنْ نَفَسـي وَعَنـها ... فَتُوسِـعُهُ بِـأَنْوَاعِ السَّـقَامِ
كأنّ الصُّبْـحَ يَطرُدُهـا فَتَجـري ... مَدامِعُـهَا بأَرْبَعَـةٍ سِـجَامِ[2]
أُرَاقِبُ وَقْتَـهَا مِـنْ غَـيرِ شَـوْقٍ ... مُرَاقَبَةَ الـمَشُوقِ الـمُسْتَهَامِ[3]
وَيَصْدُقُ وَعْدُهَـا وَالصِّـدْقُ شَـرٌّ ... إذا أَلْقَـاكَ في الكُـرَبِ العِظَـامِ[4]
أَبِنْتَ الدَّهْرِ عِنـدي كُـلُّ بِنْـتٍ ... فكَيفَ وَصَلْتِ أنتِ منَ الزِّحَـامِ[5]
جَرَحْـتِ مُجَرَّحًـا لم يَبْـقَ فيـهِ ... مَكَـانٌ للسُّـيُوفِ وَلا السِّـهَامِ
ألا يا لَيتَ شِـعرَ يَـدي أَتُمْسِـي ... تَصَـرَّفُ في عِنَـانٍ أَوْ زِمَـامِ[6]
وَهَلْ أَرْمِـي هَـوَايَ بِرَاقِصَـاتٍ ... مُحَـلاَّةٍ الـمَقَاوِدِ باللُّغَـامِ[7]
فَرُبَّتَمَا شَـفَيْتُ غَلِيـلَ صَـدْرِي ... بِسَـيرِ أَوْ ثَنَـاةٍ أَوْ حُسَـامِ[8]
وَضَاقَتْ خطَّـةٌ فَخَلَصْـتُ مِنـها ... خَلاصَ الخَمرِ من نَسجِ الفِـدامِ[9]
وَفَـارَقْتُ الحَبِيـبَ بِـلا وَدَاعٍ ... وَوَدَّعْـتُ البِـلادَ بِـلا سَـلامِ

---

(١) المطارف أردية من خزّ، الحشايا جمع حشية وهي الفراش المحشو، عافتها رفضتها.

(٢) سجام منسكبة، فالدمع يجري من المآقي وإذا فاض جرى من اللحاظ، وقد ذكر الأربعة السجام إشارة إلى الموقين واللحاظين، يعني أنه إذا طردها الصبح تغادر وهي شديدة البكاء.

(٣) ينتظرها بلا شوق رغم أنه يراقب وقتها بأكثر مما يفعله المشتاق.

(٤) الكرب جمع كرب وهو المصاب، والعظام نعتها.

(٥)بنات الدهر شدائده.

(٦)يقول ليت يدي تعلم هل ستنصرف بعد هذا بزمام أو عنان، والعنان سير اللجام.

(٧) الراقصات، الإبل الراقصة في مشيها، اللغام الزبد على فم البعير، أي هل أقصد بعد الآن ما أهوى وأطلب، على إبل حليت من اللغام فصار كالزينة.

(٨) ربتما ربما.

(٩) الخطة: الأمر، الفدام: ما يوضع على فم الإبريق ليصفي ما فيه.

يَقُولُ لِيَ الطَّبِيبُ أَكَلْتَ شَيْئًا ... وَداؤُكَ في شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ[1]

وَمَا في طِبِّهِ أَنِّي جَوَادٌ ... أَضَرَّ بِجِسْمِهِ طُولُ الْجَمَامِ[2]

تَعَوَّدَ أَنْ يُغَبِّرَ في السَّرَايَا ... وَيَدْخُلَ مِنْ قَتَامٍ في قَتَامِ[3]

فَأُمْسِكَ لا يُطَالُ لَهُ فَيَرْعَى ... وَلا هُوَ في العَلِيقِ وَلا الْلِجَامِ[4]

فَإِنْ أَمْرَضْ فما مرضَ اصْطِبَارِي ... وَإِنْ أُحْمَمْ فَمَا حُمَّ اعْتِزَامِي[5]

وَإِنْ أَسْلَمْ فَمَا أَبْقَى وَلَكِنْ ... سَلِمْتُ مِنَ الحِمَامِ إلى الْحِمَامِ[6]

تَمَتَّعْ مِنْ سُهَادٍ أَوْ رُقَادٍ ... وَلا تَأْمُلْ كَرًى تَحْتَ الرِّجَامِ[7]

فَإِنَّ لِثَالِثِ الْحَالَيْنِ مَعْنًى ... سِوَى مَعْنَى انتباهِكَ وَالْمَنَامِ[8]

---

(١) ... الداء: المرض.

(٢) الجمام الراحة، شبه نفسه بالفرس الأصيل إذا طال مقوده كسل ووني.

(٣) السرايا قطع الجيش، القتام الغبار.

(٤) لا يطال أي لا يرخى له الحبل، والضمير إلى الجواد، أي لم يرخ له الحبل فيرعى كما يشاء ولم يقدم له العليق ولم يكن تحت اللجام في حالة سفر، وهو يشبه بذلك حالته مع كافور.

(٥) أحمم أصاب بالحمى، الاعتزام العزم.

(٦) الحمام الموت، أي إذا نجوت من هذا المرض فلن أبقى خالدًا ولكن أنتقل من سبب للموت إلى سبب آخر، وهذا إشارة إلى إقتحامه للأخطار والأهوال.

(٧) السهاد السهر، الكرى النعاس، الرجام جمع رجمة ويقصد بها حجارة القبر.

(٨) ثالث الحالين: الموت.

أبـــو تمـــام

هو: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام الشاعر الأديب أحد شـــعراء البيان، شاعر مطبوع، لطيف الفطنة، دقيق المعاني، غواص على ما يستصعب منـها، ويعسر متناوله على غيره.

ولد في سورية، ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازه وقدمـــه على شعراء وقته، فأقام في العراق. كان أسمر، طويلا، فصيحًا، حلو الكلام، فيـــه تمتمة يسيرة، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب، غـــير القصـــائد والمقاطيع.

اختلف في التفضيل بينه وبين المتنبي والبحتري، وقد روى عن بعض الشـعراء أن أبا تمام أنشده قصيدة له، أحسن في جميعها، إلا في بيت واحد، فقال له: يا أبا تمـام لو ألقيت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب، فقال له: أنا والله أعلم منه مثل مـا تعلم، ولكن مثل شعر الرجل عنده مثل أولاده، فيهم الجميل والقبيـــح، والرشـــيد والساقط، وكلهم حلو في نفسه، فهو وإن أحب الفاضل لم يبغض النـــاقص، وإن هوى بقاء المتقدم لم يهوَ موت المتأخر.

له ديوان شعر مطبوع، وديوان الحماسة مطبوع.

قال يمدح أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا إسحاق محمد بن هارون الرشيد ويذكر فتح عمورية[1]:

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكُتُبِ ... في حدِّه الحدُّ بين الجِدِّ واللعِبِ[2]
بيضُ الصفائحِ لا سودُ الصحائفِ في ... متونهنَّ جَلاءُ الشَّك والرِّيَبِ[3]
والعلمُ في شُهُبِ الأرْمَاحِ لامعةً ... بين الخميسين لا في السَّبعَةِ الشُّهُبِ[4]
أينَ الروايةُ بل أينَ النجومُ وما ... صاغوهُ من زخرفٍ فيها ومن كَذِبِ
تخرّصًا وأحاديثًا ملفّقةً ... ليست بنبعٍ إذا عدّت ولا غَرَبِ[5]
عجائبًا زعموا الأيامَ مجفلةً ... عنهنَّ في صفرِ الأصْفَارِ أو رَجَبِ[6]
وخوّفوا الناسَ من دهياءَ مظلمةٍ ... إذا بدا الكوكبُ الغربيُّ ذو الذُّنَبِ[7]

---

(١)كان المنجمون قد حكوا أن المعتصم لا يفتح عمورية، وراسلته الروم بأنا نجد في كتبنا أنه لا تفتح مدينتنا إلا في وقت إدراك التين والعنب، وبيننا وبين ذلك الوقت شهور يمنعك من المقام بها البرد والثلج -وكان ذلك أثناء حصاره لها- فأبى أن ينصرف وفتحها وأبطل ما قاله المنجمون وانتصر للمسلمة التي استغاثت به قائلة: "وامعتصماه".

(٢)الكتب: يقصد بها كتب المنجمين، حدّه الحد: الحد الأول للسيف، الثاني الذي يفصل بين الشيئين.

(٣)الصفائح: السيوف، الصحائف: الكتب، وبينهما جناس ناقص.

(٤)شهب الأرماح: أسنتها، الخميسان: الجيشان، السبعة الشهب: الطوالع السبع أعلاها زحل وأدناها القمر.

(٥)التخرص: الكذب وافتراء القول، النبع: شجر صلب ينبت في رؤوس الجبال تتخذ منه القسي، الغرب: شجر ينبت على الأنهار ليست له قوة.

(٦)مجفلة: مجلية أو مبينة، يقصدُ أنهم زعموا أن الأيام ستظهر عجائبًا في صفر ورجب.

(٧)دهياء: هي المصيبة وزعموا أنها ستكون بتغير في أمر الولايات الإسلامية وانقلابها.

وصيروا الأبْرُجَ العُليا مرتَّبةً ... ما كان منقلباً أو غيرَ مُنْقَلِبِ[1]

يقضون بالأمر عنها وهي غافِلَةٌ ... ما دارَ في فلكٍ منها وفي قُطُبِ

لو بيَّنتْ قطُّ أمرًا قَبْلَ موقعِهِ ... لم تُخْفِ ما حلَّ بالأوثان والصلبِ

فتحُ الفتوحِ تعالى أن يحيط بهِ ... نظمٌ من الشعرِ أو نثرٌ من الخُطَبِ

فتحٌ تفتَّحُ أبوابُ السماءِ لهُ ... وتبرزُ الأرضُ في أثوابها القُشُبِ[2]

يا يومَ وَقْعَةِ عموريَّةَ انصرفتْ ... منك المنى حُفَّلاً مَعْسُولَةَ الحَلَبِ[3]

أبقيتَ جدَّ بني الإسلامِ في صَعَدٍ ... والمشركين ودارَ الشِّركِ في صَبَبِ[4]

أمٌّ لهم لو رجوا أن تفتدَى جَعَلُوا ... فداءها كُلَّ أُمٍّ مِنْهُمُ وأَبِ

وَبَرْزَةُ الوجهِ قد أعيت رياضَتُها ... كسرى وصدّت صدوداً عن أبي كربِ[5]

بِكرٌ فما افترعتها كفُّ حادثةٍ ... شابت نواصي الليالي وهي لم تشبِ

من عهد إسكندرٍ أو قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ ... ولا ترقَّت إليها همة النوبِ[6]

حتى إذا مخَّضَ اللهُ السنينَ لها ... مَخْضَ النجيلةِ كانت زُبدة الحِقَبِ[7]

---

(١)الأبرج: يقصد بها بروج السماء ويزعم المنجمون أنها ثلاثة أقسام أربعة منقلبة وهي الحمل والسرطان والميزان والجدي وأربعة ثابتة وهي الثور والأسد والعقرب والدلو وأربعة ذوات جسدين وهي الجوزاء والسنبلة والقوس والحوت.

(٢)القشب: الحديدة

(٣)حفل: جمع حافل وهي التي حفل ضرعها باللبن، المعسولة: التي فيها عسل، الحلب: ما حلب من اللبن.

(٤)الصعد: المكان الذي يصعد فيه، الصبب: المكان التي ينصب فيه.

(٥)برزة الوجه: تقال للمرأة الحيية وللمرأة التي لا تستتر من الرجال ولكلاهما هنا وجه، أبو كرب: كنية أحد التبابعة الأقوياء في اليمن.

(٦)افترعتها: فضت بكارتها أي أن هذه المدينة لم تفتح من قبل.

(٧)مخض: حرك وطاب اللبن ليخرج زبدته، مخض النجيلة: لأنها تكون أكثر احتهاداً من السمحة حرصًا على الزبدة.

أتتهُمُ الكربةُ السَّوداءُ سادِرَةً ... منها وكانَ اسمُها فرَّاجَةَ الكُرَبِ[1]

جرى لها الفألُ بَرْحًا يوم أنقرةٍ ... إذ غودرت وحشة الساحات والرِّحَبِ[2]

لما رأت أُختَها بالأمسِ قد خربتْ ... كان الخرابُ لها أعدى من الجَرَبِ

كم بين حيطانها من فارسٍ بطلٍ ... قاني الذوائبَ من آني دمٍ سَرِبِ[3]

بسُنَّةِ السيفِ والخِنَّاءُ من دمهِ ... لا سُنَّةِ الدِّينِ والإسلام مُختَضِبِ

لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيَر المؤمنينَ بها ... للنار يومًا ذليلَ الصَّخْرِ والخَشَبِ

غادرتَ فيها بهيم الليل وهو ضحًى ... يُشِلُّهُ وَسْطها صبح من اللَّهبِ[4]

حتَّى كأنَّ جلابيبَ الدجى رغِبَتْ ... عن لونها أو كأنَّ الشمسَ لم تَغِبِ

ضوءٌ من النار والظلماءُ عاكفةٌ ... وظلمةٌ من دخانٍ في ضُحًى شَحِبِ[5]

فالشمسُ طالعةٌ مِنْ ذا وقد أَفَلَتْ ... والشمسُ واجبةٌ في ذا و لم تجبِ[6]

تصرَّحَ الدهرُ تصريحَ الغمامِ لها ... عن يوم هيجاءَ منها طاهرٍ جُنُبِ[7]

لم تطلعِ الشمسُ فيهِ يومَ ذاكَ على ... بانٍ بأهلٍ و لم تغربْ على عَزَبِ[8]

ما ربعُ ميَّةَ معمورًا يطيفُ بهِ ... غيلانُ أبهى ربىً من ربعِها الخَرِبِ[9]

---

(١)سادرة: مظلمة، والهاء في منها عائدة على عمورية.

(٢)برحًا: هو ما برح من الطير والعرب تختلف في البارح والسانح فيقولون السانح ما ولاك ميامنه والبارح ما ولاك ميامنه، وبعضهم يعكس ذلك، والهاء في لها عائدة أيضًا على عمورية.

(٣)قاني الذوائب: محمرها، الآني: الحار وأصله في الماء المغلي، سرب: سائل.

(٤)بهيم الليل: الذي لا ضوء فيه، يشله: يطرده.

(٥) متغير اللون.

(٦)من ذا: الأولى يقصد بها لهيب النار والثانية يقصدُ بها الدّخان، واجبة: غاربة.

(٧)طاهر جنب: أي أن هذا اليوم فعل فيه حلا مندوبًا وهو الغزو وجنب لأنهم وطئوا فيه السبى فاحتاجوا إلى الغسل.

(٨)معنى البيت أنه لم يترك فيهم بان بأهل لأنه قتل ولا عزب لأنهم وطئوا السبى.

(٩)غيلان: هو غيلان بن عقبة وهو ذو الرمة الذي أكثر في شعر من وصف ربع مية المعمور.

ولا الخدودُ وقَدْ أُدمينَ من خجلٍ ... أشهى إلى ناظرٍ من خدها التُّرب

سَماجةً غَنِيَتْ منا العيونُ بها ... عن كل حسنٍ بدا أو منظرٍ عَجَبِ[1]

وحُسنُ مُنقلَبٍ تبدو عواقبُهُ ... جاءتْ بشاشتُهُ عن سوءِ مُنْقَلَبِ[2]

لم يعلمُ الكفرُ كم من أعصرٍ كَمَنَتْ ... لهُ العواقِبُ بين السمرِ والقُضُبِ[3]

تدبيرُ معتصمٍ باللهِ منتقمٍ ... للهِ مرتقبٍ في اللهِ مرتغبِ

ومُطْعَمُ النَّصْرِ لم تكهم أسِنَّتُهُ ... يومًا ولا حجبت عن روح محتجبِ

لم يغزُ قومًا ولم ينهدْ إلى بلدٍ ... إلاَّ تقدمهُ جيشٌ من الرُّعُبِ

لو لم يَقُدْ جحفلاً يوم الوغى لغدا ... من نفسهِ وحدها في جحفلٍ لَجِبِ

رمى بكَ اللهُ برجيها فهدَّمها ... ولو رمى بك غيرُ اللهِ لم يصبِ

من بعدما أشَّبُوها واثقين بها ... واللهُ مفتاحُ بابِ المعقلِ الأشِبِ

وقال ذو أمرهم لا مرتعٌ صدرٌ ... للسارحين وليس الوردُ من كثبِ

أمانيًا سلبتهم نجحَ هاجسها ... ظبى السُّيوفِ وأطراف القنا السلبِ

إن الحمامين من بيض ومن سمر ... دلّوا الحياتين من ماءٍ ومن عشبِ

لبيت صوتًا زبطريًّا هرقت لهُ ... كأسَ الكرى ورضابَ الخُرَّدِ العُرُبِ

عداك حرّ الثغور المستضامةِ عن ... برد الثغور وعن سلسالها الحَصِبِ

أجبته معلنًا بالسيف منصلتًا ... ولو أجبتَ بغيرِ السيفِ لم تُجبِ

حتى تركت عمود الشركِ مُنْعَفِرًا ... ولم تُعَرِّجْ على الأوتادِ والطُّنُبِ

لما رأى الحربَ رأيَ العين توفلسٌ ... والحربُ مشتقة المعنى من الحربِ

غدا يصرّف بالأموالِ جرْيتها ... فعزَّهُ البحرُ ذو التيارِ والحَدَبِ

---

(١)سماجة: قبح

(٢)في رواية: تبقى عواقبه.

(٣)السمر: الرماح. والقضب: السيوف.

هيهات زعزعَت الأرض الوقور بهِ ... عن غزو محتسبٍ لا غزو مُكْتَسبِ

لم يُنْفِقِ الذهبَ المربى بكثرتهِ ... على الحصى وبهِ فقرٌ إلى الذَّهَبِ

إن الأسودَ أُسودَ الغِيلِ همَّتُها ... يومَ الكريهةِ في المسلوبِ لا السلبِ

ولّى وقد ألجَمَ الخطيُّ منطقهُ ... بسكتةٍ تحتبِها الأحشاءُ في صخبِ

أحْذَى قرابينهُ صرفَ الرّدى ومضى ... يَحُتُّ أنجى مطاياهُ من الهَرَبِ

موكّلاً بيَفَاعِ الأرضِ يشرفُهُ ... من خفةِ الخوفِ لا من خفّةِ الطَّرَبِ

إن يعدُ من حرّها عدو الظليم فَقَدْ ... أوسعت جاحمها من كثرة الحطبِ

تسعون ألفًا كآساد الشرى نضجت ... جلودهم قبل نضج التين والعنبِ

يا ربِّ حوباءَ لما اجتثَّ دابرُهُمْ ... طابت ولو ضُمخت بالمسكِ لم تطبِ

ومغضبٍ رَجَعَتْ بيضُ السُّيُوف بهِ ... حيّ الرضا مِنْ رداهم ميِّتَ الغضبِ

والحرب قائمةٌ في مأزقٍ لجبٍ ... تحثو القيامُ بهِ صغرًا على الرّكبِ

كم نيلَ تحت سناها من سنا قمرٍ ... وتحت عارضها من عارضٍ شَنِبِ

كم كان في قطعِ أسبابِ الرِّقابِ بها ... إلى المخدَّرة العذراءِ من سببِ

كم أحرزتْ قُضُبُ الهنديِّ مصلتةً ... تهتزُّ من قُضُبٍ تهتزُّ في كُثُبِ

بيضٌ إذا انتضِيَتْ من حجبِها رجعتْ ... أحق بالبيض أترابًا من الحجبِ

خليفةَ اللهِ جازى اللهُ سعيَك عن ... جُرثُومةِ الدينِ والإسلام والحَسَبِ

بَصُرتَ بالراحةِ الكبرى فلم ترَها ... تُنالُ إلاّ على جسرٍ من التَّعَبِ

إن كان بين صروف الدهر من رحمٍ ... موصولةٍ أو ذمامٍ غيرِ منقضبِ

فبين أيامِكَ اللاتي نُصرتَ بها ... وبين أيامِ بدرٍ أقربُ النَّسَبِ

أبقتْ بني الأصفرَ المِمْراضِ كاسمِهِمِ ... صُفْرَ الوجُوهِ وجَلَّتْ أَوْجُهَ العَرَبِ

أبو العلاء المعرى(*)

هو: أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي المعري: شاعر فيلسوف، ولد ومات في معرة النعمان. كان نحيف الجسم، أصيب بالجدري صغيرًا فعمي في السنة الرابعة من عمره، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، ورحل إلى بغداد سنة ٣٩٨هـ فأقام بها سنة وسبعة أشهر، وهو من بيت علم كبير في بلده. ولما مات وقف على قبره ٨٤ شاعرًا يرثونه، وكان إذا أراد التأليف أملى على كاتبه علي بن عبدالله بن أبي هاشم، وكان يحرم إيلام الحيوان، ولم يأكل اللحم خمسًا وأربعين سنة، وكان يلبس خشن الثياب، أما شعره وهو ديوان حكمته وفلسفته، فثلاثة أقسام: "لزوم ما يلزم" ويعرف باللزوميات، و"سقط الزند" و"ضوء السقط" وقد ترجم كثير من شعره إلى الإنجليزية، واللاتينية، الألمانية والتركية.

وأما كتبه فكثيرة منها "الأيك والغصون"، و"تاج الحرة"، و"عبث الوليد"، و"رسالة الملائكة"، و"اختيارات الأشعار في الأبواب"، و"شرح ديوان المتنبي"، و"رسالة الغفران"، و"ملقى السبيل"، و"مجموعة رسائله"، و" خطبة الفصيح"، و"الرسائل الإغريقية"، و"الرسائل المنبجية"، و"الفصول والغايات"، و"اللامع العزيزي".

راجع ترجمته في: تذكرة النوادر (١٣٠)، وابن خلكان (١-٣٣)، ومعجم الأدباء (١-١٨١)، وابن الوردي (١-٣٥٧)، وفهرست ابن خليفة (٣٤٣)، وإعلام النبلاء (٤/٧٧، ١٨٠، ١٧٨)، ولسان الميزان (١/٢٠٣)، وإنباه الرواة (١/٤٦)، وتتمة اليتيمة (٩)، ومجلة المقتطف (٢٨/٨٩٧)، ودائرة المعارف الإسلامية (١/٣٧٩).

(*) من شروح سقط الزند .

قال يرثي فقيها حنفيًا :

١غَـيْرُ مُجْـدٍ فِي مِلَّتِـي وَاعْتِقَـادِي ... نَـوْحُ بَـاكٍ ولا تَرَنُّـمُ شَـادِي

٢وَشَـبِيهٌ صَـوْتُ النَّعِـيِّ إذا قِيـ ... ـسَ بِصَوْتِ البَشِيرِ فِي كُـلِّ نَـادِي

٣أَبَكَتْ تِلْكُـمُ الحَمَامَـةُ أَمْ غَـنَّـ ... ـتْ عَلَـى فَـرْعِ غُصْنِـهَا المَيَّـادِ

٤صَاحِ هَذِي قُبُورُنَـا تَمْـلأُ الرُّحْـ ... ـبَ فَأَيْنَ القُبُورُ مِـنْ عَـهْدِ عَـادِ؟

٥خَفِّفِ الـوَطْءَ مَـا أَظُـنُّ أَدِيمَ الْـ ... ـأَرْضِ إِلا مِـنْ هَـذِهِ الأَجْسَـادِ

٦وَقَبِيـحٌ بِنَـا وَإِنْ قَـدُمَ الْعَهْـ ... ـدُ هَـوَانُ الآبَـاءِ والأَجْـدَادِ

٧سِـرْ إِن اسْـطَعْتَ فِـي الهَـوَاءِ رُوَيْـدًا ... لاَ اخْتِيَـالاً عَلَـى رُفَـاتِ العِبَـادِ[1]

٨رُبَّ لَحْدٍ قَـدْ صَـارَ لَحْـدًا مِـرَارًا ... ضَـاحِكٍ مِـنْ تَزَاحُـمِ الأَضْـدَادِ

٩ودَفِـينٍ عَلَـى بَقَايَـا دَفِـينٍ ... فِي طَوِيـلِ[2] الأَزْمَـانِ والآبَـادِ

١٠فَاسْـأَلِ الْفَرقَدَيْـنِ عَمَّـن أَحَسَّـا ... مِـنْ قَبِيـلٍ وآنَسَـا مِـنْ بِـلاَدِ

١١كَـمْ أَقَامَـا عَلَـى زَوَالِ نَـهَارٍ ... وَأَنَـارَا لِمُدْلِـجٍ فِي سَـوَادِ

١٢تَعَبٌ كُلُّـهَا الحَيَـاةُ فَمَـا أَعْـ ... ـجَبُ إِلاَّ مِـن رَاغِـبٍ فِي ازْدِيَـادِ

١٣إِنَّ حُزْنًا فِي سَاعَةِ الفَوْتِ(٢)أَضْعَـا ... فُ سُـرُورٍ فِي سَاعَـةِ الميـلادِ

١٤خُلِـقَ النَّـاسُ لِلْبَقَـاءِ فَضَلَّـتْ ... أُمَّـةٌ يَحْسَـبُونَهُمْ لِلنَّفَـادِ

١٥إِنَّمَـا يُنْقَلُـونَ مِـنْ دَارِ أَعْمَـا ... لٍ إِلَـى دَارِ شَـقْوَةٍ أَوْ رَشَـادِ

١٦ضَجْعَةُ الْمَوْتِ رَقْدَةٌ يَسْـتَرِيحُ الْـ ... ـجِسْمُ فِيهَا وَالْعَيْـشُ مِثْـلُ السُّـهَادِ

١٧أَبَنَـاتِ الهَدِيـلِ أَسْـعِدْنَ أَوْ عِـدْ ... نَ قَلِيـلَ العَـزَاءِ بِالإِسْـعَادِ

١٨إِيـهِ لِلّهِ دَرُّكُـنَّ فَـأَنْتُنَّ ... اللَّوَاتِـي يُحْسِـنَّ حِفْـظَ الـوِدَادِ

١٩مَا نَسِـيتُنَّ هَالِكًـا فِي الأَوَانِ الْـ ... ـمَاضِي أَوْدَى مِنْ قَبْـلِ هُلْـكِ إِيَـادِ

٢٠بَيْدَ أَنِّـي لاَ أَرْتَضِـي مَـا فَعَلْتُـنَّ ... وَأُطَوِّقُكُـنَّ فِي الأَجْيَـادِ

---

(١) الخوارزمي : ويروى"على رقاب العباد". بدل من "على رفات العباد"

(٢) ويروى "طوال". بدل "طويل".

٢١فَتَسَلْبَنَ وَاسْتَعِرنَ جَمِيعًا ... مِنْ قَمِيصِ الدُّجَى ثِيَابَ حِدادِ

٢٢ثُمَّ غَرِّدْنَ فِي المَآتِمِ وَانْدُبْ ... نَ بِشَجْوٍ مَعَ الغَوَانِي الخَرادِ

٢٣قَصَدَ الدَّهْرُ مِنْ أَبِي حَمْزَةَ الأَ ... وَّابِ مَوْلَى حِجًا وَخِدْنَ اقْتِصَادِ

٢٤وَفَقِيهاً أَفْكَارُهُ شِدْنَ لِلنَّعْ ... مَانِ مَا لَمْ يَشِدْهُ شِعْرُ زِيادِ

٢٥فَالعِرَاقِيُّ بَعْدَهُ لِلْحِجَازِيّ ... قَلِيلُ الخِلَافِ سَهْلُ القِيَادِ

٢٦وَخَطِيبًا لَوْ قَامَ بَينَ وُحُوشٍ ... عَلَّمَ الضَّارِيَاتِ بِرَّ النَّقَادِ

٢٧رَاوِيًا لِلْحَدِيثِ لَمْ يُخْرُجِ المَعْ ... رُوفُ مِنْ صِدْقِهِ إِلى الإِسْنَادِ

٢٨أَنْفَقَ العُمْرَ نَاسِكًا يَطْلُبُ العِلْ ... مَ بِكَشْفٍ عَنْ أَصْلِهِ وَانْتِقَادِ[1]

٢٩مُسْتَقِي الكَفِّ مِنْ قَلِيبِ زُجَاجٍ ... بِغُرُوبِ اليَرَاعِ مَاءَ مِدَادِ

٣٠ذَا بَنَانٍ لاَ تَلْمَسُ الذَّهَبَ الأَحْ ... مَرَ زُهْدًا فِي العَسْجَدِ المُسْتَفَادِ

٣١وَدَّعَا أَيُّهَا الحَفِيَّانِ ذَاكَ الشَّ ... خْصَ إِنَّ الوَدَاعَ أَيْسَرُ زَادِ

٣٢وَاغْسِلاَهُ بِالدَّمْعِ إِنْ كَانَ طُهْرًا ... وَادْفِنَاهُ بَيْنَ الحَشَا وَالفُؤَادِ

٣٣وَاحْبُوَاهُ الأَكْفَانَ مِنْ وَرَقِ المُصْ ... حَفِ كِبْرًا عَنْ أَنْفَسِ الأَبْرَادِ

٣٤وَاتْلُوا النَّعْشَ بِالقِرَاءَةِ وَالتَّس ... بِيحِ لاَ بِالنَّحِيبِ وَالتَّعْدَادِ

٣٥أَسَفٌ غَيْرُ نَافِعٍ وَاجْتِهَادٌ ... لاَ يُؤَدِّي إِلى غَنَاءِ اجْتِهَادِ

٣٦طَالَمَا أَخْرَجَ جَوَى الحُزْ ... نِ إِلى غَيْرِ لاَئِقٍ بِالسَّدَادِ

٣٧مِثْلَ مَا فَاتَتِ الصَّلاَةُ سُلَيْمَا ... نَ فَأَنْحَى عَلَى رِقَابِ الجِيَادِ

٣٨وَهْوَ مَنْ سُخِّرَتْ لَهُ الإِنْسُ وَالجِنُّ ... بِمَا صَحَّ مِنْ شَهَادَةِ صَادِ

٣٩خَافَ غَدْرَ الأَنَامِ فَاسْتَوْدَعَ الرِّيـ ... ـحَ سِلِيلاً تَغْذُوهُ دَرَّ العِهَادِ

٤٠وَتَوَخَّى لَهُ النَّجَاةَ وَقَدْ أَيْـ ... ـقَنَ أَنَّ الحِمَامَ بِالمِرْصَادِ

٤١فَرَمَتْهُ بِهِ عَلَى جَانِبِ الكُرْ ... سِيِّ أُمُّ اللُّهَيْمِ أُخْتُ النَّآدِ

٤٢كَيْفَ أَصْبَحْتَ فِي مَحَلِّكَ بَعْدِي ... يَا جَدِيرًا مِنِّي بِحُسْنِ افْتِقَادِ

---

(١)ويروى بانتقاد بدل من وانتقاد.

٤٣ قَدْ أَقَرَّ الطِّبُّ عَنْكَ بِعَجْزٍ ... وَتَقَضَّى تَرَدُّدُ الْعُوَّادِ

٤٤ وَانْتَهى الْيَأْسُ مِنْكَ وَاسْتَشْعَرَ الوا ... جِدُ أَنْ لاَ مَعَادَ حَتَّى الْمَعَادِ

٤٥ هَجَدَ السَّاهِرُ وَنَحْوَلَكَ لِلتَّمْـ ... ـرِيضِ وَيْحٌ لأَعْيُنِ الْهُجَّادِ

٤٦ أَنْتَ مِنْ مَعْشَرٍ مَضَوْا غَيْرَ مَغْرُو ... رِينَ مِنْ عِيشَةٍ بِذَاتِ ضِمَادِ

٤٧ لا يُغَيِّرْكُمُ الصَّعِيدُ وَكُونُوا ... فِيهِ مِثْلَ السُّيُوفِ فِي الأَغْمَادِ

٤٨ فَعَزِيزٌ عَلَيَّ خَلْطُ اللَّيَالِي ... رِمَّ أَقْدَامِكُمْ بِرِمِّ الْهَوَادِي

٤٩ كُنْتَ خِلَّ الصِّبَا فَلَمَّا أَرَادَ الْـ ... ـبَيْنُ وَافَقْتَ رَأْيَهُ فِي الْمُرَادِ[1]

٥٠ وَرَأَيْتَ الْوَفَاءَ لِلصَّاحِبِ الأَوْ ... لِ مِنْ شِيمَةِ الْكَرِيمِ الْجَوَادِ

٥١ وَخَلَعْتَ الشَّبَابَ غَضّاً فَيَا لَيْـ ... ـتَكَ أَبْلَيْتَهُ مَعَ الأَنْدَادِ

٥٢ فَاذْهَبَا خَيْرَ ذَاهِبَيْنِ حَقِيقَيْـ ... ـنِ بُسْقْيَا رَوَائِحٍ وَغَوَادِي

٥٣ وَمَرَاثٍ لَوْ أَنَّهُنَّ دُمُوعٌ ... لَمَحَوْنَ السُّطُورَ فِي الإِنْشَادِ

٥٤ زُحَلٌ أَشْرَفُ الكواكِبِ داراً ... مِنْ لِقَاءِ الرَّدَى عَلَى مِيعَادِ

٥٥ وَلِنَارِ الْمَرِّيخِ مِنْ حَدَثَانِ الـ ... ـدَّهْرِ مُطْفٍ وَإِنْ عَلَتْ فِي اتِّقَادِ

٥٦ وَالثُّرَيَّا رَهِينَةٌ بِاجْتِمَاعِ الـ ... ـشَّمْلِ حَتَّى تُعَدَّ فِي الأَفْرَادِ

٥٧ فَلْيَكُنْ لِلْمحسَّنِ الأَجَلُ الْمَمْـ ... ـدُودُ رَغْمًا لآنِفِ الْحُسَّادِ

٥٨ وَلْيَطِبْ عَنْ أَخِيهِ نَفْسًا وَأَبْنَا ... ءُ أَخِيهِ جِرَائِحُ الأَكْبَادِ

٥٩ وَإِذَا الْبَحْرُ غَاضَ عَنِّيَ وَلَمْ أَرْ ... وَ فَلاَرِيَّ بِادِّخَارِ الثِّمَادِ

٦٠ كُلُّ بَيْتٍ لِلْهَدْمِ مَا تَبْتَنِي الورْ ... قَاءُ وَالسَّيِّدُ الرَّفِيعُ الْعِمَادِ

٦١ وَالْفَتَى ظَاعِنٌ وَيَكْفِيهِ ظِلُّ السِّـ ... ـدرِ ضَرْبَ الأَطْنَابِ وَالأَوْتَادِ

٦٢ بِأَنَ أَمْرُ الإِلَهِ وَاخْتَلَفَ النَّا ... سُ فَدَاعٍ إِلَى ضَلاَلٍ وَهَادِ

٦٣ وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهِ ... حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادِ

٦٤ وَاللَّبِيبُ اللَّبِيبُ مَنْ لَيْسَ يَغْتَرّ ... بِكَوْنٍ مَصِيرُهُ لِفَسَادِ

---

(١) ويروى: "الساهدون" بدل الساهرون".

شرح أبيات القصيدة:

١(غير مجد في ملتى واعتقادى نوح باك ولا ترنم شادى)

مجد : مفعل، من أجدى يجدى، في معنى أغنى يغنى. والمعنى أن الميت إذا بكى عليه فذلك لا ينفعه ولا ينفع باكيه، فكذلك الغناء ليس هو بشئ، وإذا نظر في العاجلة وسرعة زوالها علم أنها كالخيال، والمجدى: النافع المغنى: يقال:

ما أجدى ولا أغنى، بمعنى واحد.

والترنم: الغناء. والشادى: المتغنى المطرب.

٢(وشبيه صوت النعى إذا قيـ ـس بصوت البشير في كل نادى)

النعى: نعى الإنسان الذي ينعاه. وأهل اللغة يحكونه بالتشديد وينكرون سكون العين، والقياس يوجب أنهما جائزان. فالنعى: مصدر، والنعى، بالتشديد، يجوز أن يكون مصدرا على فعيل كالصهيل والشهيق ويكون المنعى المبكى عليه ويكون الناعى الباكى ويكون اسما للجميع بمنزلة العبيد والكليب، ويجوز أن يكون جاء فيه لغتان: ناع ونعى، كما قالوا عالم وعليم. قال الشاعر[1] :

خيلان من قومى ومن أعدائهم خفضوا أسنتهم فكل ناعى[2]

ويجوز أن يكون قولهم: جاء نعي فلان، أى الحديث الذي يرفع فيه ذكره يقال نعى فلان أحاديث فلان، إذا أظهرها. قال النابغة الذبياني:

فعما قليل ثم جاء نعيه فبات ندى القوم وهو ينوح

ويروى : "إذا قيست" أى: لا ينفع في هذه الدنيا البكاء ولا الغناء، ولا الحزن ولا السرور والنادى والندى: المجلس.

٣(أبكت تلكم الحمامة أم غنـ ـت على فرع غصنها الميادِ)

والمعنى: أن الحمامة إنما يسمع لها صوت، فيجعلها قوم مغنية، فيقولون: لا أفعل

---

(١) هو الأحدع الهمداني، كما في اللسان (نعى).

(٢) يقال: أنعى عليه ونعى عليه شيئا قبيحا، إذا قال تشنيعا عليه.

ذلك ما ناحَ الحمامُ. قال الشاعر[1] :

وأَرَّقَنِي بالرَّيِّ نَـوْحُ حَمامَـةٍ فَنُحْتُ وَذُو الشَّجْوِ الغريبُ[2] يَنوحُ

وَنَاحَتْ وفَرْخَاها بحيثُ تراهما ومِـنْ دُونِ أَفْراخِي سَهامِهُ فِيـحُ

فِيح : جمع أَفْيح وفَيحاء، وهو الواسع. قال الشاعر[3] :

وَهَيَّجَنِي صَوْتُ قُمْرِيَّةٍ هَتُوفِ العَشِيِّ طَروب الضُّحَا

مُطَـوَّقَةٍ لَبِسَـتْ حُـلَّةً بِدَعَـــــــرَةٍ نُـوحٍ لها إذ بَغَـا

ولمّا ذكر أن النَّوح والترنّم سواء في حُكْم الاعتبار والقياس، أَتبعَ ذلك بذكر صوت الحمام؛ لأن العربَ تجعلهُ مَرة غناءً ومرة نَوْحًا. فمِمن جعله غناءً توبَةُ بن الحُمَيِّر في قوله:

حَمامةَ بطنِ الواديَيْنِ ترنَّمِي سَقَـاكِ مِنَ الغُرِّ الغَـوادِي مَطِيرُهـا

أَبِيني لنَا لا زال ريشُك ناعمًـا ولا زِلْتِ في خَضْراءَ غَضَّ نَضيرُها

وَممن جَعلَه نوحًا عَوْفُ بن محلِّم الشيبانيُّ في قوله:

وأَرَّقَنِي بالرَّيِّ نَوْحُ حَمامةٍ فَنُحْتُ وذو الشَّجْوِ الغريبُ يَنوحُ

وقال آخر:

أَلاَ قَاتَلَ اللهُ الحمامـةَ غُدْوةً عَلَى الأَيْكِ ماذَا هَيَّجَتْ حِينَ غَنَّتِ

وَفَرْعُ الغُصْنِ: أعلاه. والمِيّاد: المنعَطِف.

٤(صَاح هَذِي قُبُورُنا تَمْلأُ الرُّحْـ ـبَ فَأَيْنَ القُبُورُ مِنْ عَهْد عَادِ)

والمراد أن العالَمَ قديم العهد؛ فقبور الأوائل تَنْدَرِسُ، وقبورُ المتأخرين تُعْرفُ، وكل ذلك إلى اندراس والرُّحب في الأصل: صدرٌ من قولهم: رحُب الشيء رحابة ورُحْبًا إذا اتَّسعَ، فهو رحيب، ثم يسمى المكان المتسع رُحْبا كما يسمى بالمصاوبة.

---

(١) هو عوف بن محلم الشيباني.

(٢) ويروى "القديم"، ويروى أيضا "الحزين" بدل الغريب.

(٣) هو جهم بن خلف.

ويوصف بها في نحو قولهم: رجل عدل ورضا. وأما الرَّحب، بفتح الراء فصفة محضة وليس بمصدر.

٥(خَفِّفِ الوَطْءَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الْـ ـــأَرضِ إِلا مِنْ هَذِهِ الأَجْسَادِ)

أدم الأرض: ظاهرها، وأدم كل شيء جلده؛ فسمى وجه الأرض أديمًا على التمثيل، كما قال الأعشى:

يومًا تراها كشبه أردية الـ ـــ حمس[1] ويومًا أديمها نَغِلا

وخَصَّ أدم الأرض، وإن كان الأبلغ في المعنى الذي أراده أن يقول: ما أنّ الأرض من حيث كان الوطء على وجه الأرض، وكذلك دفن الموتى.

وقد استُعير الأديمُ للسّماء.

قال خداش ابن زُهير:

عَلَى مَثْلِ قَيْسٍ تُخْمِشُ الأَرْضُ وَجْهَهَا وتُلقي السّماءُ جِلْدَهَا بالكواكِب

فجعل للسماء جلْدًا، كما جَعلَ للأرض أديما.

وقال همّيان بن قحافة يصف الإبل:

فَأَصبَحَتْ جَابِيةً صُهارِجَـا[2] تَخالُهُ جِلْدَ السَّماءِ خَارِجَـا

٦(وَقَبِيحٌ بِنَا وَإِنْ قَدُمَ الْعَهْـ ـــدُ هَوَانُ الآباءِ وَالأَجْدَادِ)

وهذا البيت تقريرٌ للبيت المتقدم.

٧(سِرْ إن اسْطَعْتَ فِي الهَوَاءِ رُوَيْدًا لاَ اخْتِيَالاً عَلَى رُفَاتِ العِبَادِ[3])

اسطاع يسْطيع، بمعنى استطاع يستطيع. وقالوا: هو بمعنى أطاع يطيع وأدخلوا السين فيه عوضا مما دخله من الاعتلال. فإذا كان بمعنى أطاع فألفه ألف قطع، تقول أسطاع يُسْطيع بضم الياء وإذا كان بمعنى استطاع فألفه ألف وصل، تقول اسطاع يستطيع.

---

(١) ضرب من برود اليمن.

(٢) الجابية: الحوض الضخم. والصهارج: المطلى بالصاروج.

(٣) الخوارزمي : ويروى"على رقاب العباد". بدل من "على رفات العباد"

وهذا أمر للإنسان بحفظ السَّلَف، فإن استطاع أن يمشيَ في الهواء فليفعلْ؛ فإنه إذا وطئ الأرضَ إنّما يطأ ترابا مُتكوِّنا من أجساد. والرفات: ما بَلِيَ من العظام.

ورُويدا: كلمة معناها الترفق والترسل، وهى عند البصريِّين تصغير "إرواد" على جهة الترخيم. والفرّاء يراها تصغير "رُود" غيرَ مرخّمة، وحجّته قولُ الشاعر:

يكاد لا تثلِم البطحاءَ وطْأتُه كأنّه ثَمِلٌ يمشِى على رُود

والاختيال: التَّبختر. والرُّفات: ما تكسر من كل شيء فيه صلابة كالعظْم وشِبهه.

وقد يقال : اسْتَطاع يَستطيع، ثم يقال: اسطاع يَسطيع، فيحذفون التاء لكونها مستثقلة مع الطاء. وقد يقال: أسطاع يُستطيع، يراد أطاع يطيع، فيزاد فيه السين. وقول أبي العلاء من الأول. الرِّقاب: جمع رقَبة، ويروى: "رفات" بالفاء والتاء.

٨(رُبَّ لَحْدٍ قَدْ ضَارَ لَحْدًا مِرارًا ضَاحكٍ مِنْ تَزَاحُم الأضْدَادِ)

٩(ودَفِينٍ عَلَى بَقَايَا دَفِينٍ فِي طَوِيلِ[1] الأزْمَانِ والآبادِ)

اللَّحد: القَبْر إذا أُمِيلَ بالميّت إلى أحد شِقّيه، فإنْ دُفن في وسطه من غير انحراف إلى أحد الشقين فهو الضَّريح، والآباد: الأزمنة، واحدها أَبَد. والوجه أن تُجعل الآبادُ هاهنا الدَّهورَ؛ لأنه قد ذكر الأزمان، وإذا أمكن أن يكون لكل واحد من اللفظين معنى كان أولَى. والفرق بين الزمن والدهر، أن الزمن مدّة الأشياء المتحركة، والدّهر مدّةُ الأشياء الساكنة؛ ويقال: الزمن مُدة الأشياء المحسوسة، والدّهر مدّة الأشياء المعقولة. وأما في اللغة العربية فالغالب عليهما أن يُستعمَلا بمعنى واحد. وقد فرَّقوا بينهما في مواضع ليس هذا موضع ذكرها.

كأنّ الدهر. يقول: ذلك اللّحد يتعجب من اجتماع الأخيار والأشرار فيه. والبيت الثاني تقرير للبيت المتقدم.

١٠(فَاسْأَلِ الْفَرقَدَينِ عَمَّن أَحَسَّا مِنْ قَبِيلٍ وآنَسَا منْ بِلاَد)

١١(كمْ أَقَامَا عَلَى زَوَالِ نَهَارٍ[1] وأَنَارَا لِمُدْلِجٍ فِي سَوَادِ)

---

(١) ويروى "طوال" بدل "طويل".

في سوادٍ: أى :في ليل. والإدلاج لا يكون إلّا في اللّيل. وقوله: "كم أقاما" يريد الفرقدين.

وآنسا: أبصَرا. والمدْلِج: الذي يَسير الليلَ كله. وخص الفرقدين بالذّكر، وقد كان يمكنه ذكرُ غيرهما، اتّباعًا لمذاهب العرب؛ لأنهم كانوا يصفُون الفرقدين بُطول الصحبة ودوام الأُلفة. وقد أكثروا من ذلك حتى صار عندهم كالمثل. قال عمرو بن مَعدِيكَرب:

وكلُّ أخ مُفارِقُهُ أخوهُ لَعَمْرُ أبيكَ إلّا الفَرْقَدان

ألا تَرى كيف خصهما بالاستثناء، وهو قد شاهَدَ مِن حالِ غيرهما مثلَ الذي شاهَدَ من حالهما. وقال لبيد:

وهل حُدِّثْتَ عَن أخَوَيْنِ داماَ على الأيّامِ إلّا ابنيْ شَمَامِ
وإلّا الفرقَدينِ وآلَ نَعْشٍ خَوالِدُ ما تُحدِّثُ بانهدامِ

١٢(تَعَبٌ كُلُّها الحَياةُ فَمَا أعْـ جَبُ إلّا من رَاغبٍ في ازْدياد)

تقديره: الحياة كلها تعب فـ "الحياة" مبتدأ أول، و"كلُّها" مبتدأ ثان، و"تعب" خبر المبتدأ الثاني، والمبتدأ الثاني وخبره خبر عن المبتدأ الأول، وتكون الجملة التى هى خبر قد تقدمت على المبتدأ.

وقال بعضهم إنّ: "الحياة" مرتفع بالابتداء، و"تعب" خبره. قوله: "كلها"، مرفوع على البدل من الضمير المستكن في "تعب". ونظير هذا البدل: الكتاب قرئ كلُّه. ومما يُنْسَب إلى جار الله:

يا حبَّذا الدُّنيا وطيبُ نَسيمِها لو دامَتِ الدُّنيا لقائل حَبّذا
قالوا أذىً هذِى الحياةُ وكُلُّهمْ لَهِجٌ بأن يبقى لهم هذا الأذَى

١٣(إنّ حُزْناً في سَاعَةِ الفَوْتِ[٢] أضْعَا فُ سُرُورٍ في ساعَةِ الميلادِ)

أى سرور الميلاد لا يفى بحُزن الموت[١] .

---

(١) يروى: "ضياء نهار" بدل "زوال نهار"

(٢) وترى "الموت" بالميم بدل "الفوت".

القياس في "الميلاد" أن يكون اسما استُعمِل استعمالَ المصادر؛ لأن "مفعالا" ليس من أمثلة المصادر المشهورة. ومثله الميثاق، في نحو قوله تعالى: {يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ}. والمصدر الصحيح الولادة والمولد، وكذلك الإيثاق.

١٤(خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ لِلنَّفَادِ)

معناه أنّ أصحاب الشَّرعِ مُجمعون على أن بعد الدنيا آخرة تبقى فيها النفوس، إما في خير وإما في شر. وقد حُكِيَ عن أفلاطونَ الحكيم أن النفس الخيرة تكون مُبقاة في الآخرة، وأن النفْس المسيئةَ ليس لها بعد الموت بقاء. وروُى عن أرسطاطاليس أنه كان يدَّعِي بقاء النفس الطاهرة والخبيثة.

والنفاد: الهلاك. وهذا منظوم من قول عمر بن عبد العزيز: "أيها الناس إنما خلقتمُ للأبد" وكان أفلاطون الحكيم يرى أن النفس الخيرّة باقية بعد الموت، وأن النفس الشريرة لا بقاء لها وكان أرسطوطاليس مبرز اليونانيين يرى أن للنفس بعد الموت ثلاث مراتب: فمنها ما يبقى سعيداً منعماً، ومنها ما يبقى شقيا معذبا، ومنها ما ينحل بانحلال جسمه.

١٥(إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا لٍ إِلَى دَارِ شقْوَةٍ أَوْ رَشَادِ)

لقد اتَّفقت الشّرائعُ كلُّها على بَقاء النُّفوس كلِّها خيِّرها وشِرِّيرِها، وهو الصحيح الذي تدلُّ عليه البراهين، وما عدا ذلك فباطلٌ عند التحصيل.

والكلام السابق مع هذا الكلام يكاد يتفق مع كلام عليّ رضي الله عنه: "أيها الناس، إنما خُلقنا للبقاء لا للفَناء، وكلكم من دار إلى دار تُنقَلون، فتزوَّدوا لِمَا أنتم صائرون إليه، خالدون فيه". ويتضح من هذا البيت والبيت السابق العقيدة السليمة.

١٦(ضَجْعَةُ الْمَوْتِ رَقْدَةٌ يستَرِيحُ الْـ ـجِسْمُ فِيهَا وَالْعَيْشُ مِثْلُ السُّهَادِ)

شبه أبو العلاء الحياةَ بحال اليقَظة، وحالَ الموتِ بحال النَّوم، وهو خلافُ قوله صلى الله عليه وسلم: "النَّاس نيامٌ فإذا ماتوُا انتَبهوا"(٢).

---

(٢)حديث ضعيف.

والضَّجعة، بفتح الضاد: المرة الواحدة من الاضطجاع. والضِّجعة، بكسر الضاد، هيئة الاضطجاع . وقد رُوِى بيت امرئ القيس بالوجهين، وهو:

فباتَ عَلَى خدّ أحم ومَنْكبٍ وضِجْعَته مثل الأسير المكردس[1]

وفي هذا بيت أبي العلاء تفضيلُ الموت على الحياة.

١٧ (أَبَنَات الهَدِيلِ أَسْعِدْنَ أَوْ عِدْ نَ قَلِيلَ العَزَاء بِالإِسْعَادِ)

الهديل: الذَّكر من الحمام. قال الشاعر[2] :

يذكرنيك حنين العجول ونوحُ الحمامةِ تدعوُ هَديلا

ويقال هدل الحمامُ هديلا. وبناتُ الهديل: هى حمام. والهديل: فرخ تزعم العرب أنه كان في عهد نوح، فصاده جارح من جوارح الطير، فالحمام تبكى عليه إلى يوم القيامة، والإسعاد: المساعدة والموافقة.

١٨ (إِيهِ لله دَرُّكُنَّ فأَنْتُنّ اللَّوَاتِى يُحْسِنَّ حفْظَ الوِدَاد)

إِيهِ، كلمةٌ تُقال للإنسان إذا استُزيد من حديثه، تنوّن ولا تنوَّن. وهى مبنية على الكسر، فإذا نونت كانت نكرة، وإذا لم تنون كانت معرفة. قال ذو الرُّمّة:

وقَفْنَا فقُلْنا إيهِ عن أمِّ سالمٍ وما بالُ تكليم الديار البَلاقع

وقد نسب أبو العلاء إلى الحمام حِفْظ الوداد، وذلك لأن أصحابَ الرواية يحكون أن الهديل فرخٌ من أفراخ الحمام هلك على عهد نُوح، فالحمامُ تبكى عليه إلى اليوم. كما مر ذكره وفي ذلك قال نصيب:

فقلتُ أتبكِى ذاتُ طَوقٍ تَذَكَّرَتْ هَدِيلا وقد أَوْدَى وما كانَ تُبَّعُ

١٩ (مَا نَسِيتُنَّ هَالِكًا فِي الأَوَانِ الْـ ـخَالِ أَوْدَى مِنْ قَبْلِ هُلْكِ إِيادِ)

حُذفت الياءُ من "الخال" وهى لغةٌ عند الفراء، وضرورةٌ عند سيبويه.

---

(١) البيت في اللسان (كردس) وليس في قصيدته التى على هذا الروى في ديوانه. والمكردس: الموثق بالوثاق.

(٢) منسوب إلى العباس بن مرداس.

ومن ذلك قولُ حسّان:

نشدْتُ بنى النّجّارِ أفعالَ والدى إذا العانِ لم يوُجَدْ له من يُوارعهُ

العانِ : الأسير، حذف منه الياء. ويوارعه، أى يراجعه كلاماً.

وهو يعني بالهالك الهديلَ الذي قدمنا ذكره. والأوان: الزمان، وجمعه آونة. وقد حكى "إوان" بكسر الهمزة وأورى: هلك. والخال: الماضي، وحذف منه الياء اكتفاء بالكسرة منها، وإياد: قبيلة قال الشاعر:

مِن إياد بن نزار بن معد ومثله قولُ الأعشى:

وأخو الغوانِ مَتى يشأ يصر منْهُ ويَعُدْنَ أعداءً بُعَيْدَ وِدادِ

وقد أنشد سيبويه ما يدل على ذلك:

كنَوَاحِ رِيش حمامة نجدية[1]

وأنشد أيضا:

دَوامِي الأيد يخبطْنَ السَّريحا[2]

٢٠(بَيْدَ أنّى لاَ أرْتَضِى مَا فَعَلْتُنَّ وأَطْوَاقُكُنَّ في الأَجْيَادِ)

بَيْدَ، في معنى "غير".وهى كلمة مبنية على الفتح وربما قالوا: هى في معنى "من أجل".وقال بعضهم هى في معنى "على".

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا أفْصح العرب بيدَ أنّى من قُريش، واسترضعْت في سَعد بنِ بكر"[3] أى من أجل أنّى. قال الراجز:

عَمْدًا فعلتُ ذاك بيدَ أنّى إخالُ إنْ هَلَكْتُ لم تُرِنّى

والأجياد: الأعناق.

٢١(فَتَسَلَّبْنَ وَاسْتَعِرنَ جَمِيعًا مِنْ قَمِيصِ الدُّجَى ثِيَاب حِدادِ)

---

(١)كتاب سيبويه (١: ٩).

(٢)كتاب سيبويه (١:٩).

(٣)حديث:

يقال: تسلَّبتِ النائحةُ أو الثاكل، إذا نزعتْ ثِيابَها ولبستْ ثيابًا سودًا. ويقال إن السِّلاب ثوب من جُلود؛ قال لَبيد:

وأَبَنا مُلاعِبَ الرِّماحِ في السُّلُبِ السُّودِ وفي الأمْسَاحِ

السُّلب: جمع سِلاب. والأمساح: جمع مسح. والمعنى أنه أمرهنَّ بأن يلبَسْنَ لباسَ الحُزْن، ويضَعْنَ الأطواقَ عن أعناقهنَ، وهن لا يصلن إلى ذلك.

ويجوز أن يريد بقوله "تسلَّبن" تجرّدن من مَلْبسِكن الذي تلبَسْنه، ويجوز أن يريد البسْن السِّلاب، وهو مَلبَسٌ أسودُ يُلبَس عند الحزن، يقال: سَلَّبت المرأة على زوجها وتسلَّبت؛ قال عنترة:

وقد كنتُ أخشَى أن أمُوتَ ولم تَقُمْ قرائبُ عمرو وسْطَ نَوْحٍ مسلَّب

وأنشد أبو زيد في نوادره:

هل تخِمشن إبلِى عليَّ وجُوهها أم تَعْصِبَنَّ رءُوسَها بسِلاَب

والدُّجَى: جمع دُجْية، وهى الظُّلمة. والحداد نحو السِّلاب، ويكون مصدرًا واسما.

ويقال: لبسَت الثَّكْلَى السِّلاب، وهو الحِداد. وتسلَّبت على مَيتها.

٢٢(ثُمَّ غَرِّدْنَ في المآتِم وَاندُبْـ ـنَ بِشَجْوٍ مَعَ الغَوَانِي الخرَاد)

التغريد: ترديدُ الصَّوت. والمآتم: جمع مأتَم، وهو مَجمْعَ النِّساء في نِياحة أو غيرها. وقيل: إن المأتم قد يُستعمل في الرِّجال، وذلك كقول الراجز: كما ترى حول الأمير المأتما وذلك قليل جدا. فأما المأتم في معنى النساء سواء كان الاجتماع في الخير أو في الشر، وإن لم يكنّ في حزْن، فمنه قولُ الشاعر[1] :

رمَتْه أناةٌ مِن رَبيعة عامرٍ رَقُود الضحى في مَأتَم أىَّ مَأتَمِ

والنَّدْب: البكاء على الميِّت، وكذلك الندبة. والشَّجو: الحزن. والغواني: جمع غانية، وهى التى غَنِيتْ بجمالها عن الزينة، وقيل: هى التى غَنِيَتْ في بيت أبويْهَا، أى بقيت. والخِراد: جمع خَريدةٍ، وهى الشديدة الحيَاء.

---

(١) أبو حية النميرى.

أو جمع خَرُود. يقال جاريةٌ خَرود. ونحوها لقاحٌ في جمع لقوح، وقلاص في جمع قَلوص. قال المبرِّد: إنما جُمع قلوصٌ على قلاص لأنه في الأصل نعت. وهذا نص منه على أن فعولا إذا كان صفة فإنه على فعال يجمع.

٢٣(قَصَدَ الدَّهْرُ مِنْ أبِي حَمْزَةَ الأ وَّابِ مَوْلَى حِجًا وَخِدْنَ اَقْتِصَادِ)

الأواب: الذي يسبح الله نهاره إلى الليل وقيل: هو الراجع إلى الله تعالى المعرض عن الدنيا وهو مشتق من آب يؤوب، إذا رجع وبنى على فعال للمبالغة. والاقتصاد: أن يكون الإنسانُ غيرَ مسرفٍ في الأشياء وهو من القصد في الأمور وترك التعلق بها. واشتقاق حمزة من قولهم: حَمَز قلبَه الوجْدُ، إذا قَبضَه وأحْرقه. قال الشَّماخ:

فلمَّا شراها[1] فاضَتِ العَيْنُ عَبْرةً وفي الصَّدرِ حزّارٌ من الوَجْدِ حامِزُ

وذكر بعضُ أهل اللغة أنّ ولدَ الأسد يقال له حمزة. وليس ذلك بمعروف.

والحديث الذي ذكره ابن قتيبة معروف، وهو أن أنسَ بنَ مالك قال: "كنَّاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقلة كنتُ أجتَنيها". وكان يكنى أبا حمزة.

والمولَى هاهنا: الصاحب.

والحجا: العقل. فأهلُ البصرة يكتُبونه بالألف، والكوفيُّون يكتبونه بالياء. والخدن والخدين: الصديق.

و"من" في قوله "من أبي حمزة" للتجريد. و "قصد" مع "الاقتصاد" تجنيس[2].

٢٤(وَفَقِيهاً أفْكَارُهُ شِدْنَ للنَّعْـ ـمَانِ مَا لَمْ يَشُدْهُ شِعْرُ زِيادِ)

---

(١) شراها: باعها. يريد قوسا . وهذا البيت من قصيدة في وصف قوس هذه القصيدة من عيون الأدب العربي وصاحبها هو أوصف العرب لأنه كان يتخلل الأشياء التي يصفها وقد أثرت هذه القصيدة في غير واحد من المبدعين فأنشأ على غرارها وعلى رأسهم العلامة المرحوم أبو فهر: الشيخ محمود شاكر فقد أوقف ديواناً كاملاً سماه "قوس العذراء" وهو أيضا من أروع ما كتب.

(٢) ويقصد بمصطلح التجنيس: إيراد لفظين متجانسين في الشكل مختلفتين في المعنى، نحو: "نقلت البُرَّ. وهو أنواع عديدة مبسوطة في كتب البلاغة.

ومصطلح التجريد يستخدم في كثير من العلوم بمفهومات مختلفة ففى علم النحـــو: تعرية الكلمة من العوامل اللفظية الزائد نحو "ليس محمد بناجح" ليس محمد ناجحا .

وفي الصرف: حذف الأحرف الزائدة وفي علم مخاطبة الأنسان نفسه وذلك بتجريـد الإنسان من نفسه شخصيا يخاطبه.

وفي علم البديع: أن تنتزع من شيء موصوف بشيء أخر موصوف بقصد المبالغـة في وصفه وفي علم اللغة: تعربة اللفظ من بعض معناه نحو قولك: "سرى" بمعـــنى ذهـــب ومعناه الأصلى: ذهب ليلا وفي علم الووصن: تجريد القافية من الردف والتأسيس.

المعنى أنّ أبا حنيفة أسمه النُّعمان، وكان هذا المرثيُّ يتفقّه لأبي حنيفة. وزيـــاد، هـــو نابغة بنى ذُبيان، وكان مَدَّاحا للنُّعمان بن المنذر، فكأن هذا المرثيَّ كان يُؤجَر به النعمـلن الذي هو أبو حنيفة، والنعمان بن المنذر لا يؤجر بمدائح زياد.

ومَدَح النابغةُ ثلاثةَ ملوكٍ، كل واحد منهم يسمى النعمان: أحدهم النعمـــان بـــن المنذر اللخمي، الذي يقول فيه:

فتلك تُبْلغُنى النُّعمـــان إنَّ لـــه فضلا على الناس في الأدْنَى وفي البَعَدِ

والثاني النعمان بن الحارث الغسّاني، وهو الذي رثَاه بالقصيدة التى يقول فيها:

يَسير بها النُّعمان تَغْلِى قُدورُه تَجيش بأسـباب المنايـا المراجـلُ

والثالث النعمان بن الجُلاَح، وهو الذي يقول فيه:

يقودُهمُ النُّعمانُ منه بمحصَفٍ وكيد يَعُمُّ الخارجيَّ مُنَاجِدِ

٢٥(فَالعِرَاقِيُّ بَعْدَهُ للْحِجازىّ قَليلُ الخِلاَفِ سَهْلُ القِيَادِ)

يعني أنه قد هذَّب الفقه، وأوضح ما كان يُختَلف فيه، فلما اتضـــح زالَ الخـــلاف، وصارت الأقوال كلُّها فيما كان يختلف فيه قولا واحدا.

أو أنه أراد أن هذا المرثيَّ كان يحتجُّ للعراقيِّين على الحجازيِّين، فلمَّا ماتَ لم يبْقَ مَـــن يحتجّ لهم، فصار العراقيّ قليلَ المخالفة للحجازىّ، منقادا له، ضعفًا عن نصـــر مذهبـــه والقيام بحجّته.

وقيل إنّ العراقيَّ : هو الإمام الأعظمُ أبو حنيفة النّعمانُ بنُ ثابت رحمه الله، فقيهُ أهل

العراق، وهو من أهل الكوفة، نقله أبو جعفر المنصورُ إلى بغداد. وُلد سنة ثمانين، وملت سنة مائة وخمسين، ودفن في مَقْبُرة الخيزُران. وفي كلامهم: فلانٌ عراقي المذهب، أى حنفيّ.

والحجازى، هو الإمام محمد بن إدريس بن العباس ابن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، أبو عبد الله الشافعي. وفي كلام هارون الرشيد: "ما فعل الحجازى؟". يريد الشافعى. ولد بغزة من الشام، وقيل باليمن، ومات بمصر في شهر رجب سنة أربع ومائتين، وهناك قبره. وكانوا يَصُولُون على الشافعى بمعاونة من هذا المرثي، فالآن لما مات فترَت صولتهم، وانكسرت شَوكتُهم. وهذا من أكاذيب الشعراء. وقيل: بل معناه أنَّ هذا المرثي باستخراج الأدلة والمآخذ قد مهَّد قواعد الفقه؛ فلذلك قل في الفروع الاختلاف، وصارت الأقاويل المتباينة قريبا بعضُها من بعض. والأول إلى المراد أقرب.

٢٦(وَخَطِيبًا لَوْ قَامَ بين وُحُوشٍ عَلَّمَ الضَّارِيَاتِ بِرِ النَّقَادِ)

النَّقاد: غنم صغار. والمعنى أنه خطيبٌ لو وَعَظَ الأسودَ والذِّئاب لَعَلَّمَهُنَّ برَّ الغنم. وذلك والضاريات: السَّباع والذئاب.

وذلك لُحسْن بيانه وموعظته، وخُلوص معتَقَده وطويّته؛ لأن الموعظةَ إذا خرجَتْ من القلب وقعَتْ في القلب، وإن خرجَتْ من اللِّسان، لم تجاوز الآذان.

٢٧(رَاوِيًا لِلْحَدِيث لَمْ يُحْوِجِ المَعْـ ـرُوفُ مِنْ صِدْقِهِ إلى الإسْنَادِ)

وفي ذلك إيماءٌ إلى أنَّ المَرَاسيلَ أضعَفُ من المسَانيد.

٢٨(أَنْفَقَ الْعُمْرَ نَاسِكًا يطْلُبُ العِلْـ ـمَ بِكَشْفٍ عَنْ أَصْلِهِ وانْتِقادِ)[1]

فهو لم يكن من أهل التقليد المقتصرين في علمهم على الرِّواية، ولكنه كانَ ممّن يكشف عن أصول المقالات، وينتقدُ الحديث فلا يأخذُه إلا عن الثِّقات.

٢٩(مُسْتَقِي الكَفِّ مِنْ قَلِيبِ زُجَاجٍ بِغُرُوبِ اليَرَاعِ مَاءَ مِدَادِ)

---

(١) ويروى: "بانتقاد" بدل من "وانتقاد".

قَليب زجاج، يعني المحبرة. وغُرُوب اليَرَاع: الأقلام.

واليَرَاع: القصب، واحدته يَرَاعة. والغَرْب: الحدّ. والغَرب: الدَّلو. والبيت يحتمل الوجهين، يجوز أن يكون المراد أنه لما جعل المحبرةَ قَليبًا جعلَ أقلامها غُروبًا، أى دلاءً يُستَقَى بها. ويجوز أن يكون المراد حَدّ الأقلام وتشبيه الدواة بالبئر، والقلم بالدلو والمداد بالماء تمييمًا للضيق، وإكمالاً للاستعارة.

٣٠(ذَا بَنَانٍ لاَ تَلْمَسُ[1] الذَّهَبَ الأَحْـ ـمَرَ زُهْدًا فِي الْعَسْجَدِ الْمُسْتَفَادِ)

والبَنَان: الأصابع. والعَسجَد: الذّهَب.

وقوله: "زهدا في العسجد المستفاد" من إقامة المُظْهَر مُقامَ المضمر، وأصلُ الكلام "زهداً فيه"، وذلك بابٌ من العربية[2] .

٣١(وَدِّعَا أَيُّها الحفيَّانِ ذَاكَ الـ ـشَّخْصَ إنَّ الوداعَ أَيْسَرُ زَادِ)

الخطاب في "وَدِّعا" للرَّجُلين اللذين تولّيا دفنه.

٣٢(وَاغْسلاَهُ بِالدَّمْعِ إنْ كَانَ طُهْرًا وَادْفِنَاهُ بَيْنَ الحشَا والفُؤَادِ)

الحشا: يقع على كل ما يشتمل عليه البطن من القلب والكبد وغيرهما، وقال الخليل ابن أحمد: الحشا: ظاهر البطن، وهو الخصر؛ من قولهم هضيم الحشا، ولطيف الحشا. وهذا هو الذي قصده أبو العلاء؛ لأنه قد ذكر القلب، فإنما أراد ما عداه؛ والطهر المقصود هنا: هو طهر الخلق.

٣٣(وَاحْبُوَاهُ الأَكفَانَ مِنْ ورَقِ المُصْـ ـحَفِ كِبْراً عَنْ أَنْفَسِ الأَبرادِ)

احبُواه، أى أعطياه. والحباء: العَطاء. ويقال مَصْحَف ومِصْحف[3]

---

(١) ويروى "يلمس" و"يلبس" بدل "تلمس".

(٢) وقد ورد ذلك الباب في شواهد الكتاب لسيبويه في بيت لسواد بن عدى:

لا أرى الموت يسبق الموت شيء نغص الموتُ ذا الغنى والفقير

والفقير في بيت أبي العلاء وسواد إعادة الظاهر موضع المضمر، وفيه قبح، إذ كان تكريره في جملة واحدة، فلا يكون يجوز إلاّ في ضرورة .

(٣) في المصحف ثلاث لغات، هو مثلث الميم.

وقوله "واحبواه" أى خُصَّاه بذلك. والأبراد: الثياب. وقال بعضُهم: لا يقال للثَّوب بُردٌ حتَّى يكون موشَّى.

وكبراً، منصوب على أنه مفعول له. والعامل فيه "واحبواه" يعني آمُرُكما بأنْ تحْبواه الأكفان من ورق المُصْحف كبراً.

٣٤(وَاتْلُوا النَّعشَ بِالقِراءة والتَّس ـــبِيحِ لاَ بالنَّحيب والتَّعْدَادِ)

تَعْداد: تفعال، من عدَّدَت المرأة، إذا ذكَرَتْ محاسنَ الميت.

والنحيب: رفع الصوت بالبكاء

بـ"التَّعداد" اتِّباع جنازة الميت وعدُّ مآثره. وذكر مناقبه ومحاسنه.

٣٥(أَسَفٌ غَيْرُ نَافِعٍ وَاجْتِهَادٌ لاَ يُؤَدِّى إلى غَنَاءِ اجْتِهَادِ)

والأسَف: التحسُّر والحزن؛ والأسَف أيضا: الغضب. والغَناء : النَّفْع.

يقول أبو العلاء في البيت: ما من اجتهاد إلا وله ثمرةٌ وغناء، خلا الاجتهاد في الأسى على الميّت وفائدته العناء.

٣٦(طَالَما أَخْرَجَ جَوى الحُزْ نِ[1] إلى غَيْرِ لاَئِقٍ بالسَّدَادِ)

الجوى: فَسادُ الجوف من داء يحل فيه) لا يستمرأ منه الطعام؛ و اللائق الوافق وأصل اللاصق بالشيء؛ والسداد : الإصابة.

٣٧(مِثْلَ مَا فَاتَت الصَّلاةُ سُلَيْمَا نَ فَأنحى علَى رِقَاب الجِياد)

يُريد قول الله تعالى في قصة سليمان صلى الله عليه وسلم:

﴿إِنِّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بالحِجابِ * رُدُّوهَا عَلَىَّ فطفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ والأَعْنَاقِ﴾. وكان تشاغلَ بَعرْض الخيل حتى فاتته صلاة العصر، وغفل عن ورد من الذكر كان له عشيّا .فغضب عليها فعَقَرها مقربة لله تعالى، وبقيت مائة، فما في أيدى الناس من الجياد فمن نسلها. وأنْحَى: مال. والجياد: الخيل.

٣٨(وَهْوَ مَنْ سُخِّرتْ لهُ الإنْسُ وَالجنُّ بِمَا صحّ منْ شَهَادَة صَادِ)

---

(١) يروى "الثكل" بدل "الحزن".

وفي بيت أبي العلاء إشارة إلى النعيم والمعجزات التي أنعم الله بها على نبيه سليمان من تسخير الريح والشياطين والقصة جاءت في سورة "ص.

٣٩(خَاف غَدْر الأَنَامِ فَاسْتَوْدَعَ الرِّيـ ـحَ سلِيلا تَغْذُوهُ دَرَّ العهَاد)

الأنام: الخلق. والسليل : الولد. والعهاد : الأمطار التي تأتي بعد المطر الموسمي الضعيف ودرها : ما يدر من مائها.

وذلك البيت: يفسِّر قوله تعالى. ﴿وألْقَيْنا عَلَى كُرْسيّه جَسَدًا﴾ بأنَّ سليمان كان يؤثر أن يكون له أولادٌ، فلم يرزق إلا واحدا، فذكروا أن الريح حضنته تغذُوه دَرَّ العَهاد، وهى الأمطارُ التي يتْبعُ بعضُها بعضا، وأنها ألقته على كرسيه جَسدًا، أى شيطانا؛ وقيل مَلَكا. وقوله "تغذوه دَرَّ العهاد) جملةٌ في موضع نصب لأنه صفةٌ لـ"سليل".

٤٠(وَتَوَخَّى لَهُ النَّجَاةَ وَقَدْ أَيـ ـقَنَ أَنَّ الحِمَامَ بالمِرصادِ)

تَوخَّ: اعتمد وقَصَد. والمرصاد: الذي يُرصَد فيه الأمرُ ليقَع. يقال: الأسد يَرصُدُ الفريسة. وفي القرآن: (إنَّ ربَّكَ لَبالْمرصَادِ) أى: يَعْلَمُ بأمور العالَم، كعلْم الراصد للشَّىء بما يرصُده.

٤١(فَرَمَتْهُ بِهِ عَلَى جَانِبِ الكُرْ سِيِّ أُمُّ اللُّهَيْمِ أختُ النَّآدِ)

أم اللُّهيم: من أسماء الداهية وهو كنية عن الموت لالتهامه الخلق، وكذلك النآد. ويقال نآدَى، على فَعَالى.

قال الكميت:

وإيَاكمْ وداهية نآدى

ونَأدَتْه الدّاهيةُ تنْأدَه أى فدحَتْه وبلغت منه. وأختُ الدّاهية الدّاهيةُ.

هذه الأبيات الثلاثة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمانَ وَأَلْقَيْنا عَلَى كُرْسيِّه جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾. قيل: وُلد لسليمان ابنٌ فقالت الشياطينُ إن عاش لم ننفكْ من السخْرة، فسبيلنا أن نقتُله أو نخلله، فعلم ذلك، فكان يغذُوه في السَّحابة، فما راعه إلا أن أُلقىَ على كرسيه جسدا ثم أناب.

٤٢ (كَيْف أَصْبَحْتَ فِي مَحَلِّك بَعْدِى يَا جَدِيرًا[1] مِنِّى بُحسْن افْتِقَادِ)

٤٣ (قَدْ أَقرَّ الطَّبِيبُ عَنْكَ بِعَجْزٍ وَتقضَّى تَرَدُّدُ العُوَّادِ)

٤٤ (وانْتَهى الْيَأْسُ مِنْكَ وَاسْتَشْعَرَ الوا جِدُ أَنْ لاَ مَعَادَ حَتَى المَعَادِ)

وقوله: "واستشعر" يحتمل معنَيَين، أحدهما أن يكون استفعل من شعَرت بالشَّىء، إذا علِمتَه، بناه على استفعَلَ للمبالغة؛ والثاني أن يكون من الشعار، وهو ما لصق بالجسم من الثِّياب، أى جعل اليأس شعارًا لنفسه. والواجد: الحزين. والمَعَاد : الرجوع. وأراد بـ "المعاد" الثاني القيامة.

٤٥ (هَجَدَ السَّاهرون[2] حَوْلَكَ للتَّمْـ ـريض وَيْحٌ لأَعْيُنِ الهُجَّادِ)

مَرَّضْتُه، إذا خدمْته في مرضه. أى كانوا قد سهِروُا حولهَ للتمريض، فلما يَئِسوا منه هَجَدوا.

والهُجود: النوم. والساهدون والساهرون، سواء. والتمريض: معالجة المريض. يقال مرّضته، إذا أقمتَ عليه في مرضه؛ وأمرضته، إذا فعلتَ به فعْلا يُمْرض.

فالآنَ رَقَد الذين سهِروا في مرضك حَوالَيْك، وفرغوا من القيام عليك. وهذا الفَراغ والرُّقاد، شر من ذلك الشُّغل والسهاد، فويحٌ لعيونهم الراقدة.

٤٦ (أَنْتَ مِنْ معشر مَضَوْا غَيْر مَغرُو رِينَ من عيشةٍ بذات ضمادِ)

الضَّماد: أن يكونَ الرجلُ بينَه وبين نساء أسباب، فيأكل عند هذه وعند هذه، أو يكون للمرأة أصدقاءُ فتصيب من خير كل واحد منهم، وذلك مذموم كلُّه. وأنشد ابنُ الأعرابي، واسمه محمد بن زياد:

أَرَدْتِ لكيما تَضْمدِيني وصاحبي ألا لاَ أحبى صاحبي ودَعيني

وقال الراجز:

إنِّي رأيت الضَّمْدَ شيئًا نُكرا لن يُخْلِصَ العام خليلٌ عَشْرا

---

(١) ويروى: "يا حريا منى".

(٢) ويروى: "الساهدون" بدل الساهرون".

المعشَر: القوم يكون أمرهم واحدا، وهو مشتق من المعاشـــرة، وهـــى المصاحَبـــة. والضَّماد والضّمد، سواء، وهو أن يكون للمرأة أخدانٌ تُزَاني كلٌّ واحد منهم ولا تقتصرُ على بَعْضهم، أو يكون للرجل محبوباتٌ يخادنُ كلٌّ واحدة منهن.

فشبه الحياة الدنيا بالمرأة الفاجرة التى لا تبقى على صاحب واحد، كما قـــال أبـــو الطيب:

فذى الدَّارُ أخْوَنُ مِن مُومِـــسٍ وأخْدَعُ من كِفَّةِ الحَابِـــلِ

وقول المتنبي السابق يكاد يتفق مع قول أبي العلاء كقولهم: "الدنيا قَحبةٌ، يوما عنـــد عطار، ويوماً عند بيطار".

٤٧(لا يُغيِّرْكُم الصَّعِيدُ وَكُونُوا فِيهِ مِثْلَ السُّيوفِ فِي الأَغْمَادِ)

لا يغيرْكم، نهىٌ في معنى الدعاء والصعيد : التراب، والصعيد: القبر، والصعيد: وجـــه الأرض.

٤٨(فَعَزِيزٌ عَلَيَّ خَلْطُ اللَّيَالِي رِمَّ أقْدامِكُمْ بِرِمِّ الهَـــوادِي)

الرّم: العظام البالية. يعني أن الميت يصير هباء، فيختلط تراب عُنقه بتراب قدمه.

والهوادى: الأعناق، واحدها هاد.

والفاء في قوله: "فعزيز على" لتَعليل قوله "لا يغيركم الصَّعيد".

٤٩(كُنْتَ خِلَّ الصِّبَا فَلَمَّا أرَادَ الْـــ ـبَيْنُ وَافَقْتَ رَأيَهُ فِي المُرَادِ)[1]

الضمير في "أراد" للصبا. ولعلّ هذا المتوفى ماتَ وقد وَخَطَه الشَّيب. وتقريـــر هـــذا المعنَى في البيت الثاني.

٥٠(وَرَأيْتَ الوَفَاءَ لِلصَّاحِبِ الأَ وَّ لِ مِنِ شيمة الكَرِيم الجَوَادِ)

أى كنتَ خدْناً للصبا، أى مخادناً له، فلَما أراد أن يزول وافقتَ رأيـــه في الـــزَّوال، ووَفَيت للصَّاحب الأول، أى الصِّبا، وتلك مِن شيمة الكريم ذى الجود.

---

(١) ويروى "خدن" بدل "خلّ".

الخدن: الصديق والصاحب. والشيمة: الطبيعة. والجواد: السخي. يقول: كنت صديقا للصِّبا، فلما أراد الفراق ذهبتَ بذهابه، كما يَفى الكريمُ لصاحبه الأول، فيُقيم بإقامته. ويرحَلُ برحلته. وإنما أراد أنه مات في شيبته.

وهو يعني بـ" الصاحب الأول" الصِّبا.

٥١(وَخَلَعْت الشَّبابَ غَضّا فَيَا لَيْـ ـتَك أبلَيْتَهُ مَعَ الأنـدْادِ)

الأنداد: جمع نِدّ، وهو المثل. والغضّ: الطرِى.

وذلك من قولهم لا ندّ له. سموا بذلك لأنّ كلّ واحد منهما يندّ عن صاحِبِهِ.

٥٢(فَاذْهَبَا خَيْـرَ ذاهِبَيْنِ حَقيقيْـ ـنِ بُسقْيا رَوَائح وَغَوادى)

رَوائح: جمع رائحة: السحابة، أى تَرُوح بالعشى. وغوادٍ: جمع غادية: أى تَغدُو بالغداة.

وخصَّ الروائحَ والغوادىَ لأن المطرَ أكثرُ ما يكون في طرفِي النَّهار، وبذلك وردت أشعار العرب، قال أبو ذُؤيب:

سَقَى أمَّ عمرو كلُّ آخِرِ ليلةٍ حَنَاتمُ سُودٌ ماؤُهنَّ نَجيجُ[1]

الخطاب في قوله "فاذهبا" للشباب والمرثي.

٥٣(وَمَرَاثٍ لَوَ أنَّهنَّ دُمُوعٌ لَمَحَوْنَ السُّطُورَ في الإنْشَادِ)

يقال مَحَيْتُ أمْحى ومَحَوَتُ أمْحُو. يقول: كادَت مراثينا لك، لرقة ألفاظها وما فيها من الشكوى والحُزْن، تصيرُ دموعًا، فتمحُو الأسطار. وهذا نحو قول حبيب:

كادَتْ لِعرفانِ النّوَى ألفاظُها مِن رِقَّةِ الشَّكْوَى تكونُ دُموعاَ

وفي هذا البيت لطيفة؛ وذلك أن المرثية هى الشِّعر الذي يُبكى به الميت، فمن حيث إن المرثية بكاء يناسبها الدموع، ومن حيث إنما شعر يناسبها أيضا؛ لأن الشعر يشبه بالماء، والدموعُ ماء.

٥٤(زُحَلٌ أشْرَفُ الكواكِبِ داراً مِنْ لِقَاء الرَّدَى عَلَى مِيعادِ)

---

(١) حناتم، يعني السحاب في سواده، والحنتم: الجرة الخضراء. ونجيج: سائل.

اشتقاق زُحَل، مِن زَحَل، إذا بعُد. سُمِّي بذلك لأنه أبعدُ الكواكب. والمصراع الأولُ يدل على صحة هذا الاشتقاق، وأنه لا يأمن من الهلاك لقوله تعالى: {وإذا الكَوَاكبُ انْتَثَرَت) و(إذا النُّجُوم انْكَدَرَت)

وهذا البيتُ دليلٌ على إيمان قائله.

٥٥(ولَنارِ المَرِّيخ منْ حَدَثان الـ ـدِّ هَرٍ مُطْفٍ وإنْ عَلَتْ في اتِّقادِ)

خفف الهمزة من "مطفئ"، والأصل أطفأ يطفئ إطفاء، وهو مطفئ بالهمزة.

قوله: وإن عل: بالعين المهملة. وبين العلُو والإطفاء نوعُ مقابلة.

٥٦(وَالثُّرَيَّا رَهِينَةٌ بَاجْتِماعِ الـ شَّـمْل حَتَّ تُعَدَّ في الأفْرَادِ)

فالثريا موصوفةٌ باجتماع الشَّمل. قال:

خليلَيَّ إنِّي للثُّريا لحاسد وإنِّي على رَيْب الزَّمان لَواجدُ

أيجمَعُ منها شَمْلُها وهْي ستةٌ وأفقِدَ مَنْ أحببتهُ وهو واحدُ

٥٧(فَلْيَكُنْ للْمحسَّنِ الأجَلُ الممَـ ـدُودُ رَغْمًا لآنفِ الحُسَّادِ)

المحسَّن: أخو الميت، بشهادة البيت الثاني. الآنف: جمع أنف، كالأعُينِ في جمع عَين. وعليه بيت أبي الطَّيب:

لقد وَلَدَتْ مِني لآنفِهِمْ رغما

وفي بيت الحماسة:

وإنّا نَرى أقْدامَنا في نِعالِهِمْ وآنفُنا بين اللِّحَى والحَواجِبِ

يريد الحماسي: أنَّ بيننا وبينهم مشابه.

٥٨(وَلْيَطِبْ عَنْ أخِيهِ نَفْساً وأبْنَا ءُ أخِيهِ جرَائحُ الأكْبَادِ)

قوله: "جرائح الأكباد" منصوب على الحال. يقول: ليتكلفوا الصبر والسُّلوَّ عن المتوفي، وهم غير مُندملي الجراحات، فإن الصبَر عند الصَّدمة الأولى.

٥٩(وَإذَا الْبَحْرُ غَاضَ عَنِّ وَلَمْ أرْ وَ فَلاَ رِيَّ بادِّخَارِ الثِّمَادِ)

الثِّماد: المياه القليلة، واحدها ثَمْد وثَمَد.

وغاض: نَقص؛ وغاضَ أيضا: غاب في الأرض، فلم تَبْقَ منه بقية. والثماد: جمع ثَمد،

وهو الماء القليل، شبه هذا المتوفّى بالبحر في كَرَمه وفي سَعة علمه؛ وشَّبه غيره بالثُّماد، في قلة نَيْله وفي قلة علمه. وهذا نحوُ قوله في بعض العلويِّين:

إذا عَصَفَتْ بالرَّوض أنفاسُ ناجرٍ فأىٌّ وميضٍ للغمامِ أشيم

يريد أن الذي بَقىَ بعدَه كالثمد.

٦٠(كُلُّ بَيْتٍ لِلْهَدْمِ مَا تَبْتَنِي الورْ قَاءُ وَالسَّيِّدُ الرَّفيعُ العِمَادِ)

الورقاء: الحمامة، وهى تُذم في بنائها. وقد شرح ذلك عبيد ابن الأبرص في شعره، فقال:

عَيَّوا بأمرهمُ كما عَيتْ بيضتِها الحمامة

جَعَلَتْ لها عُودَينِ من نَشَمٍ وعوادًا مِن ثُمامةْ

والمراد، أن أجَلَّ الأبنية يصير هَباءً أو ينهدِم، فكأنه بيتُ حمامةٍ لم تُحكَم أمورُه.

يقول: بيتُ السيد الرفيع العمادِ على حصانته، وتأنقه في بنيانه، كبيت الحمامة في ضَعفه ووَهْى أركانه. وخصَّ الحمامة لأن العربَ تَضربُ بها المثلَ في قلة الحِذْق بالعمل، فيقولون للرجلُ الذي لا يحسن أن يعمَل: "هو أخْرَقُ من حَمامة" ويقولون في ضدّه: "هو أصْنَعُ من سُرْفة" .

وهذا نحو من قول عبيد بن الأبرص في شعر آخر:

هو الموتُ مُثْرٍ عنده مثل مُقْتِر وقاصدُ نَهْج مثل آخر ناكِب

ودِرع الفتى في حكمه درع غادة وأبيات كسرى من بيوت العناكب

٦١(وَالفَتَى ظَاعِنٌ وَيَكْفِيهِ ظِل السِّـ ـدر ضَرْبَ الأطْنابِ وَالأوْتَادِ)

السِّدْر: شجر. أى إذا كان ظاعنًا فظلُّ الشجرة يغنيه.

هذا مأخوذ من حديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أنه دخل المسجد فوجد قومًا من الأنصار يَذْرعونه بقصبة، فقال: ما لكم؟ فقالوا: نريد أن نزيد في مسجدك ونصلحه. فأخذ القَصَبة وهَجَل بها- أى رمى- وقال "بل عريش كعريش موسى، الأمر أقرب من ذلك". والظاعن: الراحل. والأطناب: حبال الخباء. وضرب الأطناب والأوتاد كناية عن ضرب الخيمة.

لقى فقيه فقيهاً أفقه منه فقال: أخبرني عن البناء الذي لا إسراف فيه. قال: ما سترك من الشمس، وأكنّك من المطر. وقال وُهيب بن الورد المكي: بنى نوح صلوات الله عليه بيتا من قصب، فقيل له: لو بنيت غير هذا. فقال: هذا لمن يموت كثير.

٦٢(بَانَ أَمْرُ الإِلَهِ وَاخْتَلَفَ النَّا سُ فَدَاعٍ إِلى ضَلاَلٍ وهَادِ)

يريد: بعضهم يقول بالمعاد، وبعضهم لا يقول.

٦٣(والَّذِي حَارَتِ البَرِيَّةُ فِيهِ حَيوانٌ مُسْتَحْدثٌ مِنْ جمَادِ)

يريد أن الجسم مَوات بطبعه. وإنما يصير حيوانا حساسا متحركا باختيار، باتصال النفس به، فإذا فارقته عند الموت عاد إلى طبعه، فالحياة للنفس جوهرية، وللجسم عرضية، فلذلك يَعدم الجسم الحياة إذا فارقته النفس، ولا تَعدَمها النفس. وقد اختلف الناس في علة ارتباط النفس الناطقة بالجسم مدة من الزمان، وفي علة حصول النفس الناطقة به في هذا العالم، ومفارقتها عالمها الخاص بها. فأصحاب الشرائع كلهم مجمعون على أن السبب في ذلك ما قصه الله تعالى علينا من حديث آدم صلى الله عليه وسلم وعصيانه الذي أوجب إهباطه إلى الأرض. وللفلاسفة في ذلك آراء مختلفة وكثيرة ولكن ما ذكره الله تعالى هو الحق وما عداه يجب ألا يُلتفت إليه. والله الموفق.

فكأنه يريد أن يقول : تحيّرت البرية في المعاد الجسماني، والنشور الذي ليس بنفساني، وفي أن أبدان الأموات، كيف تحيا من الرُّفات.

٦٤(وَاللَّبِيبُ اللَّبِيبُ مَنْ لَيْسَ يَغْتَرّ بِكَوْنٍ مَصيرُه لِفسَادِ)

واللبيب: العاقل الحصيف، يغتر: ينخدع، والمعنى أن الإنسان العاقل حصيف الرأى لا ينخدع بالدنيا فإن هذه الدنيا وما فيها مصيرها إلى زوال.

أبو العلاء المعرى يفتخر

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل ... عَفاف وإقدام وحَزْم ونائل
أعندى وقد مارستُ كل خفية ... يُصدَّق واشٍ أو يُخيَّب سائل
تُعَدّ ذُنوبي عند قوم كثيرةً ... ولا ذنبَ لى إلا العُلا والفضائل
كأنى إذا طُلْتُ الزمانَ وأهلَه ... رَجعتُ وعندى للأنام طَوائل
وقد سار ذكرى في البلاد فَمَن لهم ... بإخفاء شمس ضوؤها متكامل
يُهِمُّ الليالى بعضُ ما أنا مُضْمِر ... ويَثْقُل رَضْوى دونَ ما أنا حامل
وإنى وأن كنتُ الأخيرَ زمانُه ... لآت بما لم تَستطعه الأوائل
وأغْدو ولو أنّ الصباحَ صَوارمٌ ... وأسْرى ولو أن الظلام حَجافل
وإنى جواد لم يُحَلَّ لجامُه ... ونَصْلُ يَمَانٍ أغْفَلَتْهُ الصياقل
فإن كان في لُبْس الفتى شرفٌ له ... فما السيفُ إلاّ غِمْدُه والحَمائل
ولى مَنطقٌ لَم يَرْض لى كُنْهَ منزلى ... على أننى بَيْن السِّمَاكين نازل
لَدَى موطنٍ يشتاقه كل سيد ... ويقصرُ عن إدراكه المتناول
ولما رأيتُ الجهلَ في الناس فاشيا ... تجاهلتُ حتى ظُنّ إنّىَ جاهل
فواعَجَبا كم يدَّعى الفضلَ ناقص ... ووا أسفَا كم يُظهر النقص فاضل
وكيف تَنام الطير في وكناتها ... وقد نُصبت للفَرْقَدين الحبائل
يُنافس يومى فيَّ أمْسي تشرفا ... وتَحْسُد أسحارى علىَّ الأصائل
وطال اعترافي بالزمان وصَرْفه ... فلستُ أبالى مَن تَغُول الغوائل
فلو بانَ عَضْدى ما تأسف مَنْكِبي ... ولو مات زَنْدى ما بكتْه الأنامل
إذا وَصَفَ الطائيَّ بالبُخْل مادرٌ ... وعَيَّرَ قُسًّا بالفَهاهة باقل
وقال السهى للشمس أنت ضئيلة ... وقال الدُّجَى للصُّبْح لونُك حائل
وطاولَت الأرضُ السماءَ سَفَاهة ... وفاخَرَت الشُّهْبَ الحَصَى والجنادل
فيا موتُ زُرْ إنّ الحياةَ ذميمةٌ ... ويا نفسُ جِدّى إنّ دهرَك هازل

الشريف الرضي

هو: محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن، الرضي العلوي، الحسيني الموسوي: أشعر الطالبين: على كثرة المجيدين منهم مولده ووفاته في بغداد. انتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده وخلع عليه بالسواد. وجدد له التقليد سنة ٤٠٣هـ. له ديوان شعر مطبوع في مجلدين و"المجازات النبوية"، و"مجاز القرآن"، و"مختار شعر الصابىء"، و"حقائق التأويل في متشابه التنزيل"، و"خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب".

راجع ترجمته في: وفيات الأعيان (٢/٢)، وتاريخ بغداد (٢٤٦/٢)، والمنتظم (٢٧٩/٧)، ويتمية الدهر (٢٩٧/٢، ٣١٥)، ونزهة الجليس (٣٥٩/١)، والذريعة (١٦/٧).

ما أسرع الأيام

قال الشريف يعزى الوزير أبا علي الحسن بن أحمد رحمه الله تعالى عن ولد له توفى وذلك في المحرم سنة ٣٩٦ هـ :

ما أسرع الأيام في طينا ... تمضي علينا ثم تمضي بنا
في كل يوم أمل قد نأى ... مرامه عن أجل قد دنا
أنذرنا الدهر، وما نرعوى ... كأنما الدهر سوانا عنى
تعاشيا، والموت في جده ... ما أوضح الأمر وما أبينا [1]
والناس كالأجمال قد قربت ... تنتظر الحتى لأن يظعنا
تدنو إلى الشعب ومن خلفها ... مغامر يطردها بالقنا
إن الألى شادوا مبانيهم ... تهدموا قبل انهدام البنى
لا معدم يحميه إعدامه ... ولا يقى نفس الغنيِّ الْغِنَى
كيف دفاع المرء أحداثها ... فرداً وأقران الليالي ثنى [2]
حط رجال، وركبنا الذرى ... وعقبة السير لمن بعدنا
كم من حبيب هان من فقده ... ما كنت أن أحسبه هيّنا
أنفقت دمع العين من بعده ... وقل دمع العين أن يخزنا
كنت أوفيه، فأستكته ... بعد الليان المنزل الأخشنا
دفنته، والحزن من بعده ... يأبى على الأيام أن يدفنا
يا أرض! ناشدتك أن تحفظي ... تلك الوجوه الغر ، والأعينا
يا ذل ما عندك من أوجه ... كن كراماً أبدا عندنا
والحازم الرأى الذي يغتدى ... مستقلعاً ينذر مستوطنا

---

(١) التعاشي : التجاهل.

(٢) أقران الليالي: أراد مقاومة الليالي . الثنى: ما يعاد مرتين.

لا يـأمن الدهـر علـى غـرة ... وعـز ليـث الغـاب أن يؤمنـا
كأنمـا يجفـل مـن غـارة ... ملتفتـاً يحـذر أن يطعنـا
أخـي! جـبراً لـك مـن عـثرة ... لابـد للعـاثر أن يوهنـا[1]
إن الـتي آذتـك مـن ثقلـها ... هلمـها نحملـها بيننـا
سـاقيك الحلـو، فـلا بدعـة ... إن أنـا طـاعمتك مـر الجـنى
سـلبت مـا أعجزنـا رده ... في قـوة السـالب عـذر لنـا
جنايـة الدهـر لـه عـادة ... فمـا لنـا نعجـب لمـا جـنى
من كـان حرمـان المـنى دأبـه ... فـالفضل إن بُلِّـغَ بعـضُ المـنى
كـم غـارس أمـل في غرسـه ... فـأعجل المقـدار أن يجتـنى
ما الثلـم في حـدك نقصـاً لـه ... قد يثلـم العضـب، وقـد يقتـنى
يأبى لك الحـزن أصيـل الحجـر ... ويقتضيـك الـرزء أن تحزنـا
والأجـر في الأولى وإن أقلقـت ... وربمـا نسـتقبح الأحسـنا
ذا الخلق الأعلـى، فخـذ نهجـه ... واتـرك إليـه الخلـق الأدونـا
أبـا علـى! هـل لأمثالهـا ... غيرك إن خطـب زمـان عـنى[2]
فامض بهـا، إنـك مـن معشـر ... إن جشموا الأمـر أبـانوا الغـنى
واصـبر علـى ضرائـها، إنمـا ... نغـالب القـرن إذا أمكنـا

---

(١) يوهن، من الوهن: الضعف.

(٢) عنى: حدث، نزل.

مختارات من الشعر الأندلسي

قصيدة لأبي البقاء الرندي

لأبي البقاء صالح بن شريف الرندى يرثي الأندلس

لكل شـــيءٍ إذا مـــا تَـــمّ نُقْصـــانُ ... فلا يُغَرّ بطيـــب العيـــش إنســـان

هى الأمور كمـــا شـــاهدتها دُوَل ... مَن سَـــرّهُ زَمَـــنٌ ســـاءَتْه أزمـــان

وهذه الدار لا تُبْقـــى علـــى أحـــد ... ولا يدوم على حـــالٍ لهـــا شـــان

يُمَزق الدهرُ حَتْمـــا كـــلَّ ســـابغةٍ ... إذا نَبَـــتْ مَشْـــرَفيات وخُرصَـــانُ

ويَنْتَضى كلَّ سَـــيف للفنـــاء ولـــو ... كان ابن ذى يَزَن والغمدَ غُمْـــدانُ

أين الملوك ذَوُو التيجان مـــن يَمَـــنٍ ... وأيـــن منـــهم أكـــاليل وتيجـــان

وأيـــن مـــا شـــاده شـــداد في إرمٍ ... وأين ماساسه في الفُـــرْس سَاسَـــان

وأين ما حازه قارُونُ مـــن ذَهَـــب ... وأيـــن عـــادٌ وشـــدّاد وقَحْطَـــان

أتى على الكُلّ أمْـــرٌ لا مَـــرَدّ لـــه ... حتى قَضَوْا فكأنّ القوم مـــا كـــانوا

وصار ما كان من مُلْك ومن مَلَـــكٍ ... كما حَكى عن خيال الطَّيفُ وَسْنَانُ

دارَ الزمـــانُ علـــى دَارَا وقاتلـــه ... وأمّ كسْـــرَى فمـــا آواه إيـــوَان

كأنما الصَعْب لم يَسْهُل لـــه سَـــبَبٌ ... يوما ولا مَلَـــك الدنيـــا سُـــليمان

فجـــائع الدهـــر أنـــواعٌ مُنَوَّعـــة ... وللزمـــان مَسَـــرّاتٌ وأحْـــزان

وللحـــوادث سُـــلْوانٌ يُسَـــهّلها ... وما لما حَـــلّ بالإسـلام سُـــلْوان

دَهَى الجزيـــرة أمْـــرٌ لا عَـــزَاءَ لـــه ... هَوَى لـــه أُحُـــدٌ وانْـــهَدّ ثَـــهْلان

أصابَها العَين في الإسلام فـــارْتَزَأتْ حتى خَلَتْ منـــه أقطـار وبُلـدان

فاسألْ بَلَنْسية مـــا شَـأن مُرْسـيةٍ وأيـــن شـاطبةٌ أمْ أيـــن جَيَّـــان

وأيـــن قُرْطُبـــةٌ دارُ العلـــوم فكـــم من عالم قد سما فيـــها لـــه شـان

وأين حْمصٌ وما تحويه مـــن نُـزَه ونَهْرُها العـــذْب فَيـاض ومَـلآن

قواعدُ كُنّ أركـــانَ البـلاد فمـا عَسَى البقـــاءُ إذا لم تَبْـقَ أركـان

تَبْكى الحنيفية البيضاء مـــن أسَـفٍ كما بكى لفراق الإلْـــف هَيْمـان

على ديار مـــن الإســـلام خاليـة قد أقْفَرَت ولهـا بـالكفر عُمْـران

حيث المساجدُ قد صارت كنائس ما فيـــهن إلاّ نَوَاقيـسٌ وصُلْبـــــانَ

حتى المَحارِيب تبكى وَهْيَ جـــامدة حتى المَنابر ترثـــي وَهْـيَ عيـدان

يا غافلا ولـــه في الدهـــر موعظـة إن كنت في سنة فـــالدهرُ يَقْظـان

وماشـياً مَرحـاً يُلْهيـه موطنُـــه أبَعْد حِمْصٍ تَغُـــرُّ المـرءَ أوطـان

تلك المصيبة أنْســتْ مـا تَقَدَّمَـها وما لها مع طُـول الدهـر نسـيان

يا راكبين سـيوف الهنـد مُرْهَفَـةً كأنها في مَجـال السَّبْق عِقْبَـانُ

وحاملين عِتَـاقَ الخَيْـلِ ضَـامِرَةً كأنهـا في ظـلام النَّقْـع نـيران

ورَاتعـين وَرَاء البَحْـر في دَعَـةٍ لهـم بأوطـانهم عـزٌّ وسـلطان

أعنْدكم نبـأ مـن أهـل أنْدَلُـسٍ فقد سَرَى بحديث القـوم رُكْبـان

كم يَسْتَغيث بنا المُسْتَضْعَفُون وهـم قَتْلىً وأسْرىً فمـا يَـهْتَز إنسـان

ماذا التَّقاطُع في الإسـلام بينكُـمُ وأنْتـمُ يـا عبـادَ الله إخـوان

ألا نُفُـوسٌ أبيَّـات لهـا هِمَـمٌ أما على الخـير أنْصـار وأعْـوان

يا مَن لِذلـــة قــوم بعــد عزهــم ... أحَــالَ حــالَهُم جَــوْرٌ وطُغيـــان

بالأمْس كانوا مُلوكـــا في منـــازلهم ... واليومَ هُمْ في بلاد الكُفْـــر عُبْـــدان

فلو تراهم حَيــارَى لا دَليــلَ لهــم ... عليــهمُ في ثيــاب الــذل ألــوان

ولو رأيت بُكـــاهم عنــد بَيْعِــهمُ ... لَهالكَ الأمْرُ واسْـــتَهْوَتْك أحــزان

يا رُبَّ أم وطفْـــل حيــلَ بينَــهُمَا ... كمــا تُفَــرَّق أرْوَاحٌ وأبْـــدان

وطَفْلةٍ مثْل حُسْن الشَمْس إذا طَلَعَتْ ... كأنمــا هــي يــاقوتٌ ومَرْجــان

يَقُودُها العلْج للمكْـــرُوه مكْرَهَــةً ... والعينُ باكيــةٌ والقلــبَ حَــيْران

لِمِثْل هذا يَذُوب القلب مــن كَمَــدٍ ... إن كان في القلب إســلام وإيمــان

مختارات من الشعر في العصور المتأخرة

١- البوصيري

٢-أبو الحسن التهامي

البوصيري

هو: محمد بن سعيد بن حماد بن عبدالله الصنهاجي البوصيري المصري شرف الدين، أبو عبدالله: شاعر، حسن الديباجة، مليح المعاني كان أحد أبويه من دلاص، والآخر من بوصير، وهما قريتان من قرى بني سويف بصعيد مصر، فنسب إليهما جميعًا نسبة مركبة تركيبًا مزجيًا، فقيل له: الدلاصيري ولكنه شهر بعد ذلك بالبوصيري، وولد في دلاص أول شوال سنة ثمان وستمائة وتوفي سنة خمس وتسعين وستمائة. له ديوان شعر مطبوع وأشعر شعره البردة شرحها وعارضها كثيرون.

راجع ترجمته في: فوات الوفيات (٢/٢٠٥)، خطط مبارك (٧/٧٠)، والوافي بالوفيات (٣/١٠٥-١١٣)، وآداب اللغة (١٢٠).

بردة المديح

أمِنْ تَذَكُّرِ جِيرانٍ بِذِي سَلَمٍ ... مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ[1]

أمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ ... وَأَوْمَضَ البَرقُ في الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ[2]

فما لِعينكَ إنْ قلتَ اكْفُفا هَمَتَا ... وما لقَلْبِكَ إنْ قلتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ[3]

---

(١) (قوله: أمن تذكر إلخ) الهمزة للاستفهام، و"من" للتعليل، والمراد بالجيران: المحبوبون، والمراد بذى سلم موضع بين مكة والمدينة، والمزج: الخلط، وكنى بمزج الدمع بالدم عن كثرة البكاء. والدمع: ماء يصعد إلى الدماغ فيسيل من مجرى العيون بسبب شدة الحرارة الغريزية عند حادث سرور أو حزن، ويكون باردًا للسرور، وساخنًا للحزن. والجرى: السيلان بشدة، والمقلة: شحمة العين التى تجمع السواد والبياض، والدم: أحد الأمشاج الأربعة التى خُلق منها الإنسان: الماء والهواء والتراب والنار. وفي هذا البيت براعة استهلال؛ لأن فيه إشارة إلى أن هذه القصيدة في مدح النبي ﷺ، حيث ذكر فيه المواضع التى بقرب المدينة الشريفة.

(٢) (قوله أم هبت الريح إلخ)، أم: حرف عطف يطلب بها وبالهمزة التعيين، وواو العطف إما على حقيقتها، أو بمعنى "أو"، وأما هبوب الريح من جهة كاظمة فلأن المحب دائماً يفكر في محاسن محبوبه، فإذا هبت الريح من جهة موضعه، تخيل أنها حملت روائحه إليه، وأما إيماض البرق من إضم؛ فلأن من عادة المحبين أن يرتاحوا للبرق إذا لمع من جهة ديار الأحبة. وهبوب الريح: هيجانها، و"تلقاء" بمعنى حذاء، وكاظمة اسم موضع، والإيماض: اللمعان: الخفيف، والظلماء: صفة لموصوف محذوف والتقدير في الليلة الظلماء، وإضم: اسم لجبل، وقيل اسم لواد بقرب المدينة الشريفة.

(٣) أى إذا صدقت في إنكارك الحب فأى شيء ثبت لعينيك أوجب لهما أنك إن قلت لهما اكففا همتا؟ وأى شيء ثبتَ لقلبك أوجب له أنك إن قلت له استفق يهم؟ "وما" في الموضعين اسم استفهام، ومعنى اكففا: أمسكا عن البكاء، و"همتا" بمعنى سالتا، أى همتا دمعاً، والقلب: لحم على شكل الصنوبر، وقال بعضهم: القلب سرٌّ وضعه الله في هذه اللحمة فتسميتها قلباً لحلوله فيها. استفق: أفق: "يهم" مضارع هام يهيم إذا قام به الهيام وهو داء كالجنون ينشأ من العشق.

أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ ... ما بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ ومُضْطَرِمِ[1]

لوْلا الْهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً على طَلَلٍ ... ولا أَرِقْتَ لِذِكْرِ البانِ والعَلَمِ[2]

ولا أعارَتْكَ لَوْنَيْ عَبْرَةٍ وضَنىً ... ذِكْرَى الخِيامِ وذِكْرَى ساكِنِي الخِيَمِ[3]

فكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَ ما شَهِدتْ ... بِهِ عَلَيْكَ عُدولُ الدَمْعِ والسَّقَمِ[4]

---

(١) الهمزة للاستفهام الإنكارى، ويحسب: بكسر السين وفتحها أى يظن، والصب: العاشق من قولهم صبَّ الماء لأنه لما كان كثير البكاء فكأنه يصب الدمع، وقال بعضهم من "الصبابة" وهى رقة العشق وحرارته. و"ما" اسم موصول بمعنى الذي، والمنسجم: السائل، والمضطرم: المشتعل والمعنى: لا يظن العاشق أن الحب مستتر عن الناس الذي هو بين دمع سائل وقلب مشتعل من نار الحب، وكل منهما من آثار الحب مع كونهما ظاهرين، وحينئذ فإنكار الحب غلط.

(٢) الهوى: مصدر هوى بكسر الواو: إذا أحب، فهو بمعنى الحب، و"لولا" حرف يدل على امتناع الجواب لوجود الشرط. وقوله لم ترق دمعاً أى لم تصبّه، والطلل: ما بقى من آثار الدار مرتفعاً، و"على" الداخلة عليه للتعليل أى لأجل طلل، وأرقت بكسر الراء: بمعنى سهرتَ، والبان: شجر طيب الريح، والعلم: يطلق على معان: منها الجبل والرمح، أى ولا سهرت لذكر البان والعلم الكائنين بمحل المحبوب، ويحتمل أنه شبه المحبوب بهما في طيب الرائحة وحسن الهيئة وطول القامة.

(٣) أعارتك: أعطتك على سبيل العارية، لونَىْ عبرة وضنى، والمراد باللونين هنا النوعان، والعبرة بفتح العين، الدموع، والضنى: المرض، وقوله ذكرى: أى تذكر، وكل من الخيام والخيم جمع خيمة وهى بيت تتخذه العرب من عيدان الشجر.

(٤) و"كيف" حال مقدمة مضمنة معنى الاستفهام على وجه الإنكار، ومعنى تنكر: تجحد، والجحد هو النفى بعد العلم بخلافه قبله، والعدول جمع عدل: مَن لا تُرَدُّ شهادته، والدمع هو الماء الجارى من العين، والسُّقَم بفتحتين: المرض، وإنما ذكر كونهم عدولا للإشارة إلى أنه لا يمكن المخاطب ردّ شهادتهم.

وأثبتَ الوَجْدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وضَنًى ... مِثْلَ البَهارِ عَلَى خدَّيْكَ والعَنَمِ (١)

نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أهْوَى فأرَّقَنِي ... والحبُّ يَعْتَرِضُ اللذَّاتِ بالأَلَمِ (٢)

يا لائِمِي في الهوَى العُذْرِيِّ مَعْذِرَةً ... مِنِّي إليكَ ولو أنصَفْتَ لَمْ تَلُمِ (٣)

عَدَتْكَ حالِيَ لا سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ ... عَنِ الوُشاةِ ولا دائِي بِمُنْحَسِمِ (٤)

---

(١) الوجد: هو الحزن بسبب الحب، وقيل: نيران أشواق تنشرها رياح المحبة عند سماع ذكر المحبوب، وقوله خَطَّى عَبرة بفتح العين: أى خطين من الدموع، وقوله: "وضنى": عطف على خَطَّى عَبرة لكن على تقدير مضاف، وقوله "مثل البهار الخ" صفة لكل من خَطَّى العبرة والضنى؛ لأن البهار بفتح الباء الموحدة ورد أصفر، وأثر الضنى صفرة الوجه، فأثر الضنى مثل البهار في الصفرة. و"العنم" بفتح العين والنون: شجر له أغصان حمر، وقيل ورد أحمر، والخطان من العبرة أحمران لامتزاج الدم بالدمع، فالخطان من العبرة مثل العنم في الحمرة. والمعنى: وكيف تنكر حباً بعد ما أثبت الوجد على خديك علامتين ظاهرتين على الحب، فكل من رآك يعرف الحب في وجهك؟

(٢) لما اتضح حال المسئول مما هو عليه من الحب ولم يبق له سبيل إلى الإنكار أقرّ واعترف بذلك، و"نعم" حرف إيجاب لما سبق، "سرى إلىّ" أى سار إلى ليلاً لأن السُّرَى هو السير ليلاً. وقوله طيف من أهوى: أى خيال من أحب، و"أهوى" مضارع هوى بكسر الواو بمعنى أحب بخلاف هوى بفتح الواو فإنه بمعنى سقط، وقوله "والحب يعترض اللذات بالألم" أى يدفعها بالألم، يقال اعترضه بالسهم إذا دفعه به، والمراد باللذات ما كان فيه من النوم والتسلى عن المحبوبين، وبالألم ما ينشأ عن الحب من شدة الوجد.

(٣) "في الهوى العذرى" أى الهوى المنسوب إلى بنى عذرة بضم العين، وهم قبيلة مشهورة باليمن، يؤدى بهم العشق إلى الموت لصدقهم في الحب ورقة قلوبهم، وقوله معذرة: أى اعتذر معذرة أو أقدم معذرة، وقوله "ولو أنصفت لم تلم" أى لأن الحب ليس اختياريا حتى يلام عليه، بل هو قهرى ولا يلام إلا على الأمر الاختيارى، كما قال القائل:

دع عنك تعنيفى، وذُقْ طعمَ الهوى ... فإذا عشقتَ، فبعد ذلك عنِّفِ

(٤) عدتك حالى إلخ: أى جاوزتك حالى، كما يقول الشخص لغيره: لا أراك الله حالى، ويحتمل أيضا أنها خبرية، وعليه فالمراد الإخبار بأنه جاوزته حاله. وقوله: "لا سرى بمستتر عن الوشاة":

مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ، لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ ... إنَّ المحبَّ عَنِ العُذَّالِ في صَمَمِ[1]

إنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ في عَذَلِ ... والشَّيْبُ أبعَدُ في نُصْحٍ عَنِ التُّهَمِ[2]

فإنّ أمّارتي بالسُّوءِ مـا اتَّعَظَـتْ ... مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ والهَـرَمِ[3]

السر: ما يكتمه الشخص عن غيره، والوشاة: جمع واش، وهو الذي يشي الحديث بين المحب والمحبوب، أي يزينه ويزخرفه لأجل الإفساد بينهما. قوله: "ولا دائي بمنحسم" أي ولا دائي الحاصل بسبب الحب بمنقطع بوصل المحبوب ومؤانسته.

(١) "محضتني النصح" إلخ أي: أخلصتَ لي النصح، وقوله: : "لكن لست أسمعه" المنفي إنما هو سماع القبول، وإلا فقد يسمعه، وقوله: "إن المحب" إلخ تعليل لقوله لكن لست أسمعه، وقوله: عن العذال: أي عن نصحهم، والعذال جمع عاذل، وهو اللائم في الحب، والصمم: ضعف في قوة السمع، فوق الوقر ودون الطرش، ودون الصنج، ولذلك قال الثعالبي: "يقال في أذنه وقر، فإن زاد فهو صمم، فإن زاد فهو طرش، فإن زاد حتى لا يسمع الرعد فهو صَنَج".

(٢) فكأن السائل قال له: كيف تتهمني في العذل؟ فقال له إني اتهمت الخ، أي فإذا اتهمت نصيح الشيب في عذله عليّ في الهوى، والحال أن الشيب أبعد عن التهم في النصح، فكيف بالعاذل الذي ليس أبعد عن التهم في النصح، بل من شأنه أن يتهم فيه؟ "نصيح الشيب" أي شيباً ناصحاً، وإنما كان الشيب ناصحاً؛ لأنه يدل على قرب الأجل، وحصول الموت الموجب لترك دواعي الشباب واشتغال العبد بما يقربه لمولاه زلفى. وقوله: "في عذل" متعلق باتهمت أي اتهمته في لومه عليّ في الهوى ودواعي الشباب، "والشيب أبعد في نصح عن التهم": أي والحال أن الشيب أبعد عن التهم في النصح.

(٣) هذا البيت تعليل للبيت قبله. والأمّارة من أنواع النفس، وهي التي تأمر بالمخالفة، فلا يلوح لها طمع إلا فعلته، ولا برزت لها شهوة إلا قضتها، ومنها اللوامة: وهي التي ترجع باللوم على صاحبها كثيراً عند الوقوع في المعصية لسابقة القضاء، ومنها المطمئنة: وهي التي اطمأنت للإيمان وللتصديق بوعد الله، فهي دائماً موفقة للطاعة، مصدقة بلقاء الله تعالى.

السوء: القبيح. وقوله: "ما اتعظت" خبر إن، أي ما قبلت الوعظ، وقوله: "من جهلها" أي من أجل جهلها، ونذير: إما بمعنى الإنذار فيكون مصدراً، أو بمعنى المنذر، فيكون اسم فاعل.

ولا أعدت من الفعل الجميـــل قـــرى ضيف ألم برأســـى غـــير محتشـــم[1]

لو كنـــت أعلـــم أنـــى مـــا أوقـــره كتمت سرا بدا لـــى منـــه بـــالكتم[2]

من لى بـــرد جمـــاح مـــن غوايتـــها كما يرد جمـــاح الخيـــل بـــاللجم[3]

فلا ترم بالمعـــاصى كســـر شـــهوتها إن الطعـــام يقـــوى شـــهوة النـــهم[4]

---

(١) (قولـــه: ولا أعدت إلخ) أى نفسه الأمارة، والإعداد: التهيئة، وقوله: "من الفعل الجميـــل" أى من الأعمال الصالحة. وقرى الضيف بكسر القاف: إكرامه، لأنه شبه الشيب بالضيف، في طـــرو على الشخص بعد أن لم يكن. وقوله "ألم" بتشديد الميم: بمعنى نزل، وقوله برأسى: أى في رأسى، فالباء بمعنى في، وقوله غير محتشم: أى غير مستحي، فالشيب إذا نزل لا يرتحل إلا بالموت.

(٢) العلم والمعرفة بمعنى واحد، وقوله: "أنى ما أوقره": أى أنى ما أعظمه بفعل الجميل وترك القبيـــح، وقوله: "كتمت سرا" أى أخفيته، والمراد بالسر الشيب الذي يظهر أولا، وقولـــه: "بـــدا لى" أى ظهر لى، وقوله: "منه" أى من الشيب والكتم (بفتح التاء): نبت يخلط بالحناء، ويخضب به الشـــعر فيبقى لونه. وفي هذا البيت تنبيه على توفير الشيب وقد سماه الله تعالى وقارا، فقـــد روى أن أول من رأى الشيب إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فقال: ما هذا يا رب؟ فقال الله تعـــالى: وقار يا إبراهيم، فقال: يا رب زدني وقارا، فأصبح وقد عمه الشيب"، وفي الحديـــث القدســـى: "الشيب نورى".

(٣) "من لى" إلخ أى: من يتكفل لى إلخ؟. وقوله: "برد جماح من غوايتها" أى بصرف قـــوة وغلبـــة ناشئة من ضلالتها، فالجماح بمعنى القوة والغلبة، والمراد برده صرفـــه، وغوايتـــها بفتـــح الغـــين المعجمة: بمعنى ضلالتها، أى جماح ناشىء من غوايتها، وقوله: "كما يرد جماح الخيـــل بـــاللجم" جمع لجام، أى ردا مثل رد جماح الخيل باللجم في القوة والعنف.

(٤) :فلا ترم بالمعاصي" إلخ، أى لا ترجو ولا تتوقع بتمكينها مما تتمناه من المعاصى دفـــع شـــهوتها. شهوة النهم: بتشديد النون وكسر الهاء، الذي هو شديد الشهوة إلى الطعام، فتمكينه منه يزيـــد في شهوته إليه، وكذلك النفس تمكينها من المعاصي يزيد في شهوتها إليها.

والنفسُ كالطفلِ إنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ على ... حُبِّ الرَّضاعِ وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ[1]

فاصْرِفْ هَواها وحاذِرْ أنْ تُوَلِّيَهَ ... إنَّ الْهَوى ما تَوَلَّى يُصْمِ أوْ يَصِمِ[2]

وراعِها وَهْيَ في الأعْمالِ سائِمةٌ ... وإنْ هِيَ استَحلَتِ المَرْعَى فَلاَ تُسِمِ[3]

كَمْ حَسَّنتْ لَذَّةً لِلْمَرْءِ قاتِلَةً ... مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أنَّ السُّمَّ في الدَّسَمِ[4]

---

(١) كالطفل: شبه النفس بالطفل، فكما أن الطفل إن تركته على ما ألفه من الرضاع دام على حبه، وإن منعته عنه امتنع، كما ذكره بقوله: "إن تهمله"، إلخ، كذلك النفس إن تركتها على ما ألفته من المعاصي دامت على حبه، وإن منعتها عنه امتنعت. وقوله: "شب على" أى كبر، وقوله: "وإن تفطمه" فطمت المرأة الرضيعَ فطمًا من باب ضرب: فصلته عن الرضاع، فهى فاطمة، والرضيع فطيم.

(٢) قوله "فاصرف هواها": فاصرف النفس عن هواها، وقوله: "وحاذر أن توليه" أى واحذر أن تعطى هواها الولاية والإمارة عليك، وقوله: "ما تولى" أى ما صار والياً، و"ما" شرطية، وقوله: "أو يَصِم" بفتح الياء وكسر الصاد وصمه إذا عابه، فالمعنى إن الهوى إن ولاه الشخص يقتله أو يُعيبه. ولما كان الهوى سبباً للهلاك أجمع على ذمه العارفون، ووردت بذمه الآيات والأحاديث، وقال ابن عباس "الهوى إله يُعبد من دون الله" وتلا قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} [الجاثية: ٢٣].

(٣) "وراعها وهى" إلخ أى لاحظها. سائمة: أى كالبهيمة السائمة في الكلأ، الأعمال: الأعمال الصالحة، سائمة: بمعنى آخذة ومشتغلة. "وإن هى استحلت المرعى فلا تسم" بضم التاء وكسر السين، أى وإن هى وجدت المرعى حلواً فلا تبقها فيها؛ لأنها لا تميل إلى الطاعة لذاتها، بل لغرض فيها، فتنقلب الطاعة معصية، بل قد تكون أعظم مفسدة من المعصية، كما يشير لذلك قول صاحب الحِكَم: "رُبَّ معصية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عزًا واستكباراً".

(٤) "كم" خبرية بمعنى كثيراً، والتقدير كم مرة، أى كثيراً من المرات، وقوله "حسّنت لذة للمرء قاتلة" أى عُدَّت لذةً قاتلة للشخص رجلاً كان أو امرأة، وقد بين وجه كون اللذة قاتلة بقوله "من حيث لم يدر أن السم في الدسم"، الدسم: هو الدهن، وخص السم بالذكر لأنه قاتل، وخص الدسم بالذكر لأنه يعلو الأشياء فيستر ما تحته، والمراد بالسم هنا حظ النفس، والمراد بالدسم هنا الطاعة.

واخشَ الدسائِس مَنْ جُوعٍ ومِنْ شِبَعٍ ... فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ[1]

وَاستَفْرِغِ الدَّمع مِنْ عَيْنٍ قَدِ امْتَلأَتْ ... مِن المَحارِمِ والزَمْ حِمْيَةَ النَّدَمِ[2]

وخالِفِ النفْسَ والشَّيْطَانَ واعْصِهِما ... وإنْ هُما مَحَّضاكَ النُّصْحَ فاتَّهِمِ[3]

ولاَ تُطِعْ منْهُما خَصْماً ولا حَكَماً ... فأنتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الخَصْمِ والحَكَمِ[4]

---

(١) أى خف المكائد التى تخفيها النفس في الجوع والشبع؛ فالدسائس من الجوع: كالحدة وسوء الخلق، والدسائس من الشبع كالكسل عن العبادة. "فرب مخمصة شر من التخم" إذ رُبَّ مجاعة مفرطة شر من كثرة الأكل، فالعبادة قد لا تحصل بالكلية مع الجوع المفرط، وتحصل مع كثرة الأكل، وإن كان فيها كسل، و"رب" هنا للتقليل، والمخمصة: المجاعة، والتخم: بضم التاء وفتح الخاء جمع تخمة: وهى فساد المعدة بالطعام.

(٢)قوله: "واستفرغ الدمع الخ) أى أفرغ الدمع بالبكاء. وامتلاء العين من المحارم: كناية- عند الفقهاء- عن كثرة النظر بها لما لا يجوز شرعاً، وعند الصوفية وأهل الحب: رؤية الأغيار بها. وكان عليه الصلاة والسلام كثير البكاء. وقوله: "والزم حمية الندم" أى والزم حماية الندم لك عن المحارم، والمراد من الندم التوبة المستكملة للشروط الشرعية، وإنما عبر بالندم لأنه العمدة في التوبة، ولذلك ورد: "الندم توبة" قال رسول الله ﷺ : "الندم توبة، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له".

(٣) أى إذا أمرتك نفسك والشيطان بشيء، أو نهتك نفسك والشيطان عن شيء، فخالفهما لأنهما عدواك، وإنما قدم النفس على الشيطان لأنها أضرُّ منه، وفتنتها أعظم من فتنته. وقوله: "وإن هما محضاك النصح فاتهم" أى وإن هما أخلصا لك النصح فيما أبدياه لك، كأن يقولا لك تمتع بهذه الشهوة، لكى تتوجه إلى الطاعة فارغ القلب، أو يقولا لك أرفق على نفسك في العبادة لتدوم عليها، أو أكثر من العبادة لتفوز بالدرجات العلى، أو نحو ذلك، فاتهمهما بأن تنسبهما إلى الخيانة وعدم الإخلاص.

(٤) معنى البيت أنه إذا تخاصم العقل مع النفس، وجعلا الشيطان حكماً، أو تخاصم العقل مع الشيطان، وجعلا النفس حكماً، فلا تطع واحداً من النفس والشيطان، لا الخصم ولا الحكم. والخصم هنا قد يكون النفس، والحكم الشيطان، وبالعكس. وقوله :"فأنت تعرف كيد الخصم والحكم" أى لأنك تعرف كيد الخصم والحكم من الناس، وكيد النفس والشيطان أشد.

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَوْلٍ بِلا عَمَلٍ ... لقدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لِذى عُقُمِ[1]

أَمَرْتُكَ الخيرَ، لَكنْ ما ائْتَمرتُ بِهِ ... وما اسْتَقمتُ فَما قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ[2]

ولا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الموْتِ نافِلَةً ... ولم أُصَلِّ سِوىَ فَرْضٍ ولَمْ أَصُمِ[3]

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيا الظلامَ إلى ... أنِ اشْتكتْ قَدَماهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ[4]

---

(١) قوله: "أستغفر الله إلخ" لما كان المصنف معترفاً بأنه غير عامل بقوله، وقد قال تعالى: [كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون] (الصف: ٣) استغفر من ذلك. وقوله: "لقد نسبت به نسلاً لذى عقم"، أى لقد نسبت بهذا القول نسلاً، وهو الذرية لشخص صاحب عقم، بضم القاف، وهو الذي لا يولد لمثله.

(٢) قوله: "أمرتك الخير إلخ" ومراده بالأمر ما يشمل النهى. والخير: ما له عاقبة محمودة. وقوله "لكن ما ائتمرت به" أى لكن ما عملت به. وقوله: "وما استقمت" أى بفعل المأمورات وترك المنهيات. وقوله: "فما قولى لك استقم" أى فما ثمرة قولى لك استقم حيث لم أستقم؟ والاستفهام إنكارى بمعنى النفى، أى لا ثمرة له ولا فائدة له.

(٣) المراد بالتزود هنا العمل، وإنما عبر بالتزود نظراً لكون الموت سفراً طويلاً محتوياً على الأهوال والمشاق، والسفر المذكور يناسبه التزود، قال الله تعالى: {وتزودوا فإن خير الزاد التقوى} [البقرة: ١٩٧]، وقوله "نافلة" أى مستقلة، وقد اشتهرت أن النافلة يُجبر بها ما نقص من الفرائض. وقوله: "ولم أصل سوى فرض ولم أصم، إنما خص الصلاة والصوم بالذكر؛ لأنهما محض عبادة بدنية، وإنما سكت عن الإيمان لأنه لا ينتفل به ولأن الذي يصلى الفرض ويصوم الفرض إنما هو المؤمن، لا الكافر، فلذلك لم يذكر الإيمان لأنه ثابت في قلبه والحمد لله.

(٤) قوله: ظلمت سنة من إلخ" هذا تخلص للشروع في المقصود، وهو مدحه ﷺ ، والسنة: لغة الطريقة، وشرعاً الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب، و"مَن" واقعة على نبي، وهو نبينا ﷺ . وقوله: "أحيا الظلام" أى أنار الليل المظلم بالصلاة، وقوله: "إلى أن اشتكت قدماه الضر من ورم"، واشتكاء القدمين كناية عن شدة الألم الحاصل لهما من كثرة القيام، على وجه المبالغة. والورم: ازدياد الحجم على غير اقتضاء طبيعى، وقد روى المغيرة أنه قام ﷺ حتى تورمت قدماه، فقيل له: أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال: "أفلا أكون عبداً شكوراً".

وَشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشَاءَهُ وطَوَى ... تَحْتَ الحجارةِ كَشْحاً مُتْرَفَ الأَدَمِ[1]

وراوَدَتْهُ الجِبَالُ الشُّمُّ مِن ذَهَبٍ ... عَنْ نَفْسِهِ فَأَراها أَيَّما شَمَمِ[2]

وأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فيها ضَرُورَتُهُ ... إِنَّ الضَرورَةَ لا تَعْدُو عَلى العِصَمِ[3]

وكيفَ تَدْعُو إلى الدنيا ضَرورةُ مَنْ ... لَوْلاهُ لَمْ تُخْرَجِ الدُّنيا مِنَ العَدَمِ[4]

---

(١) الشد: العصْب والربط، والسغب: الجوع، و"من" الداخلة عليه للتعليل، والأحشاء جمع حشى وهو كما في الصحاح ما انضمت عليه الضلوع، وقيل: القلب، وقيل: الأمعاء، وفائدة هذا الشد انضمام الأحشاء على المعدة، فتخمد الحرارة بعض خمود، وقد روى الشدَّ مسلم عن أنس قال: "جئتُ رسول الله ﷺ يوماً فوجدته جالساً مع أصحابه يحدثهم، وقد عصب بطنه بعصابة، فقالوا: من الجوع". وقوله: "وطوى تحت الحجارة كشحا مترف الأدم"، الطوى: اللف، والكشح: الخاصرة، والمترف: الناعم من الترف، والأدم: الجلد.

(٢) قوله: "وراودته الجبال إلخ"، المراودة: المطالبة، يقال راوده: أى طلب منه أن يكون على مراده، وإسناد المراودة للجبال مجاز: والمقصود جبال مكة، كما تدل عليه الأحاديث الصحيحة، إذا روى أن جبريل عليه السلام نزل عليه ﷺ فقال له: إن الله يقرئك السلام، ويقول لك: أتحب أن تكون لك هذه الجبال ذهباً وفضة، تكون معك حيثما كنت؟ فأطرق ساعة، ثم قال: يا جبريل إن الدنيا دارُ من لا دار له، ومال من لا مال له، يجمعها من لا عقل له: فقال له جبريل: ثبتك الله بالقول الثابت.

وقوله الشم: أى المرتفعة وهى جمع أشم. وقوله: "عن نفسه" أى من أجل نفسه، وقوله: "فأراها أيما شمم": أى فأراها شمماً إيما شمم، أى شمماً عظيماً.

(٣) قوله: "وأكدت زهده فيها إلخ" التأكيد: التقوية، والزهد: ترك الشيء وقلة الرغبة فيه، والضمير المجرور بفى راجع للجبال التى تكون من ذهب، والضرورة: شدة الحاجة. وقوله: إن الضرورة إلخ مستأنف أو تعليل. وقوله: لا تعدو على العصم: أى لا تتعدى عليها، يقال عدا عليه أى تعدى عليه، وفي كلامه حذف مضاف؛ أى على ذوى العصم أى المعصومين، وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(٤) قوله: "وكيف تدعو إلخ" استفهام إنكارى بمعنى النفى، أى لا تدعو إلخ، والدعاء: الطلب والميل. وقوله "إلى الدنيا" متعلق بتدعو، والدنيا صفة في الأصل ثم نقلت إلى الإسمية، فجعلت اسماً لهذه الدار التى نحن فيها. وقوله "لولاه لم تخرج الدنيا من العدم"، أى لولا وجوده ﷺ لاستمرت الدنيا على عدمها، والأصل في ذلك ما رواه الحاكم، والبيهقى، من قول الله تعالى لآدم لما سأله

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ والثَّقَلَيْـ ... ـنِ والفريقَينِ مِنْ عُرْبٍ ومِنْ عَجَمِ[1]

نَبِيُّنا الآمِرُ النَّاهي فلا أحَدٌ ... أبَرُّ في قَوْلٍ لا مِنْهُ ولا نَعَمِ[2]

هُوَ الحبيبُ الذي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ ... لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الأهْوَالِ مُقْتَحَمِ[3]

دَعَا إلى الله فالمستَمْسِكونَ بِهِ ... مُسْتَمْسِكونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ[4]

فَاقَ النَّبِيِّينَ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ ... ولَمْ يُدانُوهُ في عِلْمٍ ولا كَرَمِ[5]

وكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ ... غَرْفاً مِنَ البَحرِ أو رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ[6]

بحق أن يغفر ما اقترفه من صورة الخطيئة، وكان رأى على قوائم العرش مكتوب لا إلـه إلا الله محمد رسول الله: "سألتنى بحقه أن أغفر لك، وقد غفرت لك، ولولاه ما خلقتك" فوجود آدم عليه السلام متوقف على وجوده ﷺ ، وآدم أبو البشر، وأبو البشر إنما خلقت الدنيا لأجله، فيكون ﷺ هو السبب في وجود كل شيء.

(١)قوله: "سيد الكونين" أى أشرف أهل الكونين، والمراد بالكونين الدنيا والآخرة، وقوله: "والثقلين" أى الإنس والجن" وإنما سميا ثقلين لإثقالهم الأرض، أو لثقلهما بالذنوب. والعرب بضم العين وسكون الراء لغة في العرب بفتحها. والمراد بالعجم: جميع غير العرب.

(٢) قوله: "نبينا إلخ" الإضافة في نبينا لتشريف المضاف إليه، وقوله: "الآمر الناهى" أى عن الله تعالى، وقوله: "فلا أحد أبر في قول لا منه ولا نعم" أى إذا أمر ونهى، فلا أحد أصدق منه في الأمر والنهى.

(٣) قوله: " هو الحبيب" إلخ الضمير راجع لمحمد، أو لنبينا. هو الحبيب: أى لله أو لأمته لأنه أعظم محب لله، وأفضل محبوب له، وهو أيضا محب لأمته، ومحبوب لها. وقوله: "الذي ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم": أى الذي نتوقع شفاعته، وهى طلب الخير للغير عند كل هول، والهول: هو الأمر المخوف. وله ﷺ شفاعات ، منها شفاعته في فصل القضاء حين يتمنى الناس الانصراف من المحشر ولو للنار، لشدة الهول، وهذه هى الشفاعة العظمى، وتسمى المقام المحمود؛ لأنه يحمده عليها الأولون والآخرون، وهى مختصة به ﷺ ، ومنها شفاعته ﷺ في دخول جماعة الجنة بغير حساب، ومنها شفاعته ﷺ في جماعة دخلوا النار أن يخرجوا منها، وهذه غير مختصة به ﷺ ، بل تكون لغيره أيضا، ومنها شفاعته ﷺ في رفع درجات إناس في الجنة، ومنها شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن بعض الكفار.

(٤) قوله: "دعا إلى الله إلخ" أى دعا إلى دين الله، وقوله "فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم": المراد من الحبل السبب، كما هو أحد إطلاقيه، والفصم بالفاء: القطع من غير إبانة.

(٥) قوله: "فاق النبيين إلخ" أى زاد ﷺ على النبيين. "في خلق" بفتح الخاء وسكون اللام: وهو الصورة والشكل، وفي خلق بضمهما: وهو ما طبع عليه الإنسان من الخصال الحميدة؛ كالعلم، والحياء، والجواد، والشفقة، والحلم والعدل، والعفة، وأمثال ذلك.

(٦) رسول الله: هو سيدنا محمد ﷺ ، والمراد من قوله ملتمسٌ: آخذ. وقوله: "غرفا من البحر أو رشفا من الديم": أى حال كون بعض الملتمسين مغترفاً من البحر، وبعضهم مرتشفاً من الديم،

وواقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمُ ... مِنْ نُقْطَةِ العِلْمِ أَوْ من شَكْلَةِ الحِكَمِ (١)

فَهُوَ الَّذِي تَمَّ معناهُ وصُورَتُهُ ... ثُمَّ اصْطفاهُ حبيباً بارئُ النَّسَمِ (٢)

مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ في مَحاسِنِهِ ... فَجَوْهَرُ الحُسْنِ فيه غَيْرُ مُنْقَسِمِ (٣)

دَعْ ما ادَّعَتْهُ النصارَى في نَبِيِّهِمُ ... واحْكُمْ بما شئتَ مَدحاً فيهِ واحتكم (٤)

وانْسُبْ إلى ذاتِهِ ما شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ ... وانْسُبْ إلى قَدْرِهِ ما شِئْتَ مِنْ عِظَمِ (٥)

فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ لَهُ ... حَدٌّ فَيُعْرِبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ (٦)

لَوْ ناسَبَتْ قَدْرَهُ آياتُهُ عِظَماً ... أحيا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دارِسَ الرِّمَمِ (٧)

والغرف: مصدر غرف بمعنى أخذ، والرشف: المص. والديم: جمع ديمة وهي المطر الدائم يوماً وليلة من غير رعد، والمراد من البحر والديم هنا علمه وحلمه ﷺ .

(١) معنى كونهم واقفين لديه عند حدهم: أنهم ثابتون عنده ﷺ في العلم والحكم ثابت لهم فلا يتجاوزونه. وقوله: "من نقطة العلم أو من شكلة الحكم" بيان لحكمته ﷺ والمراد من العلم والحكم علم الرسول وحكمه كما قال بعض الشارحين.

(٢) معناه: أي كمالاته الباطنية من الخلق، والمراد بصورته: صفاته الظاهرية، وقوله: "ثم اصطفاه حبيباً بارىء النسم"، أي ثم اختاره حبيباً خالق الخلق، والنسم بفتح النون المشددة: جمع نسمة بفتحات، وهي الإنسان.

(٣) قوله: "منزه إلخ" أي وهو منزه إلخ. وقوله عن شريك: أي عن كل شريك. وقوله "في محاسنه" أي صورة ومعنىً، وقوله: "فجوهر الحسن" إلخ: المراد من جوهر الحسن وحقيقته، وقوله: "فيه" أي الكائن فيه، وقوله غير منقسم: أي بينه وبين غيره لاختصاصه بخلاف يوسف عليه السلام فإنه أعطي شطر الحسن.

(٤) في هذا البيت إشارة إلى قوله ﷺ "لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح، ولكن قولوا عبده ورسوله"، والمراد بما ادعته النصارى في نبيهم قولهم بأنه إله، والنصارى هم قوم عيسى وقوله: "واحكم بما شئت مدحاً فيه"، أي احكم بما شئت مما يدل على شرفه وعلو شأنه .

(٥) قوله: "ما شئت من شرف" أي الذي شئته من صفات الشرف، وقوله: "وانسب إلى قدره ما شئت من عظم" أي وانسب إلى كماله الذي شئته من صفات العظم.

(٦) هذا البيت تعليل للبيت قبله، فكأنه قال: لأن فضل رسول الله إلخ، وقوله: "ليس له حد" ليس له غاية ومنتهى. وقوله يعرب: أي يفصح، ومعنى "ناطق" متكلم.

(٧) قوله: "لو ناسبت إلخ"، لو ناسبت آياته قدره في العظم لكان من جملة آياته أن يحيي اسمه دارس الرمم حين يدعى به؛ لأن الواقع أن قدره ﷺ أعظم من آياته حتى من القرآن المتلو بخلاف القرآن غير المتلو، وهو المعنى القائم بذاته تعالى، فإنه أعظم منه لأن القديم أفضل من الحادث، والمراد

لَمْ يَمْتَحنا بِمَـا تَعْيـا العُقُـولُ بِـهِ ... حرْصاً عَلَيْنا فلم نَرْتَبْ وَلَـم نَـهِمِ[1]

أعْيا الوَرَى فَهْمُ مَعْناهُ فَلَيْـسَ يُـرَى ... في القُربِ والبُعْد فيه غَيْرُ مُنْفَحِـمِ[2]

كالشَّمْسِ تَظْهرُ للعَيْنَيْـنِ مِـنْ بُعُـدٍ ... صَغيرةً وتُكِلُّ الطَّرْفَ مِـنْ أَمَـمِ[3]

وكَيْف يُـدْرِكُ في الدُّنيـا حقيقَتَـهُ ... قَوْمٌ نِيـامٌ تَسَـلَّوا عَنْـهُ بـالحُلُمِ[4]

فَمَبْلَـغُ العِلْـمِ فيـه أَنَّـهُ بَشَـرٌ ... وأَنَّـهُ خَـيْرُ خَلْـقِ اللهِ كُلِّـهِمِ[5]

وكُلُّ آى أَتَى الرُّسْـلُ الكِـرامُ بِهـا ... فإنما اتَّصلـتْ مِـنْ نـوره بِـهِمِ[6]

بآياته أعلام نبوته أى دلائلها، كالمعجزات، وقوله: "أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم" أى أحيا الله بسبب اسمه دارس الرمم حين يدعى به، و"دارس" بمعنى مدورس، والرمم جمع رمة، وهى الشيء البالى، والمدروسة: التى زيد في بلائها.

(١) قوله: "لم يمتحنا إلخ" أى لم يختبرنا بشيء تعجز عنه عقولنا، بل أتى بالحنيفية الواضحة، فالامتحان: الاختبار، والعى بالأمر: العجز عنه، وعدم الاهتداء لوجهه. والحرص على الشيء. شدة الرغبة فيه، والارتياب: الشك، والهيام: التحير.

(٢) قوله: "أعيا الورى"، إلخ، الإعياء: الإعجاز، والورى: الخلق. وقوله: "فهم معناه" أى إدراك حقيقته ﷺ . ويُرى بالبناء للمفعول، وهى بصرية. و"في" بمعنى "عن" والمنفحم: العاجز وحاصل المعنى أنه أعجز الخلق فهم حقيقته فليس يبصر شخص غير عاجز عنه في القرب والبعد منه ﷺ .

(٣) قوله: كالشمس إلخ" أى هو كالشمس إلخ، والمقصود تشبيهه ﷺ بالشمس في أنه لا يحاط بكنهه وحقيقته في حالتى القرب والبعد، وقوله: "وتكل الطرف" أى وتعيي البصر وتضعفه لقوة شعاع نورها، وقوله: "من أمم"أى في حالة القرب، والأمم بفتح الهمزة: القرب.

(٤) وكيف: للاستفهام الإنكارى، وهو بمعنى النفى، أى لا يدرك إلخ، واحترز بقوله "في الدنيا" عن الآخرة، فإنهم يدركون فيها حقيقته ﷺ، والمراد بحقيقته ﷺ قدره ومنزلته، وقوله: "قوم نيام" أى قوم غافلون عن النظر في حقيقته، والمراد بالقوم جميع الورى، وقوله: "تسلوا عنه بالحلم" بضم اللام: أى اكتفوا عن النظر في حقيقته تفصيلاً بما يشبه الحلم.

(٥) ما يبلغه علم الناس في حقه ﷺ : أنه بشر، لا إلهٌ ولا ملك، وأنه خير مخلوقات الله كلهم إنساً وجناً وملكاً وغيرهم. والبشر: اسم لبنى آدم، سموا بذلك لبدو بشرتهم، وهى ظاهر الجلد وخير: أصله "أخير" حذفت منه الهمزة لكثرة الاستعمال. والخلق: بمعنى المخلوقات.

(٦) قوله: "وكل آى أتى الرسل إلخ" جمع آية بمعنى المعجزة، والرسل: جمع رسول، والكرام: جمع كريم، والمراد بنوره معجزاته، ويصح حمله على النور المحمدى الذي هو أصل المخلوقات كلها.

فإنَّه شَمْسُ فَضْـــلٍ هُـــمْ كواكبُـــها ... يُظهِرنَ أنوارهَا للنـــاسِ في الظُّلَـــمِ[1]

أكَـــرِمْ بخَلْـــقِ نبـــيٍّ زانَـــهُ خُلُـــقٌ ... بالحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بالبِشْـــرِ متَّســـمِ[2]

كالزَّهْرِ في تَرَفٍ والبَـــدْرِ في شَـــرَفٍ ... والبَحرِ في كَرَمٍ، والدَّهْرِ في هِمَـــمِ[3]

كأنَّـــهُ وهـــوَ فَـــرْدٌ مِـــنْ جَلالتـــهِ ... في عَسْكرٍ حين تَلقاهُ وفي حَشَـــمِ[4]

كأنَّما اللؤلؤُ المكنـــونُ في صَـــدَفٍ ... مِنْ مَعْدَنَيْ مَنْطِقٍ مِنْـــهُ ومُبْتَسَـــمِ[5]

لا طِيبَ يَعْدِلُ تُرْبـــاً ضَـــمَّ أعْظُمَـــهُ ... طُوبَـــى لمُنْتَشَـــقٍ مِنْـــهُ ومُلْتَثِـــمِ[6]

---

(١) أى فإنه كالشمس في الفضل، وقوله: "كواكبها" أى الرسل: كواكـــب الشـــمس، أى مثـــل كواكبها، وكما أن الشمس إذا بدت لم يبق أثر للكواكب، فكذلك شريعته ﷺ لما بدت نسخت غيرها من سائر الشرائع.

(٢) قوله: "أكرم بخلق نبى إلخ" أى ما أكرم خلق نبى، وهو الخلق بفتح الخاء وسكون اللام، وقولـــه: "زانه خلق" أى حسّنة خلق بضم الخاء واللام، بمعنى زاده حسناً. وقوله: "بالحسن مشتمل بالبشـــر متسم" أى متصف بالحسن، فاستماله به من اشتمال الموصوف بالصفة، متصف بالبشـــر، وهـــو بكسر الباء وسكون الشين المعجمة: بشاشة الوجه وطلاقته. وحاصل المعنى: ما أحسن صورة نبى حسنة خلق، متصف بالحسن، متصف بالبشاشة وطلاقه الوجه.

(٣) الزهر: نَور النبات بفتح النون،والترف: بفتح التاء والراء: النعومة، والبدر: هو القمر ليلة كمالـه وهى ليلة أربعة عشر. والشرف بفتح الشين والراء: العلو. وكرم البحر مذكور في قوله تعـــالى: {وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حليـــة تلبســـونها}، والدهـــر: الزمن، والهمم: جمع همة وهى العزم على الشيء والإرادة له.

(٤) وتقدير البيت: كأنه حين تلقاه وهو فرد مثل حاله وهو محاط بجيشه وحشمه، وذلك من مهابتـه جلالته: الجلالة: العظمة، والعسكر: الجيش، والحشم: (بفتح الحاء والشين المعجمة): الخدم.

(٥) شبه اللؤلؤ المكنون في صدفه بكلامه وثغره ﷺ اللذين يبرزان من معـــدنى منطقـــه ومبتســـمه، واللؤلؤ: هو الدر المسمى بالجوهر، والمكنون: المصون، والصدف: المحار الذي يتولد فيـــه، وهـــو وعاء له يحفظه حتى ينشق عنه، والمنطق: محل النطق، والمبتسم بفتح السين: محل الابتسام.

(٦) لما مدحه ﷺ بما اتصف به من المحاسن قبل مفارقته الدنيا، مدحه بما اتصف به من المحاسن بعدهـــا والطيب: ما يُتطيب به من مسك ونحوه، والترب بسكون الراء: لغة في التراب، والضم: الجمـــع، والأعظم: جمع عظم، وطوبى: إما مصدر بمعنى التطيب أو اسم لشجرة في الجنة يسير الراكـــب في ظلها مائة عام ولا يقطعها. وحاصل المعنى: لا طيب يساوى التراب الذي جمع الجسد الشـــريف، وهو تراب قبره ﷺ ، ولما كان الطيب يستعمل على وجهين: تارة يستعمل بالشم، وتارة يستعمل بالتضمخ، أشار للأول بقوله: "منتشق" وللثاني بقوله: "ملتثم"، والمراد بالملتثم هنا المعفر موضـــع اللثام، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "القبر أول منـــزل من منازل الآخرة فإما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار" ولا شك أن قبره ﷺ روضة من رياض الجنة بل أفضلها، وقد قـــال أيضا ﷺ : "ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة".

أبانَ مَوْلِدُهُ عَـــنْ طِيـــبِ عُنصُـــرِهِ ... يا طِيبَ مُفْتَتَـــحٍ منـــهُ ومُختَتَـــمِ[1]

يَوْمٌ تَفَـــرَّسَ فيـــهِ الفُـــرْسُ أَنَّـــهُمُو ... قَد أُنذروا بحُلولِ البؤسِ والنِّقَـــمِ[2]

وباتَ إيوانُ كِسْرَى، وَهوَ مُنْصَـــدعٌ ... كَشَمْلِ أصْحابِ كِسْرَى غَيْرَ مُلتَئِمِ[3]

والنارُ خامِدَةُ الأنْفاسِ مِـــنْ أسَـــفٍ ... عليه، والنَّهْرُ سَاهِي العَيْنِ مِنْ سَـدَمِ[4]

---

(١) مولده: يصلح لأن يراد به الولادة أو زمانها أو مكانها، والطيب: الخلوص عمـــا لا ينبغـــي في النسب، و"العنصر" بضم العين المهملة وسكون النون وضم الصاد هو الأصل، والمراد به آبـــاؤه الذين تناسل هو منهم. والمراد بالمفتتح بفتح التاءين: من فوق آدم عليه السلام، وبالمختتم كذلك: سيدنا عبد الله، خلافاً لما قاله بعض الشارحين من أن المراد بالمفتتح هاشم، وبالمختتم النـــبي ﷺ، ومن آيات مولده ﷺ ما ذكروه عن أمه أنها قالت: "لقد أخذني الطلق، وإني لوحيدة في المنـــزل، وعبد المطلب في طوافه يوم الاثنين، فسمعت وحبةً (أي سقطة) هالتني، ورأيت كأن جناح طـــير أبيض مسح فؤادي، فذهب رعبي وكلّ وجع أجده، وكنتُ عطشى فإذا بشربة بيضاء، فشـــربتها فأصابني نور عال" إلى أخر الحديث، وقد ذكره بطوله القسطلاني.

(٢) تفرس فيه الفرس: أي ظهر لهم بطريق الفراسة بكسر الفاء، وهي قوة يدرك بها الإنسان المعـــاني اللطيفة بسبب المخايل الظاهرة. والفرس: بضم الفاء وسكون الراء أهل مملكة فـــارس، وكـــانوا مجوساً يعبدون النار بعد رفع كتابهم حين بدَّلوه، وإنما سُموا فرساً لأنه وُلد لأبيهم بضعـــة عشـــر رجلاً، كل منهم شجاع فارس، فسموا الفرس لذلك. وقوله: "أنهموا" بالإشباع، وقولـــه: "قـــد أنذروا" أي أعلموا بالبناء للمجهول، وقولـــه: "بحلول البؤس والنقم" أي بنـــزول البؤس والنقـــم بهم، والبؤس: هو الشدة المؤثرة في القلب الهم والحزن: و"النقم" جمع نقمة وهي العقوبة.

(٣) أي وبات في ليلة ولادته ﷺ إيوان كسرى إلخ، والإيوان: بناء يبنى طولاً غير مســـدود الوجـــه، يعده الملك لجلوسه فيه لتدبير ملكه. وكسرى بكسر الكاف: لقب لكل من ملك الفرس، وقولـــه: "وهو منصدع" أي والحال أنه منشق شقاً بيناً أشرف به على الهدم، ومع انصداعه سقط منه أربـــع عشرة شرافة من شرافاته، وكانت اثنتين وعشرين. وقوله: "كشمل أصحاب كســـرى" بفتـــح الشين أي حالهم، وقوله "غير ملتئم" خبر بات.

(٤) النار: هي نار الفرس التي كانوا يعبدونها، ولم تخمد قبل تلك الليلة بألف عام. والأنفاس: جمـــع نفس بفتح الفاء، والمراد به هنا لهب النار، وقوله: "من أسف" أي من أجل أسف أي شدة الحـــزن "عليه": جوز بعض الشارحين أن يكون راجعاً إلى النبي ﷺ. وقوله: "والنهر ساهي العين": المـــراد بالنهر: نهر الفرات، والمراد بكونه ساهي العين أنه ساكن العين التي هي مادتـــه عـــن الجـــرى، ويحتمل أن في الكلام استعارة بالكناية، فيكون قد شبه النهر بإنسان ساهي العين. وقوله: "مـــن سدم" أي من أجل سدم، فمن للتعليل، والسدم بفتح السين والدال: الحزن.

وَساءَ ساوَةَ أنْ غاضَتْ بُحَيرَتُها ... وردُّ وارِدِها بالغَيظِ حِينَ ظَمِي[1]

كأنّ بالنارِ ما بالماءِ مِنْ بَلَلٍ ... حُزْناً، وبالماءِ ما بالنارِ مِنْ ضَرَمِ[2]

والجِنُّ تَهْتِفُ والأنوارُ ساطِعَةٌ ... والحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنىً ومِنْ كَلِمِ[3]

عَمُوا وصَمُّوا فَإعْلانُ البَشائِرِ لَمْ ... تُسْمَعْ، وبارِقَةُ الإنْذارِ لَمْ تُشَمِ[4]

مِنْ بَعْدِ ما أخْبَرَ الأقْوامَ كاهِنُهُمْ ... بِأنَّ دِينَهُمُ المُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ[5]

---

(١) قوله: "وساء ساوة" إلخ أى وساء أهل ساوة إلخ، وساوة اسم لمدينة من مدن الفرس. غاضت: غار ماؤها وذهب بالمرة، والباء في قوله: "بالغيظ" للملابسة، أو المصاحبة. وحاصل المعنى: أحزن أهل المدينة المسماة بساوة أمران: أحدهما غيضُ مائها، والثاني ردّ الذي يَرِدها ليستقى منها بالغيظ حين عطش.

(٢) قوله: "كأن بالنار" والأصل كأن ما بالماء بالنار، وما: اسم موصول بمعنى الذي، من بلل: بيان لها. وقوله: "حزنا" أى للحزن، والضرم: الالتهاب. وحاصل المعنى أن النار التى خمدت تلك الليلة صارت كأن بها ما بالماء من البلل، فصارت مبتلة لحزنها، وأن الماء الذي غاض تلك الليلة صار كأن فيه ما بالنار من الضرم لحزنه أيضاً.

(٣) أى وصارت الجن تهتف في الجبال والأودية، والجن: هم أولاد إبليس، كما أن البشر أولاد آدم، وقيل: الجن أولاد الجان، فإبليس أبو الشياطين، والجان أبو الجن، والقول الأول أقوى، والهتف: قيل الصوت مطلقاً، وقيل الصوت الخفى. "والأنوار ساطعة" أى والأنوار التى خرجت معه ﷺ عند ولادته لامعة ظاهرة، ففى الحديث عن آمنة رضى الله تعالى عنها أنها قالت: "لما ولدته خرج من فرجى نور أضاء له قصور الشام، فولدته نظيفاً ما به قذر"، وقوله: "والحق يظهر من معنى ومن كلم" أى والحق الذي هو أمره ﷺ من نبوته ورسالته يظهر من معنى، كالأنوار، ومن كلم كهتف الجن.

(٤) عموا وصموا إلخ الضمير فيها راجع للكفار، لكونهم لم ينتفعوا بما شاهدوه من المعنى، ولا بما سمعوه من الكلم. وقوله: "فإعلان البشائر لم تسمع" أى فإظهار البشائر به ﷺ كهتف الجن لم تسمع لهم سماع قبول، وقوله: "وبارقة الإنذار لم تشم"، أى ولا معة الإنذار به ﷺ ، أى تخويفهم به، كالأنوار لم تُنظر لهم نظر قبول، يقال شام البرق: نظر إليه.

(٥) قوله: "من بعد ما أخبر" أى من بعد إخبار ،والكاهن: من كان له تابع من الجن يخبره بخبر السماء، وقوله: "بأن دينهم المعوج لم يقم"، أى بأن ما هم عليه من الدين المعوج، لاشتماله على عبادة الأصنام، لا قيام له، مع وجوده ﷺ.

وبَعْدَ ما عاينَوا في الأفق مِنْ شُهُب ... مُنْقَضَّةٍ وَفْقَ ما في الأرْضِ مِنْ صَنَمِ[1]

حتَّى غَدا عَنْ طريقِ الوَحْيِ مُنْهَزِمٌ ... مِنَ الشَياطِين يَقْفُو إثْرَ مُنْهَزِمِ[2]

كأنَّهُمْ هَرَباً أبطالُ أبْرَهَةٍ ... أوْ عَسْكَرٌ بالحَصَى مِنْ راحَتَيْهِ رُمِي[3]

نَبْذاً بِهِ بَعْدَ تَسْبيحٍ بِبَطْنِهِما ... نَبْذَ المُسَبِّحِ مِن أحشاءِ مُلْتَقِمِ[4]

جاءتْ لِدَعْوَتِه الأشْجارُ ساجِدَةً ... تَمشي إليهِ على ساقٍ بِلا قَدَمِ[5]

---

(١) قوله: "وبعد ما عاينوا"، والتقدير عاينوه أى شاهدوه وأبصروه، وقوله: "في الأفق"، والمراد به هنا السماء: لا حقيقته، التى هى أطراف السماء المماسة للأرض لعدم وجود الشهب في ذلك، وقوله: "من شهب"، جمع شهاب، وهو شعلة من نار ساطعة، وقوله: "منقضة" أى ساقطة من السماء على الشياطين الذين كانوا يسترقون السمع من الملائكة ليلة ولادته ﷺ .وقوله: "وفق ما في الأرض" أى مثل ما في الأرض في الانقضاض والسقوط. وقوله: "من صنم" بيان لها، والصنم: الوثن، وقيل: الصنم ما كان من حجر، والوثن ما كان من غيره كنحاس.

(٢) قوله: "حتى غدا" إلخ أى و لم تزل الشهب تنقض إلى أن غدا إلخ، وغدا: بمعنى صار، وقوله "عن طريق الوحى" طريق الوحى: هو السماء. والوحى: الكلام الخفى، والمنهزم: الهارب، وقوله: "من الشياطين" بيان لمنهزم، وقوله: "يقفو إثر منهزم" أى يتبع أثر هارب آخر. وحاصل المعنى: و لم تزل الشهب تنقض إلى أن صار هارب من الشياطين عن السماء التى هى طريق الوحى يتبع أثر هارب آخر، وَهَلُمَّ جَرًا.

(٣) قوله: "كأنهم هرباً" إلخ الضمير للشياطين.والأبطال: جمع بطل، وهو الشجاع القوى جداً. وأبرهة: بالصرف للضرورة الشعرية: ملك اليمن. والعسكر: الجيش، والحصى: حجارة صغيرة صلبة. والراحتان بطنا الكف. ورمى الحصى كان في غزوة بدر.

(٤) قوله: "نبذًا به" إلخ أى نبذًا ﷺ نبذاً إلخ، وقوله: "به" أى بالحصى، الحصى المرمى به سبح في كفيه ﷺ . وقوله: "نبذ المسبح من أحشاء ملتقم" أى كنبذ المسبح، الذي هو يونس عليه السلام، من أحشاء المتلقم له، والأحشاء: ما انضمت عليه الأضلاع، وقيل: الأمعاء. والملتقم له هو الحوت، قال الله تعالى: {فالتقمه الحوت وهو مُليم}.

(٥) قوله: "جاءت لدعوته الأشجار إلخ" أى أتت لطلبه الأشجار إلخ، وقوله: "ساجدة"، والمراد بالسجود هنا معناه اللغوى، وهو الخضوع، والساق: ما تحت الفروع من الشجرة، وقوله: "بلا قدم" صفة للساق، أو متعلق بتمشى، وأشار بذلك لما روى أن أعرابياً سأل النبي ﷺ آية، فقال له: قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك، فمالت عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها، حتى قطعت عروقها، ثم جاءت تجر عروقها في الأرض، فوقفت بين يديه، وقالت: السلام عليك يا رسول الله، قال الأعرابي: مُرها فلترجع إلى منبتها، فأمرها فرجعت، ودلت عروقها في منبتها فاستوت فيه.

كأنما سَطَرَتْ سطْراً لِما كتبَتْ ... فروعُها مِنْ بَديعِ الخَطِّ باللَّقمِ[1]

مِثْلَ الغَمامةِ أنَّى سارَ سائِرةٌ ... تَقِيه حَرَّ وَطيسٍ لِلهَجيرِ حَمِى[2]

أقْسَمْتُ بالقَمَرِ المُنْشَقِّ إنَّ لَهُ ... مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرورَةَ القَسَمِ[3]

وما حَوَى الغارُ مِنْ خَيْرٍ ومِنْ كَرَمٍ ... وكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الكُفَّارِ عَنْهُ عَمِى[4]

---

(١) المعنى: كأنما سطرت تلك الأشجار في حال مشيها سطراً للذى كتبته فروعها، وهو الخط البديع، أى الذي لم يعهد مثله، المرسوم في اللقم، اللقم: بفتح اللام والقاف: وسط الطريق لكونها مشت مشى استقامة.

(٢) قوله: "مثل الغمامة" إلخ أى هى مثل الغمامة: السحابة. وقوله: "أنى سار سائرة" أى في أى موضع سار هى سائرة، وقوله: "حر وطيس" أى حر الشمس الشبيهة بالوطيس في الحرارة، وقوله: "للهجير" أى عند الهجير، والهجير والهاجرة بمعنى واحد: وهو وسط النهار إذا كان حاراً. وقوله: "حمى" يصح جعله فعلاً ماضيا فتكون الجملة صفة لوطيس، أو في موضع الحال من الهجير، أى حال كونه قد حمى، ويصح جعله اسم فاعل بمعنى حام. وهذا البيت إشارة إلى ما روى من أنَّ أبا طالب خرج إلى الشام ومعه النبي ﷺ في أشياخ من قريش، إلى أن أشرفوا على بحيرى الراهب، وكان في صومعته، فنزلوا عنده وحطوا رحالهم، وكانوا يمرون به قبل ذلك فلا يخرج إليهم، وفي هذه المرة خرج إليهم، وجعل يتخللهم حتى جاء للنبي ﷺ فقال: هذا سيد العالمين هذا رسول الله الذي يبعثه رحمة للعالمين، فقال له أشياخ قريش: وما أعلمك بهذا؟ فقال: إنكم من حين أشرفتم من مكة والغمامة تظلله فوق رأسه.

(٣) قوله: "أقسمت بالقمر" إلخ أى أقسمت برب القمر إلخ، وقوله: "المنشق" أى الذي انشق آية له ﷺ لأن أهل مكة سألوه آية فأراهم انشقاق القمر فلقتين، فكانت فلقة فوق الجبل وفلقة دونه، فقال رسول الله ﷺ : "اشهدوا" فقال كفار قريش: قد سحرنا محمد، فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى يظهر هل رأوا مثل هذا، فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقاً، فقال كفار قريش: هذا سحر مستمر، فنزل قوله: تعالى: [اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر] والمراد بالنسبة: المناسبة والمشابهة في الانشقاق، وأما انشقاق قلبه الشريف فقد وقع أربع مرات، وقد جمعها بعضهم في قوله:

وشُقَّ صدرُ المصطفى وهو في ... دار بنى سعد بلا مرية

كشقِّه وهو ابن عشر ثم في ... ليلة معراج، وعند البعثة

وقوله: "مبرورة القسم" أى أن القسم عليها مبرور فيه، يقال بر في يمينه إذا صدق فيها.

(٤) الغار: ثقب في الجبل، وكان في جبل ثور بأسفل مكة، وقوله: "من خير ومن كرم" بيان لما حوى الغار، وكل منهما لكل من النبي ﷺ ومن أبي بكر، ويحتمل أن الأولَ للنبي ﷺ ، والثاني لأبي بكر، وعلى هذا فإنما خصه بالكرم لأنه آثر رسول الله ﷺ بنفسه وماله، ولذلك لما أتيا إلى الغار

فالصدقُ في الغارِ والصِّديقُ لَمْ يَرِمـــا ... وهُمْ يقولونَ ما بالغـــارِ مِـــن أرمِ[1]

ظَنُّوا الحمامَ وظَنُّوا العنكبُوتَ عَلَـــى ... خَيْرِ البَرِيَّةِ لَمْ تَنسُجْ ولَـــمْ تَحُـــمِ[2]

وِقايةُ اللهِ أغْنَـــتْ عَـــنْ مُضاعَفَـــةٍ ... مِن الدروعِ وَعَنْ عالٍ مِنَ الأُطُـــمِ[3]

ما ضامَنِي الدهْرُ يوماً واستَجَرْتُ بِـــه ... إلا ونلتُ جِواراً مِنهُ لَـــمْ يُضَـــمِ[4]

تقدم أبو بكر في الدخول لاحتمال أن يكون فيه ما يؤذى، فيتلقاه عن رســـول الله ﷺ وقولـــه: "وكل طرف" إلخ أى والحال أن كل طرف إلخ، فالواو للحال، والطرف بســـكون الـــراء هـــو البصر. قوله "عنه" أى عن ما حوى الغار، وقوله: "عمى" يحتمل جعله فعلاً، وجعله اسمـــاً وقـــد لبث النبي وأبو بكر في الغار ثلاث ليال، وجاء الكفار حوالى الغار ينظرون، فأعماهم الله تعـــالى عنهما.

(١) قوله: "فالصدق" إلخ أى فذو الصدق، أو يؤول الصدق بالصادق، وقوله "والصديـــق": أى في الغار، وقوله "لم يرما بكسر الراء" أى لم يبرحا، وأصله يرِمَا، حذفت منه الياء. وقولـــه "وهـــم يقولون" أى والحال أنهم يقولون إلخ، والضمير راجع للكفار. "ما بالغار مـــن أرم"، وأرم بفتـــح الهمزة وكسر الراء بمعنى أحد، أى ليس في الغار شيء.

(٢) قوله" ظنوا الحمام" إلخ هذا البيت كالتعليل لما قبله، كما علمت، وقوله "على خير البرية" البريـــة: الخلق، وخيرهم: محمد ﷺ وقوله "لم تنسج" بكسر السين وضمها راجع للعنكبوت، وقولـــه "ولم تحم" بضم الحاء راجع للحمام، وسبب ظنهم ذلك أن هذين الحيوانين متى أحسا بالإنسان فـــرا منه، ولم يعلموا أن الله تعالى يحفظ من شاء من عباده بما شاء من خلقه.

(٣) قوله "وقاية الله" إلخ أى حفظ الله لهما من الكفار أغناهما عن مضاعفة من الدروع بـــأن يلبـــس الشخص درعاً فوق درع للحفظ من العدو، أو أن تنسج الدرع حلقتين، وقوله "وعن عال مـــن الأطم" أى": وأغنت عن عال من الحصون.

(٤) قولـــه: "ما ضامني الدهر يوماً" إلخ أى ما ظلمني الدهر في يوم إلخ" ، وقوله "واستجرت بـــه" أى طلبت منه أن يجيرني من ذلك، قوله "إلا ونلت جواراً منه" أى إلا وأعطيت جواراً بكسر الجيـــم وضمها أى حمى وحفظاً، وقوله "لم يُضم" بالبناء للمجهول أى لم يحتقر، بل يحترم.

ولا الْتَمَسْتُ غِنَى الدارَيْنِ مِنْ يَـــدِهِ ... إلاَ استَلَمْتَ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ[1]

لا تُنْكِرِ الوَحْيَ مِنْ رؤْيـــاهُ؛ إنَّ لَـــهُ ... قَلْباً إذا نامَتِ العَيْنـــانِ لَـــمْ يَنَـــمِ[2]

وَذاكَ حِـينَ بُلـوغٍ مِـنْ نُبُوَّتِـــهِ ... فَلَيْسَ يُنْكَرُ فيـــه حـــالُ مُحْتَلِـــمِ[3]

تَبارَكَ اللهُ مـــا وَحْـــيٌ بِمُكْتَسَـــبٍ ... ولا نَبِـــيٌّ عَلَـــى غَيْـــبٍ بِمُتَّـــهَمِ[4]

---

(١) "ولا التمست" : الالتماس: الطلب بخضوع وذلة. وقولـه "غـنى الداريـن" أى دارى الدنيـا والآخرة، والغنى في الأولى بالكفاية، وفي الثانية بالسلامة من العذاب. وقوله "من يده" أى مـن نعمته ﷺ ، وقوله "إلا استلمت" أى إلا أخذت، وقوله "الندى" بفتح النون مع القصر هو العطـاء والكرم، وقوله "من خير مستلم" بفتح اللام، أى من خير مستلَمٍ منه، وإنما كان ﷺ خير مسـتلم منه لأنه لا يردّ سائله.

(٢) أى لا تنكر الوحى حال كونه مبتدأ من رؤياه في النوم؛ فإن بدء الوحى كان بالرؤيا الصالحـة في النوم، وكان ﷺ لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. وقولهﷺ "إن له قلبا" إلخ تعليل لما قبلـه، أى إن له ﷺ قلباً له اليقظة الدائمة، وقد ورد في الصحيحين: "إن عينى تنامان ولا ينام قلبى".

(٣) قولـه: "وذاك": اسم الإشارة راجع للوحى من رؤياه في النوم، وقوله" حين بلوغ من نبوتـه" أى حين وصول إلى نبوته. والمراد بحال المحتلم: الوحى من رؤياه في النوم؛ لأن المحتلم هو النـائم، وحاله: ما يراه في نومه، والحاصل أن ذلك إنما كان في ابتداء النبوة وقد نُبِّئ على رأس أربعـين سنة، وذلك حدّ مبدأ النبوة.

(٤) تبارك الله: تنزه الله وتعالى وارتفع عما يقوله الكافرون علوا كبيرا، وقوله: "ما وحى بمكتسـب" أى ليس وحى، وإن قلّ، بمكتسب لأحد بسعيه فيه، فالذي عليه أهل الحـق أن الوحـى ليـس مكتسباً، قال تعالى: {الله أعلم حيث يجعلُ رسالته} وقوله: "ولا نبى على غيب بمتـهم" أى ولا نبى من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكذب، كسائر المعاصي، ولا يـرد قولـه تعالى: [ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر]، وقولـه تعالى: [ووضعنـا عنـك وزرك]، ونحو ذلك؛ لأن ما يقع منهم من باب "حسنات الأبرار سيئات المقربين"، وفي ذلك إشـارة إلى قوله تعالى: [وما هو على الغيب بضنين] أى بمتهم، وإلى قوله تعالى: [وما ينطق عن الهـوى* إن هو إلا وحى يوحى] والحاصل: أن الأنبياء معصومون من الكبائر وصغائر الخسة بإجماع، فأمـا قصة آدم، وهي أنه أكل من الشجرة، وقد نهاه الله عنها، فمحمولة على أنه تأول النهى، مع أنـه وإن كان منهياً ظاهراً هو مأمور باطناً لحكمة يعلمها الله تعالى، وأما قول إبراهيم عليه وعلى نبينـا أفضل الصلاة وأتم السلام "هذا ربي" فقد ذكره مجاراة لهم، أى هذا ربي بزعمكـم، وأمـا هَـمُّ

كَمْ أبرأتْ وَصباً بـــاللَّمْس راحَتُـــهُ وأطْلقَتْ أرِباً مِـــنْ رَبْقَـــةِ اللَّمَـــمِ[1]

وأحْيَتْ السَّـــنَةَ الشَّـــهْباءَ دَعْوَتُـــهُ حَتى حَكَتْ غُرَّةً في الأعْصُرِ الدُّهُـــمِ[2]

بعارِضٍ جادَ أوْ خِلْتُ البِطـــاحَ بِـــها سَيْبًا مِنَ اليمِّ أوْ سَيْلاً مِنَ الْعَـــرِمِ[3]

دَعْنِي ووَصْفِيَ آياتٍ لَـــهُ ظَـــهَرَتْ ظُهورَ نَارِ القِرَى لَيْلاً علـــى عَلَـــمِ[4]

يوسف بزليخا فهو أمر جبلي لا اختياري حتى يكون مذموماً، والرغبة في النســـاء محمـــودة، إذ عدمها يدل على العُنة،وهي نقيصة، ولما هم يوسف بمقتضى الجبلة امتنع لكونه رأى برهان ربـــه، {وهم بها لولا أن رأى برهان ربه}، وأما قصة داود عليه الصلاة والسلام- وهي أنه خطر ببالـــه أنه إن مات وزيره في الحرب تزوج بزوجته، لما علم من حسنها، فلا ترد أيضا لأن ما وقع منـــه ليس معصية، لكنه غير لائق بمقامه، ولذلك عوتب عليه، وبكى حتى نبت العشب من دموعه.

(١) قوله: "كم أبرأت" إلخ أي كثيراً من المرات أبرأت إلخ، وقوله "وصبا" بكسر الصاد: أي مريضـــاً وقوله: باللمس" أي بسبب اللمس، وأشار بذلك إلى ما روى من أن عين قتادة أصيبـــت يـــوم أحد، ووقعت على وجنته، فأتى رسول الله ﷺ وقال له: إن لي امرأة أحبها، وأخشى أنها إن رأتني على هذه الحالة قذرتني، وارتفع حي من قلبها، فأخذ النبي ﷺ عينه بيده، وردهـــا إلى موضعـــها وقال: اللهم أكسبها جمالاً، فكانت أحسن عينيه، وقوله "وأطلقت" أي وحلت راحتـــه، وقولـــه "أربا" بفتح الهمزة وكسر الراء بوزن فرحا، أي ذا أرب وحاجة. وقوله "من ربقة اللمم" أي مـــن عقدة الجنون، ويصح تفسيره بالذنوب والمعاصي، وأشار بذلك إلى ما روى من أن امرأة أتـــت للنبي ﷺ بابن لها به جنون، فمسح بيده المباركة صدره، فنفَّ ثعة: أي قاء قيئة، فخرج من جوفـــه مثل الجرو الأسود، وبرئ لوقته.

(٢) قوله: "وأحيت السنة الشبهاء" إلخ أي وأخصبت السنة الشهباء إلخ، والشـــهباء قليلـــة المطـــر، "دعوته" أي دعاؤه بالسقيا. حكت: أشبهت، وغرة كل شيء: أحسنه، والأعصر: جمع عصـــر، وهو الزمن، والدهم بضم الدال والهاء: جمع أدهم، وهو الأسود، وأشـــار بذلـــك إلى مـــا رواه الشيخان عن أنس "أن رجلاً دخل المسجد يوم جمعة ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فقـــال: يـــا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغثنا، فرفع رسول الله ﷺ يديـــه، وقـــال: اللهم أغثنا (ثلاثاً) وما نرى في السماء من سحاب ولا قزعه، فطلعت سحابة ثم أمطرت، والله مـــا رأينا الشمس سبتاً (أي أسبوعاً).

(٣) قوله: "بعارض" أي أحيت السنة الشهباء دعوته بعارض، والمراد بالعارض الســـحاب. وقولـــه "جاد" أي جاد بالمطر الكثير، وقوله "أو خلت" أي أو ظننت، وأو بمعنى إلى: "البطـــاح" جمـــع أبطح: وهو الوادي المتسع الذي فيه دقاق الحصى، و"السيب" الجرى، واليم": البحر، والعـــرم: جمع عرمة بسكون وكسر الراء في الأصل: اسم لما يمسك الماء من بناء وغيره، وهو أيضا اســـم لـــواد، فالشاعر يتشكك في الماء الكثير الكائن على سطح الأرض، هل هو سيب من البحر أو سيل مـــن السد الذي تحطم.

(٤) أي اتركني وذكرى آيات، والمراد بالآيات المعجزات الدالة على نبوته ﷺ ، وقوله "له" أي آيـــات

فالدُّرُّ يَزدادُ حُسْناً وهْوَ مُنتَظِمٌ ... وليسَ يَنْقُصُ قَدْراً غيرَ مُنتَظِمِ[1]

فما تَطاوُلُ آمالِ المديحِ إلى ... ما فيهِ مِنْ كَرَمِ الأخلاقِ والشِّيَمِ[2]

آياتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمنِ مُحْدَثَةٌ ... قديمةٌ صِفَةُ الموصوفِ بالقِدَمِ[3]

لم تَقْتَرِنْ بِزَمانٍ وهيَ تُخْبِرُنا ... عَنِ المَعادِ وعن عادٍ وعن إرَمِ[4]

كائنة له ﷺ. ظهور نار القرى: أى ظهرت ظهوراً مثل ظهور نار القرى بكسر القاف الذي هو الضيافة. وقوله "على علم" أى على جبل، وقد جرت عادة الكرام من العرب بإيقاد تلك النار على الجبل، ليهتدى الضيفان إلى منازلهم.

(١) "فالدر" وهو اللؤلؤ يزداد حسناً والحال أنه منتظم في السلك لترتيبه وتنزيله في المنازل المتناسبة، وليس ينقص قدراً حال كونه غير منتظم؛ لأن حسنه ذاتى له.

(٢) قوله: "فما تطاول" إلخ "ما" نافية، والتطاول في الأصل مد العنق، والآمال جمع أمل، وهو الرجاء ،والمديح هو الثناء الحسن، وقوله "إلى ما فيه" أى إلى استقصاء ما فيه ﷺ ، والأخلاق جمع خلق بضمتين، وهو الطبيعة، والشيم: جمع شيمة، وهى الخلق بضمتين.

(٣) قوله: "آيات حق" أى من معجزاته ﷺ آيات حق، أى آيات موصوفة بأنها حق، هى القرآن وقوله "من الرحمن" أى من عند الرحمن لا من عند محمد، كما زعمه كفار قريش. وقوله محدثة أى أحدثها الله تعالى، قال تعالى: [وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين] وقوله "قديمة" استشكل بأنه ينافي قوله محدثة، وأجيب بأنها محدثة باعتبار الألفاظ، قديمة باعتبار المعاني، وبهذا كله ظهر قوله "صفة الموصوف بالقدم" فليس المراد أن الألفاظ التى نقرؤها صفة للموصوف بالقدم، الذي هو الله تعالى، لأنها حادثة بل المراد أن معناها صفة له تعالى.

(٤) "لم تقترن بزمان" أى لأنها قديمة من حيث معناها، والزمان حادث، وقوله و"هى" أى هذه الآيات، وقوله "تخبرنا عن المعاد" أى عن عَوْد الخلق بعد انعدامهم، وقوله و"عن عاد" أى وتخبرنا عن قبيلة عاد، التى بُعث إليها هود عليه الصلاة والسلام، ويقال لهم أيضا: إرم، تسمية باسم جدهم إرم، وقيل إن إرم اسم أرضهم وبلدتهم، وقيل: إنها مدينة بناها شداد بن عاد لبنة من فضة وأخرى من ذهب، في صحن عدن، وجعل فيها أنهاراً مطردة ، وأصنافاً من الشجر، وأتم بناءها في ثلثمائة سنة، وعند كمالها ارتحل إليها بأهل مملكته، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة، بعث الله عليهم صيحة من السماء، فأهلكتهم. وقوله "وعن إرم" بكسر الهمزة تسمى عاداً الأخرى.

دامَتْ لَدَيْنا ففاقتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ ... مِنَ النبِيِّينَ إذْ جاءتْ ولَمْ تَدُمِ[1]

مُحْكَمَاتٌ فما تُبْقِينَ مِنْ شُبَهٍ ... لِذِي شِقاقٍ وما تَبْغِينَ مِنْ حَكَمِ[2]

ما حُوربتْ قَطُّ إلّا عادَ مِنْ حَرَبٍ ... أعْدَى الأعادِي إليها مُلْقِيَ السَّلَمِ[3]

رَدَّتْ بلاغَتُها دَعْوَى مُعارِضِها ... رَدَّ الغَيورِ يَدَ الجانِي عَنِ الحُرَمِ[4]

لها مَعَانٍ كَمَوْجِ البَحْرِ في مَدَدٍ ... وفَوْقَ جَوْهَرِهِ في الحُسْنِ والقِيَمِ[5]

---

(١) "دامت لدينا" أى الآيات استمرت عندنا، فتسبب عن ذلك أنها فاقت كل معجزة صادرة من النبيين غير نبينا ﷺ . "إذا جاءت و لم تدم" أى إذ جاءت عنهم و لم تستمر، بل لم تظهر على أيديهم إلا مرة واحدة، وذلك حين التحدى، ثم لم تظهر بعد ذلك، وإليه أشار ﷺ بقوله "ما من نبى من الأنبياء إلا وقد أوتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً يتلى"، فشريعته باقية إلى يوم الدين، فناسب أن تكون معجزته كذلك.

(٢) "محكمات" أى والآيات المذكورة محكمات، ومعنى محكمات: متقنات النظم في البلاغة والفصاحة، أو أن معنى محكمات : ذوات حكمة. وقوله "فما تبقين من شبه لذى شقاق" أى فما تترك تلك الآيات المحكمات شبها لصاحب شقاق، وهو الكافر، لأنه مشاق الدين، والشبه: جمع شبهة، وهي ما يظن دليلاً وليست بدليل. "وما تبغين من حكم" بفتح التاء أى ولا تطلبن حكماً، يعنى حاكماً يحكم على ذلك المخالف للحق بأنه على خلاف الصواب لظهور براهينها عليه. و"ما" نافية في الموضعين.

(٣) "ما حوربت" إلخ أى ما حورب الآتى بها- وهو النبى ﷺ في الزمن الماضي- إلا كان النبي ﷺ هو الغالب، ورجع أشد الأعادى عداوة إليه ملقى السلاح، وسلّم له ﷺ إما بدخوله في الإسلام، وإما بتركه المحاربة من أجل شدة بلاغتها. ويحتمل أن المراد بالمحاربة المعارضة، و"من" فيه بمعنى من أجل. وحقيقة الحرب بفتحتين: سلب المال، لكن المراد به هنا الشدة أى: شدة بلاغتها. " أعدى الأعادى" أشد الأعادى عداوة، ومعنى السلم بفتحتين: السلاح.

(٤) "ردت بلاغتها" أبطلت بلاغتها دعوى معارضها، كما وقع لمسيلمة الكذاب، حيث عارض - لعنه الله- القرآن لما ادعى النبوة، وأراد أن يأتى بقرآن يشبه القرآن، فقال في معارضة سورة النازعات: "والطاحنات طحنا، والعاجنات عجنا، والخابزات خبزا". قوله "رد الغيور" أى ردا مثل رد الشخص الغيور الذي هو شديد الغيرة على النساء، والحرم بضم الحاء وفتح الراء: جمع حرمة، كامرأته وأخته وغيرهما. وظاهر كلام المصنف إن إعجاز القرآن للبشر عن الإتيان بمثله بسبب ما اشتمل عليه من البلاغة التى لم يصلوا إليها، وعلى ذلك فالقرآن ليس من جنس مقدورهم، وهو قول الجمهور.

(٥) "لها معان إلخ" أى لتلك الآيات معان كثيرة لا نهاية لها. "كموج البحر في مدد" أى مثل موج البحر في كونه يمد بعضه بعضاً، إذ ما من موجة إلا وبعدها موجة، وأشار بذلك إلى قول بعضهم: أقل ما قيل في العلوم التى في القرآن من ظواهر المعاني المجموعة فيه أربعة وعشرون ألف

فلا تُعَدُّ ولا تُحْصَـــى عَجائِبُـــها ولا تُسامُ على الإكْثارِ بالسَّـــأمِ[1]

قَرَّتْ بِها عَيْنُ قاريها فَقُلْـــتُ لَـــهُ لَقَدْ ظَفَرْتَ بِحَبْلِ اللهِ فـــاعْتَصِمِ[2]

إنْ تَتْلُها خِيفَةً مِنْ حَرِّ نارِ لَظَـــى أطْفأتَ نارَ لَظَى مِنْ وِرْدِها الشَّـبِـمِ[3]

كأنَّها الحَوْضُ تُبيضُّ الوُجوهُ بِـــهِ مِن العُصَاةِ وَقَدْ جَاءوهُ كَالْحُمَمِ[4]

علم، وثمانمائة علم، وما حُكي عن بعضهم من أنه قال: لكل آية ستون ألف فهم، وما بقي مـــن فهمها أكثر. وقوله "وفوق جوهره في الحسن والقيم" أي ولها معان فوق الجوهر المستخرج مـــن البحر في حسنها البديع، وفي قدرها وشرفها، والقيم: بكسر القاف وفتح الياء جمع قيمة والمـــراد بها هنا ما لها من القدر والشرف مجازاً.

(١) "عجائبها" أي معانيها العجيبة، جمع عجيبة، وهي الشيء العديم النظير أو قليلـــه، وقولـــه" ولا تسام" أي لا توصف، وقوله "على الإكثار" أي مع الإكثار منها الذي لا غاية له، وقوله "بالسأم" أي الملل. وحاصل المعنى أنه إذا كان لها معان كموج البحر في الكثرة الـــتي لا غايـــة لهـــا، ولا توصف بالملل مع الإكثار منها لحسنها، فغيرها من الكلام ولو بلغ الغاية فيما يليق به من الحســـن والبلاغة يوصف بالملل مع الإكثار منه خلاف آيات القرآن.

(٢) "قرت بها" أي سكنت واطمأنت بتلك الآيات عين قارئها لحصول السرور لها، فإن عين الحزيـــن تكون مضطربة، وعين المسرور تكون ساكنة، وقيل من القر بضم القاف وهو الـــبرد، والمعـــنى: بردت بدمعة الفرح، ولم تسخن بدمعة الحزن عين قارئها. وقوله "لقد ظفرت بحبل الله فـــاعتصم" أي والله لقد فزت بما يوصلك إلى الله، فامتنع ببركة قراءته من عذاب الله، أو امتنع باتباع أوامـــره واجتناب نواهيه من الوقوع في المخالفة المؤدية إلى عقاب الله تعالى.

(٣) قولـــه "إن تتلها" إلخ أي إن تقرأها إلخ، وقوله: "خيفة" أي خوفاً، وقوله "من حر نار لظـــى" أي التي هي جهنم، وقولـــه "من وردها": الورد بمعنى المورد، وهو المحل الذي يورد منه الماء، وقولـــه "الشبم" بفتح الشين وكسر الموحدة: أي البارد، فالماء يطفيء حرارة العطش، والآيات تطفـــيء حرارة نار جهنم أعاذنا الله منها بمنه وكرمه.

(٤) قولـــه: "كأنها الحوض" إلخ أي كان الآيات المذكورة ماء الحوض، وقولـــه "الوجـــوه" أي ذوو الوجوه، وقولـــه"به" أي بالحوض، وقوله "من العصاة" أي حال كونهم بعض العصـــاة، فمـــن للتبعيض. وقوله"وقد جاءوه" والضمير الفاعل راجع للعصاة، والضمير المفعول راجع للحـــوض. وقوله"كالحمم" أي حال كونهم كالحمم، فالحمم جمع حمة بمعنى فحمة، ووجه تشبيهها بـــالحوض المذكور أن الآيات تشفع في تاليها وقد جاء مسود الوجه من المعاصي، فبيض وجهه بشـــفاعتها، كما أن الحوض تبيض به وجوه العصاة حين يصب عليهم منه بعد مجيئهم من النار كـــالفحم في السواد الذي أصابهم من النار، فيعودون بيضاً كالقراطيس، ثم يدخلون الجنة.

وكالصِّراطِ وكالميزانِ مَعْدِلَةً ... فَالقِسْطُ مِنْ غيرِها في الناسِ لَمْ يَقُمِ[1]

لا تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُها ... تجاهُلاً وَهْوَ عَيْنُ الحاذِقِ الفَهِمِ[2]

قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضوءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ ... ويُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ الماءِ مِنْ سَقَمِ[3]

يا خيرَ مَنْ يَمَّمَ العافونَ ساحَتَهُ ... سَعْياً وفَوْقَ مُتونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ[4]

ومَنْ هُوَ الآيَةُ الكُبْرى لِمُعْتَبِرٍ ... ومَنْ هو النعمةُ العُظمى لمغتنمِ[5]

---

(١) قوله"وكالصراط" إلخ أى وهذه الآيات كالصراط استقامة. والمراد بالصراط: الدين الذي لا اعوجاج فيه، أو المراد به الجسر الممدود على متن جهنم. وقوله"وكالميزان معدلة" أى وكالميزان من جهة العدل، فمعدلة بمعنى عدلاً، هو الميزان الذي يكون في يوم القيامة. وقوله "فالقسط من غيرها في الناس لم يقم" أى فالقسط بكسر القاف الذي هو العدل المأخوذ من غير هذه الآيات لم يقم في الناس.

(٢) قوله "لا تعجبن" أى لا ينبغى العجب؛ لأنه إذا ظهر السبب بطل العجب، وها هنا قد ظهر السبب وهو الحسد. وقوله"راح ينكرها" أى ذهب ينكر كونها من عند الله، وقوله "تجاهلاً" أى حال كونه متجاهلاً، أى مظهراً للجهل. وقوله "وهو عين الحاذق الفهم" أى والحال أنه عين الحاذق أى الماهر، الفهم: بفتح الفاء وكسر الهاء: أى الشديد الفهم، وحينئذ فإنكارها عناد دعاه إليه الحسد.

(٣) لما ادعى أن إنكارها للحسد مع كونها متصفة بالمعجزات المذكورة، أثبت ذلك بأمرين محسوسين: الأول إنكار العين ضوء الشمس من أجل الرمد القائم بها، والثاني إنكار الفم طعم الماء من أجل السقم القائم به، فكذلك إنكار الآيات من أجل الحسد القائم بالمنكر.

(٤) "يا خير من يمم" إلخ أى يا خير كريم قصد العافون، وهم الطالبون للمعروف بساحته، والعافون: جمع عاف، وهو طالب المعروف والساحة: حريم الدار الواسع، وسعياً: بمعنى ساعين. والمتون: جمع متن وهو الظهر، والأينق: جمع ناقة، وأصله أنوق قدمت الواو على النون فصار أونق، ثم قلبوها ياء فصار أينق. والرسم: بضم الراء المشددة وضم السين جمع رسوم، وهى الناقة التى تؤثر في الأرض من شدة الوطء عليها.

(٥) قوله"ومن هو" إلخ أى ويا من هو إلخ، ف"من" هنا واقعة عليه ﷺ وحده. وقوله "الآية الكبرى لمعتبر" أى الآية الكبرى التى هى أكبر الآيات لمتأمل ومتفكر، أى الدليل الأعظم على أن ما جاء به حق. وقوله "ومن هو" إلخ أى ويا من هو إلخ، وقوله "النعمة العظمى لمغتنم" أى النعمة العظمى التى هى أعظم النعم للمريد أن يغتنم ما عند الله من السعادة الأبدية، قال تعالى: [وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين].

سريت مـــن حـــرم ليـــلا إلى حـــرم كما سرى البـــدر في داج مـــن الظلـــم[1]

وبـــت ترقـــى إلى أن نلـــت منزلـــة من قاب قوسين لـــم تـــدرك ولـــم تـــرم[2]

وقدمتـــك جميـــع الأنبيـــاء بـــها والرسل تقـــديم مخـــدوم علـــى خـــدم[3]

وأنت تخترق الســـبع الطبـــاق بـــهم في موكب كنت فيـــه صـــاحب العلـــم[4]

---

(١) قولـــه"سريت" إلخ كأنه قال: ومن معجزاتك أنك سريت إلخ، سريت: سرت ليلا. وقوله "مـــن حرم" أى حرم مكة. وقوله "ليلا" أى في ليل، وإنما خص الليل بذلك دون النهار؛ لأنـــه وقـــت تفريغ البال، وقطع العلائق، وقيل: لأن الله تعالى لما محا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة انكســـر خاطر الليل، فجبر بأن أسرى فيه بمحمد ﷺ . وقوله إلى حرم" أى حرم بيت المقـــدس، وقولـــه "كما سرى البدر" أى مثل سير البدر الذي هو القمر ليلة كمال، وهـــى ليلـــة أربعـــة عشـــر، والداجى: اسم لليل المظلم، يقال دجا الليل، أى أظلم، فهو داج، أى مظلم، فقوله "من الظلـــم" تكملة أى من ذى الظلم، جمع ظلمة، وفي هذا البيت إشارة إلى قصة الإسراء، وقد ذكرهـــا الله تعالى بقوله: [سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذي باركنـــا حوله].

(٢) أى وبعد وصولك إلى بيت المقدس بت ترقى أى تصعد، فإنه ﷺ نصب له معراج له مرقاة فصعد عليها إلى سماء الدنيا، فلما جاوز السماء الأولى دليت المرقاة فصعد عليها إلى الســـماء الثانيـــة، وهكذا إلى السماء السابعة، ثم إلى الكرسى، ثم إلى سدرة المنتهى ثم إلى مستوى سمع فيه صريـــف الأقلام، ثم دلى له الرفرف، وهو سحابة خضراء فصعد عليها إلى ما شاء الله تعالى. وقولـــه: "إلى أن نلت منـــزلة" أى"إلى أن أعطيت مرتبة في القرب". وقوله "من قاب قوسين"، والأصل مـــن قابى قوس؛ لأن كل قوس له قابان، وبينهما شيء قليل جدا، فبينهما غاية القرب، فكذلك بينـــه ﷺ وبين الله، فبينهما غاية القرب، لكن المراد هنا القرب المعنوى. وقوله" لم تدرك" أى لم يدركـــها غيرك، وقوله "ولم ترم" أى لم يرمها غيرك، ولم يطلبها للعلم بأنها ليست إلا لك، وفي هذا البيـــت إشارة إلى قصة المعراج، وقد ذكرها الله تعالى بقوله: [ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى].

(٣) قولـــه"بها" أى بتلك المنـــزلة، وقوله و"الرسل" أى وجميع الرسل، وقوله "تقديم" مخدوم علـــى خدم" أى تقديما مثل تقديم مخدوم على خدم.

(٤) قوله: "وأنت تخترق" بمعنى تقطع السموات السبع الطباق، أى التى هى طبقة فوق طبقة. وقولـــه "بهم" أى حال كونك مارا بالأنبياء، ففى حديث الإسراء في صحيح مسلم "أنه مر في الســـماء الدنيا بآدم، وفي الثانية بعيسى ويحيى، وفي الثالثة بيوسف، وفي الرابعة بـــإدريس، وفي الخامســـة بهارون، وفي السادسة بموسى، وفي السابعة بإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وقولـــه "في موكب" : الموكب: الجمع العظيم المتلبس بهيئة عظيمة، وقد كان معه ﷺ جـــبريل، وجملـــة "كنت فيه صاحب العلم": أى كنت فيه المشار إليه؛ لأن العلم الرمح في رأسه راية، ومن شـــأن صاحبه أن يشار إليه، وكان جبريل يستفتح في كل سماء فيقال له: ومن معك؟ فيقول : محمد.

حَتَّى إذا لم تَدَعْ شَأواً لِمُستَبِقٍ ... مِنَ الدُّنُوِّ ولا مَرْقًى لِمُسْتَنِمِ (١)

خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بالإضافةِ إذْ ... نُودِيتَ بالرَّفْعِ مِثْلَ المُفْرَدِ العَلَمِ (٢)

كَيْما تَفُوزَ بِوَصْلٍ أيَّ مُسْتَتِرٍ ... عَنِ العُيُونِ وَسِرٍّ أيَّ مُكْتَتَمِ (٣)

فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ ... وجُزْتَ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ (٤)

وجَلَّ مِقْدارُ ما وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ ... وعَزَّ إدْراكُ ما أُولِيتَ مِنْ نِعَمِ (٥)

---

(١) قوله" لم تدع شأواً لمستبق" أى لم تترك غاية لطالب سبق، و"شأوا" أى غاية، والمستبق:طالب السبق. "من الدنو" أى من القرب. وقوله "ولا مرقى لمستنم" المرقى: محل الرقى، وهو الدرجة، والمستنم: طالب الرفعة وهو الساعى ليرتفع.

(٢) قوله: "خفضت كل مقام" أى خفضت كل رتبة لغيرك، وقوله "بالإضافة" أى بالنسبة إلى مقامك لا مطلقاً، وإلا فالأنبياء كلهم متصفون بالكمال، لكنه ﷺ أكمل؛ فمقام غيره منخفض بالنسبة لمقامه المرتفع عن مقام كل مخلوق، وإياك أن تعتقد أن غيره ﷺ من الأنبياء ليس متصفاً بالكمال؛ لأن ذلك كفر. وقوله "إذ نوديت بالرفع" أى لأنك نوديت من قبل الله تعالى نداءً مصحوباً برفع شأنك إلى ما لم يصله أحد غيرك. قوله: "مثل المفرد العلم" فكما أن المفرد العلم خُص بكونه نودى نداء مصحوبا بالرفع من بين أقسام المنادى، فإن ما عداه منها منصوب، كذلك ﷺ خُص بكونه نودى مصحوباً بالرفع من بين سائر الأنبياء، والمراد بالمفرد العلم: المعرفة.

(٣) قوله: "كيما تفوز" فالمعنى فعلتَ ذلك لأجل أن تفوز إلخ. وقوله "أى مستتر عن العيون": أى وصل كامل في الاستتار عن العيون. وقوله "وسرٍّ أىَّ مكتتم": أى سر كامل في الاكتتام عن الخلق، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: [فأوحى إلى عبده ما أوحى]، كما يدل على ذلك حديث عائشة- رضي الله عنها- حيث قالت: يا رسول الله ما الذي أوحى إليك ربك إذا قال فأوحى إلى عبده ما أوحى؟ قال: يا عائشة أتريدين أن تعلمى ما لا يعلمه جبريل ولا ميكائيل ولا نبي مرسل ولا ملك مقرب؟! (إلى آخر الحديث).

(٤) قوله"فحزت" الحيازة: الجمع، فمعنى حزت جمعت، والفخار: هو ما يُفتخر به من الفضائل، وقوله "غير مشترك" أى بينك وبين غيرك، بل هو مختص بك، وقوله "وجزتَ": أى عبرت وتجاوزت، وقوله "كل مقام": المقام: الرتبة، وقوله "غير مزدحم" بفتح الحاء أى غير مزدحم فيه لعدم الواصلين إليه.

(٥) قوله:وجل" إلخ أى عظم، وقوله "ما وليت" بالبناء للمفعول أى ما ولاك الله. والرتب: المناصب الشريفة. وقوله"وعز": أى امتنع ذلك، فلا يحصل لأحد غيرك. وقوله "ما أوليتَ" بالبناء للمفعول، أى ما أولاك مولاك أى أنعم عليك.

بُشْرَى لنـــا مَعْشَـــرَ الإسْـــلامِ إنَّ لنـــا ... منَ العِنَايَـــةِ رُكْنـــاً غَـــيْرَ مُنْـــهَدِمِ[1]

لَمَّـــا دَعَـــا اللهُ داعينـــــا لطاعَتِـــــهِ ... بِأكرَمِ الرُّسْلِ كُنَّـــا أكْـــرَمَ الأمَـــمِ[2]

راعتْ قلـــــوبَ العِـــدا أنبـــاءُ بَعْثَتِـــهِ ... كَنَبْئَةٍ أجْفَلَـــتْ غُفْـــلاً مِـــنَ الغَنَـــمِ[3]

مـــا زالَ يَلقـــاهُمُ في كُـــلِّ مُعْـــتَرَكٍ ... حَتَّى حَكَوا بالقَنا لَحْمًـــا علـــى وَضَـــمِ[4]

وَدُّوا الفَـــرارَ فكـــادوا يَغْبِطُـــونَ بِـــهِ ... أشْلاءَ شـــالتْ مَـــعَ العِقْبـــانِ والرَّخَـــمِ[5]

---

(١) قوله: "بشرى لنا" إلخ أى هذه المناقب بشرى لنا إلخ. وقوله "إن لنا من العناية ركناً غير منـهدم" أى إن لنا جميع المسلمين من أجل العناية بنا في الأزل شريعة غير متغيرة بالنسخ. أماتنا الله علـى سنته، واتباع ملته بمنه وفضله ورحمته.

(٢) قولـــه: "لما دعا الله" إلخ أى لما سمّى الله، وفي التنـزيل [كنتم خير أمة أخرجت للنـاس] (آل عمران: ١١٠)، والمعنى عليه: لما دعانا الله وهو داعينا لطاعته بواسطة أكرم الرسل، كنا أكـرم الأمم، والأول أقرب كما لا يخفى.

(٣) قولـه "راعت" إلخ أى أفزعت"، وقلوب: أى أصحاب قلوب، والعدا: بالكسر والقصر جمـع عدو، والمراد بهم الكفار، والمراد بأنباء بعثته: أخبارها التى صدرت من الكهان والأحبار وغيرهم، كقولهم: إنه سيظهر دين يغلب كل دين. وقوله "كنبئة" أى مثل نبئة أى زأرة الأسـد، وجملـة أجفلت: أى أفزعت صفة لنبئة، وغفلا: جمع غافل.

(٤) قولـه "ما زال" إلخ لم ينفك ﷺ عن كونه يلقاهم بنفسه تارة، وبخيله ورجله أخـرى، في كـل معترك وقع بينه ﷺ وبينهم، والمعترك بفتح الراء: محل الاعتراك أى الازدحام للحـرب. وقولـه "حكوا" شابهوا، وقوله "بالقنا" أى بطعن القنا، والقنا: جمع قناة وهى الرمح، والوضم بالضـاد المعجمة: ما يضع القصاب اللحم عليه، مُعَدًّا لمن يأخذه وهو المسمى بالطبلية، وقيل: إنه الحديـد الذي يغرز فيه اللحم حين يشوى ليؤكل.

(٥) قولـه:ودوا الفرار" إلخ أى تمنوا الهرب منه ﷺ ، وقوله "فكادوا يغبطون به أشلاء، شالت مـع العقبان والرخم" أى فلتمنيهم ذلك قربوا من أن يغبطوا بذلك الفرار، أشلاء: أى أعضاء شـالت أى ارتفعت حال كونها مع العقبان. العقبان: جمع عقاب، وهو نوع من الطير، ومع الرخم جمـع رخمة، وهى نوع من الطير أيضا، وإنما خص هذين النوعين لعظـم ارتفاعـهما دون غيرهـما: والغبطة: هى تمنى الشخص أن يحصل له مثل ما حصل لغيره. وأشلاء: جمع شلو بكسر الشـين وسكون اللام وهو العضو من اللحم.

تَمْضِي الليـــالى ولا يـدرون عدتَّـها ... ما لَم تَكُنْ مِـنْ لَيـالِي الأشْـهُرِ الحُـرُمِ[1]

كأنما الدِّينُ ضَيْـفٌ حَـلَّ سـاحَتَهُمْ ... بكُلِّ قَـرْمٍ إلى لَحْـمِ العِـدا قَـرِمِ[2]

يَجُرُّ بَحْـرَ خَميـسٍ فَـوْقَ سـابِحَةٍ ... يَرْمِي بِمَوْجٍ مِـنَ الأبطـال مُلْتَطِـمِ[3]

مِـنْ كُـلِّ مُنْتَـدِبٍ للهِ مُحْتَسِـبٍ ... يَسْطُو بِمُسْتأصِلٍ للكُفْـرِ مُصْطَلِـمِ[4]

حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الإسْلام وهْـيَ بِـهِمْ ... مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِـها موصولَـةَ الرَّحِـمِ[5]

مَكْفولَـةً أبـداً مِنْـهُمْ بِخَـيْرِ أبٍ ... وخَيْرِ بَعْلٍ فَلَـمْ تَيْتَـمْ ولَـمْ تَئِـمِ[6]

---

(١) قولـه"تمضى الليالى" إلخ أى تمر عليهم الليالى بأيامها، والحال أنهم لا يعلمون عددها من شدة ما دخل في قلوبهم من الفزع، وقوله "ما لم تكن من ليالى الأشهر الحرم" أى ما لم تكن تلك الليـالى من ليالى الأشهر الحرم التى هى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، لإمساك النبى والمؤمنين عـن جهادهم في الأشهر الحرم.

(٢) قولـه"كأنما الدين" إلخ أى كأنما دين الإسلام ضيف حل ونزل ساحة الكفار، وقولـه "بكـل قرم" بفتح القاف، وسكون الراء: أى مع كل شجاع، وقوله إلى لحم العدا قرم، بفتـح القـاف وكسر الراء: أى شديد الشهوة إلى لحم العدا للمسلمين.

(٣) قولـه "يجر" إلخ أى يستتبع هذا القرم الذي هو الشجاع، وقوله "بحر خميس" أى خميس كالبحر في تموجه وإهلاكه الكفار، والخميس هو الجيش العظيم، سمى بذلك لأنه مركب من خمس قوائـم: مقدمة، وميمنة، وميسرة، وساقه، وقلب. وقوله "فوق سابحة" أى كائن فوق خيل سـابحة: أى مسرعة في طلب الكفار كالسابح في البحر والأبطال: جمع بطل، وهو الشجاع، وقوله "ملتطـم" صفة لموج، أى ملتطم بعضه ببعض.

(٤) قولـه: "من كل منتدب" أى من كل مجيب، وقوله "محتسب" أى مدخر ثواب عمله عنـد الله، وقوله "يسطو" أى يصول، وقوله "بمستأصل للكفر" أى بآلة مستأصلة لأهل الكفر، أى مزيل لهـم من أصلهم، وقوله "مصطلم" أى مهلك لهم.

(٥) وغدت بمعنى صارت، وقوله "وهى بهم" أى مصحوبة بالصحابة، وقوله "مـن بعـد غربتـها"، والمراد بغربتها عدم شهرتها وقلة من ينتمى إليها، وقوله موصولة الرحم: أى كثرة القيـام بحقـها بسبب كثرة من ينتمى إليها، وأشار بذلك إلى حديث مسلم "بدأ الإسلام غريباً".

(٦) قولـه: "مكفولة" إلخ أى محفوظة، وقوله "أبداً" أى إلى الأبد، وقوله "منهم" أى مـن الكفـار، وقوله "بخير أب وخير بعل" هو النبي ﷺ ، فإنه أشفق على أمته من الأب علـى أولاده، وأقـوم بمصالحهم من البعل على زوجاته، وقوله "فلم تيتم" أى من جهة الأب، وقوله "ولم تئم" أى مـن جهة البعل، يقال: يتم الولد إذا مات أبوه وهو صغير، يقال: آمت المرأة تئيم كباعت تبيـع: إذا خلت من زوجها.

هُمُ الجِبالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصادمَهُمْ ... ماذا رأى مِنْهُمْ في كُلِّ مُصْطَدَمِ[1]

وَسَلْ حُنَيناً وَسَلْ بَدراً وَسَلْ أُحُداً ... فُصولُ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الوَخَمِ[2]

المُصْدِرِي البيضِ حُمْراً بَعْدَ ما وَرَدَتْ ... مِنَ العِدا كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ[3]

والكاتِبينَ بِسُمْرِ الخَطِّ ما تَرَكَتْ ... أَقْلامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ[4]

شاكِي السلاحِ لَهُمْ سِيما تُمَيِّزُهُمْ ... والوَرْدُ يَمْتازُ بالسِّيما عَنِ السَّلَمِ[5]

---

(١) قوله: "هم الجبال" أى هم كالجبال في الشمم والصلابة، وقوله "فسل عنهم مصادمهم" أى من صادمهم من أعدائهم، وقوله "ماذا رأى منهم" أى من الشدة، وقوله "في كل مصطدم" بفتح الدال، أى الأماكن التى التقوا فيها مع أعدائهم.

(٢) قوله "وسل حنيناً" إلخ أى وسل زمن غزوة حنين، وسل زمن غزوة بدر، وسل زمن غزوة أحد. ومعنى قوله "فصول حتف لهم": أزمنة موت للكفار، وقوله "أدهى من الوخم" أى أشد داهية عليهم لما يصيبهم فيها من الوخم الذي هو الوباء. وكانت غزوة حنين بعد فتح مكة سنة ثمان، وهو اسم لواد بين مكة والطائف، وفيه التقى رسول الله ﷺ والمسلمون مع المشركين فانهزم الكفار، وكانت غزوة بدر من غير قصد من المسلمين إليها في يوم الجمعة سنة ثنتين وقتل فيها من صناديد قريش سبعون، وأسر منهم سبعون وكانت غزوة أحد في شوال سنة ثلاث، وهو اسم لجبل بالمدينة واستشهد فيها من المسلمين سبعون، منهم حمزة، وقتل من المشركين اثنان وعشرون رجلاً، والحرب سجال، واحدة لنا، وواحدة علينا.

(٣) قوله "المصدرى البيض" والمصدرين جمع مصدر بضم الميم، من أصدر عن الماء: رجع والمراد من البيض السيوف المصقولة. وقوله "حمرا" أى من الدماء التى خالطتها، وقوله "بعد ما وردت" أى بعد وردها، وقوله "من اللمم" أى الشعر المجاور شحمة الأذن، فاللم بكسر اللام: جمع لمة، وهى الشعر المذكور. فحاصل المعنى: أمدح الصحابة الذين أصدروا أرجعوا السيوف البيض حال كونها حمراء من الدماء بعد ورودها كل شخص مسود اللم حال كونه من العدا، وفي ذلك دليل على شجاعة الصحابة- رضى الله عنهم- حيث لا يرضون إلا بقتل سود اللمم من العدا، وهم الشبان في الغالب.

(٤) المراد بسمر الخط: الرماح الخطية فالسمر جمع أسمر، وهو الرمح، والخط شجرة اتخذ منها تلك الرماح، وقيل: موضع باليمامة تجلب إليه تلك الرماح من الهند، وقوله "ما تركت" أقلامهم حرف جسم غير منعجم" أى لم تترك أسنة رماحهم طرف جسم من أجسام العدا غير مزال عجمته، بل أزالت عجمته، فالمراد بأقلامهم: أسنة رماحهم.

(٥) قوله "شاكى السلاح" إلخ أى حاديه، وقوله "لهم سيما تميزهم" أى لهم علامة تميزهم عن غيرهم، قال تعالى: {سيماهم في وجوههم من أثر السجود}، وقوله "والورد يمتاز بالسيما عن السلم": شجر من العضاة فالورد والسلم وإن اشتركا في أن كلا شجر مورق ذو شوك إلا أن بينهما فرقاً ظاهراً لكل ذى بصر، وكذلك الصحابة وغيرهم، فإنهما وإن اشتركا في أن كلا ذو سلاح، إلا أن بينهما فرقاً ظاهراً لكل ذى بصيرة.-

تُهْدِى إليكَ رياحُ النَّصْـــرِ نَشْـرَهُمُ ... فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ في الأكمام كُلَّ كَمِـــى[1]

كأنَّهُمْ في ظُهُورِ الخَيْلِ نَبْـــتُ رُبًـــا ... مِنْ شِدَّةِ الحَزْمِ لا مِنْ شِدَّةِ الحُـــزُمِ[2]

طارَتْ قُلوبُ العِدا مِنْ بأسهمْ فَرَقًـــا ... فما تُفَرِّقُ بَيْـــنَ البُـــهْمِ والبُـــهَمِ[3]

وَمَنْ تَكُـــنْ بِرَسُـــولِ اللهِ نُصْرَتُـــهُ ... إن تَلْقَهُ الأُسْدُ في آجامِـــها تَجِـــمِ[4]

ولَنْ تَرَى مِنْ ولَـــىٍّ غَـــيْرِ مُنْتَصِـــرٍ ... بِهِ ولا مِنْ عَـــدُوٍّ غَـــيْرِ مُنْقَصِـــمِ[5]

أن بينهما فرقاً ظاهراً لكل ذى بصيرة.

(١) قولـــه "تهدى إليك" بمعنى ترسل، والمراد برياح النصر الرياح التى حصل بها النصـــر، والمـــراد بالنشر الخير السار، وإن كان في الأصل الرائحة الطيبة، والزهر: نَوْر الشجر، والأكمام جمع كـم: وهو غلاف النور، والكمى: الشجاع في سلاحه.

(٢) قولـــه "كأنهم في ظهور الخيل" إلخ أى كأن الصحابة حال كونهم على ظهور الخيل نبت ربـا في الاستقرار والثبوت. والربا جمع ربوة، وهى ما ارتفع من الأرض، ونبتها يكون أثبت مـن غـيره لطول عروقه حتى يصل إلى الماء، ويكون أحسن من غيره؛ لأنه لا يستقر عليه الماء فيأخذ حظـه من الشمس والرياح، وقوله "من شدة الحزم" من قوة جودة رأيهم وتدبيرهم، وقوله" لا من شـدة الحزم" أى لا من ربط الحزم (جمع حزم) التى يربط بها السرج أو غيره على ظهر الدابة.

(٣) قولـــه" طارت" بمعنى اضطربت، وقوله "من بأسهم" أى من شدتهم وقوتهم في الحرب، وقولـــه "فرقاً"، أى فزعاً. وقوله "فما تفرق بين الْبَهْم والبُهَم" البهم جمع بهمة وهى السخلة، وهـــى أولاد الضأن، والبهم بضم الباء الموحدة وفتح الهاء: الشجعان.

(٤) قولـــه "ومن تكن برسول الله" ولا تكون النصرة برسول الله ﷺ إلا باتباع سنته، وترك ما كـان على خلاف شريعته، وذلك هو تقوى الله، والحامل عليها خوف الله، ومن خاف الله خاف منـه كل شيء، حتى الأسد في آجامها، الأسد: جمع أسد، وهو الحيوان المعـروف، أجامـها: جمـع أجمة،وهى الغابات، تجم: بكسر الجيم بمعنى تسكت من هيبته.

(٥) والمراد بالولى من آمن به ﷺ والعدو ضده. وقوله "به" أى برســـول الله، والمنقصـم: القصـم بالقاف: القطع مع الإبانة.

أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ ... كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأَشْبَالِ فِي أَجَمِ[1]

كَمْ جَدَّلَتْ كَلِماتُ اللهِ مِنْ جَدِلٍ ... فيه وكَمْ خَصَمَ البُرهانُ مِنْ خَصِمِ[2]

كَفاكَ بِالعِلْمِ فِي الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً ... فِي الجاهِلِيَّةِ والتأديبِ فِي اليُتُمِ[3]

خَدَمْتُهُ بِمَدِيحٍ أَسْتَقِيلُ بِهِ ... ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشِّعْرِ والخِدَمِ[4]

إِذْ قَلَّدَانِيَ مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ ... كَأَنَّنِي بِهِمَا هَدْيٌ مِنَ النَّعَمِ[5]

أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا فِي الحَالَتَيْنِ وَمَا ... حَصَلْتُ إِلاَّ عَلَى الآثَامِ وَالنَّدَمِ[6]

---

(١) قوله "أحل أمته" أى أنزلها، لأنه أحل أمته إلخ. وقوله "في حرز ملته" : أى في ملته الشبيهة بالحرز، وإنما كانت ملته ﷺ شبيهة بالحرز، لأنها تحفظ من اتبعها من نار الكفر. وقوله "كالليث حل مع الأشبال في أجم" أى فالنبي ﷺ حل مع أمته في ملته كالليث حل مع أشباله في الأجم، والليث هو الأسد والأشبال هى أولاده، والأجم جمع أجمة، وهى الغابة أى الشجر الملتف.

(٢) كم بمعنى كثيراً، وجدَّلت: أى قطعت وأزالت جداله، وكلمات الله: هى القرآن، والجدل أى في أمره ﷺ . وقوله "وكم خصم البرهان من خصم" أى وكثيراً ما خصم البرهان، الذي هو الدليل القاطع من خصم بكسر الصاد، وهو شديد الخصومة. وحاصل معنى البيت: كثيراً ما أزال القرآن جدال المجادل في أمره ﷺ ، وكثيراً ما أزال الدليل القاطع خصومة شديد الخصومة في أمره ﷺ والأول إشارة إلى ما وقع في القرآن من جواب المعاندين السائلين له ﷺ ، والثاني إشارة إلى ما وقع منه ﷺ من الآيات، حين سألوه آية على رسالته.

(٣) قوله "كفاك بالعلم" أى كفاك العلم، وقوله "في الأمى" أى في النبى الأمى، وهو الذي لا يقرأ ولا يكتب، نسبة للأم، كأنه على الهيئة التى نزل عليها من أمه. وقوله "في الجاهلية" أى الزمن الذي لا علم فيه. وقوله "والتأديب في اليتم" أى وكفاك بالتأديب في اليتم معجزة؛ لأن شأن اليتيم، وهو الصغير الذي لا أب له أن لا يكون فيه من الأدب ما يكون في غيره؛ فإن الأب غالباً يهتم بتأديب ابنه، ويسعى في تكميله باكتساب الصفات الحميدة، بخلاف غير الأب، وكان ﷺ مؤدباً بأحسن الأخلاق، على خلاف العادة في اليتيم.

(٤) أى خدمته ﷺ بما تقدم من المدح، أطلب من الله أن يقيلنى بسبب هذا المديح ذنوب عمر مضى في الشعر ، مدحاً لأبناء الدنيا.

(٥) قلداني: لغة معناه فوضاني أو أقاماني في عمل، والمراد هنا الزماني، النعم: الإبل والشاه. والهدى: ما يهدى إلى المحرم من النعم.

(٦) غى: ضلال. الصبا: الشباب. الأثام: الذنوب.

فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا ... لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسُمِ

وَمَنْ يَبِعْ آجِلاً مِنْهُ بِعَاجِلِهِ ... يَبِنْ لَهُ الْغَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمِ[1]

إِنْ آتِ ذَنْباً فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ ... مِنَ النَّبِيِّ وَلاَ حَبْلِي بِمُنْصَرِمِ[2]

فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَتِي ... مُحَمَّداً وَهْوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذِّمَمِ[3]

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذاً بِيَدِي ... فَضْلاً وَإِلاَّ فَقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ[4]

حَاشَاهُ أَنْ يُحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ ... أَوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ[5]

وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ ... وَجَدْتُهُ لَخَلاَصِي خَيْرَ مُلْتَزِمِ[6]

وَلَنْ يَفُوتَ الْغِنَى مِنْهُ يَداً تَرِبَتْ ... إِنَّ الْحَيَا يُنْبِتُ الأَزْهَارَ فِي الأَكَمِ[7]

وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَفَتْ ... يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَثْنَى عَلَى هَرِمِ[8]

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ ... سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ[9]

وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللهِ جَاهُكَ بِي ... إِذَا الْكَرِيمُ تَجَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ[10]

---

(١) الغبن: الخديعة في البيع والشراء. السلم : نوع من البيع يؤجل فيه تسليم المبيع.

(٢) بمنتقض: بمنكوث أى محلول. منصرم منقطع.

(٣) ذمة: عهدا.

(٤)الزلة: العثرة والسقطة.

(٥) الجار هنا بمعنى المستجير.

(٦) ملتزم: متكفل.

(٧) تربت: افتقرت كأنها التصقت بالتراب. الحيا: المطر.

(٨) زهير: هو ابن أبي سلمى الشاعر المعروف. هرم، بفتح الهاء وكسر الراء، هو ابن سنان ابن أبي حارثة المرى من بنى مرة بن عوف بن سعد بن دينار، كان من أجواد العرب، ولزهير فيه مدائح مشهورة.

(٩) ألوذ به: ألتجئ إليه، العمم، بفتح العين وفتح الميم الأولى، العام الشامل، والحادث العمم: هو قيام الساعة.

(١٠) تجلى: بدا وظهر لعباده.

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا ... وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ[1]

يَا نَفْسُ لَا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ ... إِنَّ الْكَبَائِرَ فِي الْغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ

لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا ... تَأْتِي عَلَى حَسَبِ الْعِصْيَانِ فِي الْقِسَمِ

يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ ... لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ[2]

وَاعْطُفْ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ ... صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الْأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ

وَأْذَنْ لِسُحْبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ ... عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ[3]

مَا رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ الْبَانِ رِيحُ صَبًا ... وَأَطْرَبَ الْعِيسَ حَادِي الْعِيسِ بِالنَّغَمِ[4]

---

(١) ضرتها: أى عدوتها، والضرة معروفة، وهى الزوجة التى تأتي على زوجة أخرى، والمراد بكونهما من جوده أنه كان يجود بالدنيا أى بأسباب المعيشة فيها على العافين، ويجود بالشفاعة المخبوءة له في الآخرة على المذنبين.

ولعله يريد بالقلم أن ما جاء به الرسول صلوات الله عليه صادر عن اللوح المحفوظ المكتوب بقلم القدرة الإلهية.

(٢) منعكس: مقلوب وراجع. منخرم: منقوص.

(٣) سحب، جمع سحابة وهى الغيم، ومعنى سحب صلاة أى رحمة دائمة النزول كالسحاب الماطل. منهل: شديد الانصباب.

(٤) رنحت: أمالت، جمع عذبة وهى الغصن، والبان: سبق شرحه. صبا: الصبا ريح معبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش، ويقابلها الدبور. العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة أو ظلمة خفيفة، والنغم: التطريب في الغناء.

أبو الحسن التهامي

قصيدته الفريدة البالغة في بابها غاية لم يبلغها سواه ، يرثي في أولها صغيرا له أجاب داعي ربه، ويفتخر في آخرها بفضله، ويشكو زمانه وحاسديه وهي هذه :

حُكْمُ المنيّة في البرية جارِ ... ما هذه الدنيا بدار قرار

بَيْنا يُرَى الإنسانُ فيها مُخْبِرا ... حتى يُرَى خبراً من الإخبار

طُبِعَتْ على كَدَر وأنتَ تُريدُها ... صَفْواً من الأقذار والإكدار

ومُكَلِّف الأيامِ ضِدَّ طباعها ... مُتَطَلِّب في الماء جَذْوةَ نار

وإذا رَجَوْتَ المستحيل فإنما ... تَبْنِي الرجاءَ على شَفيرٍ هار

فالعيشُ نومٌ والمنيةُ يقظةٌ ... والمرءُ بينهما خيالٌ سار

فاقضوا مآربكم عجالا إنما ... أعماركم سفرٌ من الأسفار

وتراكضوا خيلَ الشباب وبادروا ... أن تُسْتَرَدَّ فإنهنّ عوار

فالدهر يَخْدع بالمُنَى ويغصُّ إن ... هَنّا ويَهْدم ما بَنى ببوار

ليس الزمانُ وإن حَرَصْتَ مُسَالماً ... خُلُقُ الزمانِ عداوةُ الأحرار

إني وُتِرْتُ بصارمٍ ذي رَوْنَقٍ ... أعْدَدْتُهُ لِطلابةِ الأوتار

والنفسُ إن رَضيت بذلك أو أبَتْ ... مُنْقادة بأزمَّة المقدار

أثْنِي عليه بأثْرِه ولَوَ إنهُ ... لم يُعْتَبَطْ أثنيتُ بالآثار

يا كوكبا ما كان أقْصَر عُمْره ... وكذاك عُمْرُ كواكب الأسحار

وهلالَ أيام مضَى لم يَسْتَدِرْ ... بدراً و لم يُمْهَل لوقت سِرار

عَجِل الخُسوفُ عليه قبل أوانه ... فمحاه قَبْل مَظِنّة الإبدار

واستُلّ من أترابه ولِدَاتِهِ ... كالمُقْلة اسْتُلّتْ من الأشفار

فكأنّ قلبي قَبْرُهُ وكأنه ... في طَيّه سرٌّ من الأسرار

إن يُعْتَبَطْ صغرا فَرُبَّ مُقَمَّم ... يَبْدو ضَئيلَ الشخص للنُّظّار

إن الكواكبَ في عُلُو محلّها ... لَتُرَى صغاراً وهي غير صغار

وَلَدُ المُعَزِّى بعضُه فإذا مضى ... بعضُ الفتَى فالكلُّ في الآثار

أبْكيه ثم أقول معتذراً له ... وُقِفْتَ حين تَرَكْتَ أُمَّ دار

جاوَرْتُ أعدائي وجاوَرَ ربَّه ... شَتَّانَ بين جواره وجواري

أشكو بعادَك لي وأنتَ بموضعٍ ... لولا الردى لَسَمِعْتَ فيه مَزاري

والشرقُ نحو الغرب أقربُ شُقَّةً ... من بُعد تلك الخمسة الأشبار

هيهاتَ قد عَلِقتكَ أسبابُ الردَى ... واغتالَ عمرَك قاطع الأعمار

ولقد جَرَيْتَ كما جريتُ لغاية ... فبلغتَها وأبوكَ في المضمار

فإذا نطقتُ فأنت أولُ منطقي ... وإذا سكتُّ فأنت في إضماري

أخفي من البُرحاءِ ناراً مثل ما ... يُخفي من النار الزنادُ الواري

وأخَفِّض الزَفَرات وهي صَواعد ... وأكفِكفُ العَبَرات وهي جَوار

وشهابُ نارِ الحُزْن إن طاوَعْتهُ ... أوْرَى وإن عاصَيتهُ مُتَواري

وأكُفُّ نيرانَ الأسَى ولَرُبما ... غُلب التَّصَبُّرُ فارْتَمَتْ بشَرار

ثوبُ الرياء يَشِفّ عما تحتَه ... وإذا التحَفْتَ به فإنك عار

قَصُرَت جُفوني أم تَباعَدَ بَيْنُها ... أم صُوِّرَتْ عيني بلا أشفار

جَفَت الكَرى حتى كأنّ غرارَه ... عند اغتماض العين وخْزُ غرار

ولو اسْتَزَارَتْ وقدةً لَطَحَا بها ... ما بَين أجفاني من التَّيار

أحيي الليالي التمّ وهي تُميتُني ... ويُميتُهُنّ تبلُّج الأسحار

حتى رأيت الصُّبح تمتك كفُّه ... بالضوء رفرفَ خَيْمةٍ كالقار

والصبحُ قد غَمَرَ النُّجومَ كأنه ... سَيْلٌ طَغَى فطَفَا على النُّوَّار

لو كنتَ تُمْنَعُ خاضَ دونكَ فتْيَةٌ ... مِنَّا بحار عوامل وشفار

ودَحَوْا فُوَيْق الأرض أرضا من دَم ... ثم انْثَنَوْا فَبَنَوْا سماءَ غُبار

قومٌ إذا لبسوا الدروعَ حَسِبْتها ... خُلُجاً تَمُدُّ بها أكفُّ بحار

لو شرَّعوا أيمانهم في طولها ... طعَنوا بها عِوَضَ القَنا الخطَّار

جَنَبوا الجيادَ إلى المَطَّى وراوَحوا ... بين السُّروج هُناك والأكْوار

وكأنما مَلَئوا عياب دُروعِهم ... وغُمُود أنْصُلهم سَرابَ قفار

وكأنما صَنْعُ السَوابغ عَزَّهُ ... ماءُ الحديد فَصاغ ماء قَرار

زَرَداً فأحكمَ كُل مَوْصل حَلْقةٍ ... بَحبابه في موضع المسمار

فَتَسَرْبَلُوا بمتون ماءٍ جامدٍ ... وتَقَنّعوا بحَباب ماء جار

أسْدٌ ولكن يُؤْثرون بزادهم ... والأسْدُ ليس تَدين بالإيثار

يَتَزَيَّن النادى بحُسْن وُجوهِهم ... كَتَزَيُّن الهالات بالأقمار

يتعطفون على المُجاور فيهمُ ... بالمُنفسات تعطُّفَ الأظْئار

من كل من جعل الظُبَى أنصارَه ... وكَرُمْنَ واستغنى عن الأنصار

وإذا هو اعتقلَ القناةَ حَسِبْتَها ... صلا تأبَطَه هزَبْرٌ ضار

والليثُ إن ثاورْتَه لم يَعْتَمد ... إلاّ على الأنياب والأظفار

زرَدُ الدلاص من الطعّان يُريحهُ ... في الجحفَل المُتضايق الجرّار

ما بين ثوب بالدماء مُضَمَّخٍ ... زَلِقٍ ونَقْع بالطِّراد مُثار

والهُونُ في ظلّ الهُوَيْنا كامنٌ ... وجَلالة الأخطار في الأخطار

تَنْدَى أسرَّةُ وجهه ويمينُه ... في حالة الإعسار والإيسار

ويَمُدُّ نحوَ المَكْرُمات أناملا ... للرزق في أثنائهن مَجَارِ

يَحْوى المَعَالى كاسبًا أو غالبًا ... أبداً يُدارَى دونَها ويُدارى

قد لاح في ليل الشباب كواكبٌ ... إن أمْهلَتْ آلت إلى الأسفار

وتَلَهُّبُ الأحشاء شَيّب مَفْرِقى ... هذا الضياءُ شُواظُ تلك النار

شابَ القَذَال وكلُّ غصنٍ صائرٌ ... فَيْنانةُ الأحْوَى إلى الأزهار

والشبْهُ مُنجذبٌ فَلِمْ بِيْضُ الدُّمى ... عن بيض مَفْرَقه ذواتُ نفار

وتَوَدُّ لو جعلت سوادَ قلوبها ... وسوادَ أعْيُنها خضابَ عذار

لا تَنْفر الظَبيات عنه فقد رأت ... كيف اختلاف النبت في الأكوار

شيئان يَنقْشعان أوَّلَ وهْلةٍ ... ظلُّ الشباب وخُلّة الأشرار

لا حبذا الشيبُ الوَفِي وحبذا ... ظل الشباب الخائن الغدار

وطَرى من الدنيا الشبابُ وَرَوْقُهُ ... فإذا انقضى فقد انقضت أوطارى

قَصُـرت مسـافتُه ومـا حسـناته ... عنـدى ولا آلاؤه بقصـار

نزدادُ هَمـا كلمـا ازددنـا غـنىً ... والفَقْـر كُـلّ الفقـر في الإكثـار

ما زاد فوقَ الـزاد خُلِّـفَ ضائعـا ... في حـادث أو وارثٍ أو عـار

إنى لأرحـمُ حِاسـدىَّ لحِـرِّ مـا ... ضمنت صُدورهـمُ مـن الأوغـار

نَظَـروا صَنيـع الله بي فَعيونُـهم ... في جنـة وقلوبهـم في نـار

لا ذنبَ لى قد رمتُ كَتْـمَ فضـائلى ... فكأنمـا بَرْقَعْـتُ وجـه نهـار

وسـترتُها بتواضعُـى فتطلعـت ... أعناقُـها تعلـو علـى الأسـتار

ومـنَ الرجـال مَعـالم ومَجـاهِل ... ومـن النجـوم غوامـض ودَرارى

والنـاسُ مشـتبهون في إيرادهـم ... وتفـاضُلُ الأقـوامِ في الإصـدار

عَمْرى لقد أوطأتُهم طُـرُقَ العُـلا ... فَعمُوا فلـم يَقفـوا علـى آثـارى

لو أبصَـروا بقلوبهـم لاستبصَروا ... وعَمَى البصائِر من عَمَـى الأبصـار

هَلاَّ سَعَوْا سَعْىَ الكـرام فـأدركوا ... أو سَـلَّموا لِمَواقِـعِ الأَقـدار

وفَشَتْ خيانات الثقـات وغـيرهم ... حـتى اتَّـهَمْنا رؤيـة الأبصـار

ولَرُبمـا اعتَضَـد الحليـم بجـاهِلٍ ... لا خـيرَ في يُمْنَـى بغـير يَسـار

مختارات من الشعر الحديث والمعاصر

١- أمير الشعراء (أحمد شوقي)

٢-علي محمود طه

٣- هاشم الرفاعي

٤- صلاح عبد الصبور

٥-عبد الرحمن العشماوي

٦-أحمد سويلم

٧-فتحي سعيد

٨-أحمد مطر

٩-الشيخ إبراهيم علي بديوي

١٠- أبو همام- د.عبداللطيف عبدالحليم

١١- د.عبد الحميد هنداوي

أحمد شوقي

هو: أحمد شوقي بن علي بن أحمد بن شوقي أشهر شعراء العصر الأخير يلقب بأمير الشعراء، مولده ووفاته بالقاهرة، كتب عن نفسه: "سمعت أبي يردّ أصلنا إلى الأكراد فالعرب" نشأ في ظل البيت المالك بمصر، وتعلم في بعض المدارس الحكومية وقضى سنتين في قسم الترجمة بمدرسة الحقوق، وأرسله الخديوي توفيق سنة ١٨٨٧م إلى فرنسا، فتابع دراسة الحقوق واطلع على الأدب الفرنسي، اتسعت ثروته وعاش مترفا في نعمة واسعة ودعة تتخللها ليال "نوّاسية" وسمى منزله "كرمة ابن هاني" وبستانا له "عش البلبل". وهو أول من جود القصص الشعري التمثيلي، من آثاره "الشوقيات" أربعة أجزاء وهو ديوان شعره، و"دول العرب"، و"مصرع كليوباترا"، و"مجنون ليلى"، و"قمبيز"، و"على بك الكبير"، و"عذراء الهند".

راجع في ذلك:"مذكرات المؤلف" ومجلة المجمع العلمي(١٣/٦٩،١١٣،١٥٦)، ومرآة العصر (٣/١١٣)، وصفوة العصر (٦٣٦)، والمنهج الجديد (٣٧)، ومشاهير الكرد (١/٨٤)، ومعجم المطبوعات (١١٥٨)، والمنتخب من أدب العرب (١/١٠٨)، ومناهل الأدب العربي (٣٧)، وأعلام من الشرق والغرب (٩٥-١٠٧).

ريمٌ على القاعِ بين البـــانِ والعَلَـــمِ ... أحَلَّ سفْكَ دمي في الأشهر الحُـرُمِ[1]

رمى القضاءُ بعَيْني جُـــؤذَر أســـداً ... يا ساكنَ القاعِ، أدركْ ساكن الأجـــمِ[2]

لما رَنَـــا حدّثتـــني النفـــسُ قائلـــةً ... يا وَيْحَ جنبِكَ، بالسهم المُصيب رُمـــى[3]

جحدتُها، وكتمت السهمَ في كبـدي ... جُرْحُ الأحبة عندي غـــيرُ ذي ألمِ[4]

رزقتَ أسمح ما في الناس من خُلُـــقٍ ... إذا رُزقت التماس العذْر في الشِّـيمِ[5]

يا لائمي في هواه - والهوى قـــدَرٌ - ... لو شفَّك الوجدُ لم تَعذِل ولم تَلُـمِ[6]

لقد أنلْتُـــك أُذْنـــاً غـــير واعيـــةٍ ... ورُبَّ منتصتٍ والقلبُ في صَمَـــمِ[7]

---

(١) الرئم (بالهمزة ويخفف بقلب الهمزة ياء): الظبيَ الخالص البيـــاض. والقـــاع: الأرض الســـهلة المطمئنة. والبان: جمع بانة، ضرب من الشجر. والعلم: الجبل. والأشهر الحـــرم: أربعـــة، ثلاثـــة متتابعة هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورواحد فرد وهو رجب، وكانت العرب لا تســـتحل فيها القتال، وفي الشطر الثاني طباق بين قوله "أحل" وقوله "الحرم"، ولا يذهب عن القارئ مـا في البيت من براعة الاستهلال.

(٢) الجؤذر: ولد البقرة الوحشية. والأجم: جمع أجمة وهي الشجر الكثير الملتـــف، وهـــو مســـكن الأسد، يريد بالجؤذر: المحبوبة التي شبهها في البيت السابق "بالريم"، تشبيها لها بالجؤذر في جمـــال عينيه واتساعهما. ويريد "بالأسد" نفسه. وفي الشطر الثاني يستغيث بالمقتول للقاتل- لا منـــه- ويستنجد للأسد بالغزال، وهو بديع.

(٣) رنا: أدام النظر مع سكون الطرف. ويا ويح: كلمة تقال لمن وقع في الشدة والمكروه، يســـتنجد له بالرأفة والرحمة مما وقع فيه.

(٤) جحدتها: الجحود هو الإنكار مع العلم.

(٥) الشيم: جمع شيمة وهي الخلق والطبيعة.

(٦) شفه الوجد: أهزله وأنحل جسمه.

(٧) انتصت: سكت سكوت مستمع. وفي الشطر الثاني من البيت طباق بين قولـــه: "منتصـــت"، وقوله: "في صمم".

يا ناعسَ الطرف، لا ذقْتَ الهوى أبداً ... أسهرْتَ مُضناك في حفظ الهوى، فنم[1]

أفديك إلفاً، ولا آلو الخيالَ فِدىً ... أغراك بالبخل مَن أغراه بالكرم[2]

سرَى، فصادف جُرحا داميا، فأسا ... ورُبَّ فضل على العشاق للحُلُمِ[3]

مَن الموائسُ بانا بالرُّبى وَقَنا ... اللاعباتُ بروحي، السافحات دمِي؟[4]

السافِراتُ كأمثال البُدور ضُحىً ... يُغرِّنَ شمسَ الضُّحى بالحَلْى والعصَمِ[5]

القاتلاتُ بأجفانٍ بها سَقَمٌ ... وللمنيةِ أسبابٌ من السقم

العاثراتُ بألباب الرجال، وما ... أُقِلنَ من عثرات الدَّلِّ في الرسم[6]

المضرماتُ خُدوداً، أسفرت، وَجَلتْ ... عن فِتنة، تُسلمُ الأكبادَ للضرَم[7]

الحاملاتُ لواءَ الحسنِ مختلفاً ... أشكالُه، وَهْو فردٌ غير منقسم[8]

من كلِّ بيضاءَ أو سمراءَ زُيِّنتا ... للعينِ، والحُسنُ في الآرامِ كالعُصُمِ[9]

يُرَعْنَ للبصر السامي، ومن عجبٍ ... إذا أشَرْن أسرن الليثَ بالعنم[10]

---

(١) الناعس: الوسنان. والطرف (بالفتح) : العين. والمضنى: الذي أثقله المرض. ومضناك: الذي أضنيته بما لحقه من الوله عليك. وفي الشطر الثاني طباق بين قوله: "أسهرت"، وقوله: "فنم".

(٢) الألو: هنا بمعنى المنع والتقصير. وأغراه بالشيء: زينة له وحرضه عليه.

(٣) السرى: المشى في الليل. وأسا الجرح يأسوه: داواه.

(٤) الموائس: جمع مائسة وهى المبتخرة. والبان: ضرب من الشجر، واحدتها: بانة، يشبه القوام بأغصانها للدونتها. والقنا: جمع قناة وهى الرمح. وسفح الدم: سفكه وأساله.

(٥) يقال: سفرت المرأة: أى كشفت عن وجهها. والحلى: ما تزين به المرأة من مصوغ المعادن وكريم الحجارة. والعصم: القلائد، جمع عصمة كعنب وعنبة.

(٦) العثرة: الزلة والسقطة. وأقاله من عثرته: أنهضه منها. والدل: قريب المعنى من الهدى، وهما من السكنية والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك. والرسم: حسن المشى.

(٧) الضرم: اشتعال النار.

(٨) اللواء: العلَم. وحمل لواء الحسن: كناية عن نهاية الحسن فيه.

(٩) العصم: جمع أعصم، الذي فيه العصمة (بالضم)، وهى بياض اليدين، والعصماء من المعز: البيضاء الذراعين وسائرها أسود أو أحمر، وحرك الصاد إتباعا لحركة العين قبلها.

(١٠) يرعن: يخفن. والعنم: شجرة حجازية لها ثمرة حمراء تشبه بها البنان المخضوبة. وفي البيت جناس بين قوله: "أشرن"، وقوله: "أسرن".

وضعتُ خدِّى، وقسَّمتُ الفـؤادَ رُبىً ... يَرتَعنَ في كُنُسٍ منـــه وفي أكـــم[1]

يا بنت ذى اللِّبَـــدِ المحمـــىِّ جانبُـــه ... ألقاكِ في الغاب، أم ألقاكِ في الأطُـــم؟[2]

ما كنتُ أعلم حتى عـــنَّ مسـكنُه ... أن المُنى والمنايا مضـــربُ الخيـــم[3]

مَنْ أنبتَ الغصنَ مِنْ صَمصامةٍ ذكرٍ؟ ... وأخرج الريمَ مِن ضِرغامة قـــرم؟[4]

بيني وبينكِ من سُمْرِ القنا حُجُـــب ... ومثلُها عِفَّـــةٌ عُذرِيـــةُ العصَـــم[5]

لم أغشَ مغناكِ إلا في غضونِ كِـرىً ... مَغناكِ أبعدُ للمشـــتاقِ مـــن إرَم[6]

يا نفسُ، دنياكِ تُخفى كلَّ مُبكيـــةٍ ... وإن بدا لكِ منها حُسنُ مُبتسَـــم[7]

---

(١) وضع الخد: هنا كناية عن الخضوع والاستسلام. والكنس (بضمتين): جمع كناس وهو مســـتقر الظباء في الشجر. والأكم: جمع أكمة وهى الموضع يكون أشد ارتفاعا مما حوله.

(٢) اللبد: جمع لبدة وهى الشعر المتراكب بين كتفى الأسد. والغاب: جمع غابـــة وهـــى الشـــجر المتكاثف. والأطم: القصر، وكل حصن مبنى بالحجارة.

(٣) عَنَّ الشيء: بان وظهر. والمنايا: جمع المنية وهى الموت. يريد بـــ" المـــنى" محبوبتـــه أو لقاءهـــا، وبـــ"المنايا" أباها أو لقاءه، مبالغة. ومضرب الخيم: المكان الذي تضرب فيه وتقـــام، أى حيـــث تنـــزل تلك المحبوبة في حوار أبيها. وفي البيت جناس.

(٤) الصمصامة: السيف. والضرغامة: الأسد. والقرم: شديد الشهوة إلى اللحم، وهنا كناية عن شدة البأس والافتراس. وأراد بـــ"الغصن" و"الريم" معشوقته، وبـــ"الصمصامة" و"الضرغامة" أباهـــا. يتعجب كيف يولد لمثل هذا الرجل، الشبيه بالسيف في صلابته ومضائه، مثل هذه المعشوقة، الـــتى هى كالغصن في اللدونة ولطف التثنى؟! وأيضا كيف يكون لمن يشبه الأسد في قوتـــه وســـطوته وبأسه، مثل هذه التى تشبه الغزال في رقته وضعفه؟!

(٥) العفة العذرية: نسبة لقبيلة بنى عذرة، اشتهر شبابها بالعشق والعفاف. والعصم: جمع عصمة وهى المنع والحفظ.

(٦) غشى المكان: وافاه. والمعنى: المنزل الذي غنى به أهله. والكرى: النـــوم. وإرم: هـــى إرم ذات العماد، التى ورد ذكرها في القرآن الكريم.

(٧) المبتسم: بمعنى المصدر أى الابتسام، ويجوز أن يراد به الموضع أى الثغر، والإضافة فيه من إضافـــة الصفة للموصوف.

فُضِّى بتقواك فاهاً كلما ضَحكـــتْ ... كما يُفضُّ أذَى الرقشاءِ بـــالثَّرَم[1]

مخطوبةٌ- منذُ كان الناسُ- خاطِبـــةٌ ... من أولِ الدهر لم تُرْمِل، ولم تَئِـــم[2]

يَفنى الزَّمانُ، ويبقى مـــن إســاءتها ... جرْحٌ بآدم يَبكـــى منـــه في الأدم[3]

لا تحفلـــى بجناهـــا، أو جنايتـــها ... الموتُ بالزَّهْر مثلُ الموت بـــالفَحم[4]

كم نائم لا يَراها، وهْـــى ســـاهرةٌ ... لولا الأمانيُّ والأحـــلامُ لم ينـــم[5]

طوراً تمـــدّك في نُعْمَـــى وعافيـــةٍ ... وتارةً في قَرار البـــؤس والوَصَـــم[6]

كم ضلَّلتكَ، وَمَن تُحْجَبْ بصيرتُـــه ... إن يلقَ صابا يَرد، أو عَلْقما يَسُـــم[7]

يا ويلتاهُ لنفســـى! راعَـــها ودَهـــا ... مُسْوَدَّةُ الصَّحْفِ في مُبْيَضَّةِ اللِّمَـــم[8]

ركَضْتها في مَرِيع المعصيات، ومـــا ... أخذتُ من حِمْيَةِ الطاعات للتُّخَـــم[9]

---

(١) الرقشاء من الحيات: المنقطة بالسواد والبياض. وأذى الرقشاء: سمها. والثرم: كسر السـن من أصلها.

(٢) أرملت المرأة: إذا مات عنها زوجها. وآمت المرأة المرأة تئيم، والأيم: التى لا زوج لهـا، سواء أكانت بكرا أم كان لها زوج فقدته.

(٣) الأدم: الجلد، يقول: مع أن حالها وحال الناس ما ذكرنا، فإن إساءتها ما تنتـهى، حتى أن آدم (عليه السلام) لا ينسى كيدها إلى آخر الزمان. وفي البيت جناس بين آدم والأدم.

(٤) الجنى: ما يجتنى من الشجرة ويقطف من ثمرها.

(٥) يريد بالنائم: المغتر بالدنيا الغافل عن مصائبها وغيرها.

(٦) الوصم (بالتحريك): الألم والمرض، يقال: وصمته الحمى فتوصم أى آلمته فتألم.

(٧) الصاب: جمع صابة وهو شجر مر، والعلقم، والحنظل. ويسم: من سام يسوم أى رعى يرعى.

(٨) دها: أى دهاها. اللمم: جمع لمة وهى الشعر يجاوز شحمة الأذن. مسودة الصحف: كناية عن العمل السيىء. ومبيضة اللمم: الشيب، والإضافة فيها من إضافة الصفة للموصوف.

(٩) ركضتها: أصل الركض تحريك الرجل، ويقال: ركضت الفرس برجلى إذا استحثثته ليعدو، والمراد هنا مجرد إطلاق النفس وإرسالها في طريق غوايتها، وفيه تشبيه النفس بالسائمة تشبيها مضمرا في النفس على سبيل الاستعارة المكنية. والمريع: الخصيب. ومريع المعصيات: من إضافة المشبه به للمشبه، أى المعصيات التى هى شبيهة بالمرعى المريع تستطيبه الدابة؛ ففيه تشبيه ضمنى لمن يرسل نفسه في المعاصي بالبهيم الذي يستطيب المرعى ويسترسل فيه. وحمية الطاعات: كذلك من إضافة المشبه به للمشبه، أى الطاعات التى شبيهة بالحمية، وفيها أيضا تشبيه ضمنى لمن يتعفف عن مساورة المعاصي بمن يمسك نفسه أن ينال ما يهيضه من ألوان الطعام.. والتخم: جمع تخمة، قيل: هى فساد الطعام بالمعدة، وقيل: فساد المعدة بالطعام. وقوله "للتخم" أى للتحرز عن التخم.

هامت على أثَرِ اللَّـــذاتِ تطلُبُـــها ... والنفس إن يَدْعُها داعي الصِّبـــا تَـــهم[1]

صلاحُ أمرِكَ للأخـــــلاقِ مرجعُـــه ... فقوِّم النفـــسَ بـــالأخلاقِ تســـتقم

والنفسُ من خيرِها في خـــيرِ عافيـــةٍ ... والنفسُ من شرها في مَرْتَعٍ وَخِـــم[2]

تطغى إذا مُكِّنَتْ من لـــذَّةٍ وهـــوىً ... طَغْيَ الجيادِ إذا عَضَّت على الشُّـــكُم[3]

إنْ جَلَّ ذَنبي عن الغُفـــران لي أمـــلٌ ... في الله يجعلني في خـــيرِ مُعتصَـــم[4]

أُلقي رجائي إذا عزَّ المُجـــيرُ علـــى ... مُفرِّج الكرب في الدارينِ والغمَـــم[5]

إذا خفضتُ جَناحَ الـــذُّلِّ أســـأله ... عزَّ الشفاعةِ؛ لم أسأل سوى أمَـــم[6]

وإن تقـــدّم ذو تقـــوى بصالحـــةٍ ... قدّمتُ بين يديـــه عَـــبْرَةَ النـــدَم[7]

لزِمتُ بابَ أمـــيرِ الأنبيـــاءِ، ومَـــنْ ... يُمْسِكْ بمِفتاح بـــاب الله يغتنِـــم[8]

---

(١) هامت الناقة على وجهها: ذهبت ترعى. وداعى الصبا: اللهو والشباب.

(٢) المرتع: من رتعت الماشية ترتع رتوعاً أى أكلت ما شاءت. والمرتع: موضع الرتـــوع. والوخـــم: الردىء الوبي.

(٣) الشكم: جمع شكيمة وهى الحديدة المعترضة في لجام الفرس.

(٤) عصمة الله العبد: حفظه مما يوبقه ويهلكه، والمعتصم: الموضـــع منـــها، أو بمعـــنى المصـــدر أى الاعتصام.

(٥) الغمم: جمع غمة وهى الهم والحزن. والمجير: هنا بمعنى المنقذ. إذ عز المجـــير: أى يـــوم القيامـــة. ومفرج الكرب في الدارين: هو الرسول الأمين صلوات الله وتسليماته عليه؛ لأنه أخرج النـــاس في الدنيا من ظلمة الغواية إلى نور الهداية، وهو في الآخرة صاحب الشفاعة العظمى.

(٦) الأمم: اليسير. وخفض جناح الذل: كناية عن شدة التواضع والانكسار.

(٧) العبرة: تحلب الدمع.

(٨) أمير الأنبياء: هو محمد صلى الله عليه وسلم. ولزوم بابه: كناية عن الالتجاء إلى كرمه، وعـــدم الانحراف عن التوسل به في قضاء الطلبات.

فكلُّ فضلٍ، وإحسـان، وعارفـةٍ ... ما بين مسـتلم منـه ومُلـتزم[1]

علقتُ من مدحِه حبـلاً أعـزُّ بـه ... في يوم لا عِزَّ بالأنسابِ واللُّحَـم[2]

يُزرِى قَريضى زُهَيْراً حين أمدحُـه ... ولا يقاسُ إلى جودى لدى هَـرِم[3]

محمدٌ صفـوةُ البـارى، ورحمتُـه ... وبغيَةُ الله من خَلْقٍ ومـن نَسَـم[4]

وصاحبُ الحوض يومَ الرُّسْلُ سـائلةٌ ... متى الورودُ؟ وجبريلُ الأمين ظَمى[5]

سناؤه وسـناهُ الشـمسُ طالعـةً ... فالجِرمُ في فلكٍ، والضوءُ في عَلَـم[6]

قد أخطأَ النجمَ مـا نـالت أبوَّتُـه ... من سؤددٍ باذخٍ في مظهَرٍ سَـنم[7]

نُمُوا إليه، فزادوا في الورى شـرَفاً ... ورُبَّ أصلٍ لفرعٍ في الفخارِ نُمـى[8]

حَوَاه في سُبحاتِ الطُّـهرِ قبلـهم ... نوران قاما مقام الصُّلبِ والرحِـم[9]

لمـا رآه بَحـيرا قـال: نعرِفُـه ... بما حفظنا من الأسماءِ والسـيم[10]

---

(١) العارفة: المعروف.

(٢) اللحم: جمع لحمة وهى القرابة.

(٣) يزرى: يعيب. والقريض: الشعر. وزهير: هو زهير بن أبي سلمى المزني، كان سـيدا، غنيـا في الجاهلية، معروفا بالحلم والحكمة، شاعرا فحلا. وهرم (بكسر الراء): هو هرم بن سنان بـن أبي حارثة المرى، مدح زهير هر ما فأحسن، ووصله هرم فأجزل الصلة وبالغ في العطاء.

(٤) النسم: جمع نسمة وهى النفس، أو هى الإنسان.

(٥) وجبريل الأمين ظمى: الملائكة لا تظمأ، فلعل مراده بالظمأ هنا لازمه وهو الطلب أى للنـاس، بمعنى أن حاله تقتضى ذلك إشفاقا على حالهم، لما يرهقهم من شدة الظمأ وحرج الموقف.

(٦) سناؤه: رفعته. وسناه: نوره. والعلم: هنا بمعنى العالم.

(٧) السؤدد: السيادة. والباذخ: العالى. والسنم (ككتف): المرتفع. وأبوته: أى ذوو أبوته، والأبـوة: المعنى المأخوذ من الأب كالأخوة والبنوة.

(٨) نموا: نسبوا.

(٩) السبحات (بضمتين): مواضع السجود. وسبحات وجه الله: أنواره.

(١٠) السيم: كعلب، جمع سيمة وهى العلامة. وبحيرا(بفتح الباء وكسر الحاء): الراهـب النصـراني المشهور.

سائلْ حِراءَ، وروحَ القدس: هـل عَلمـا ... مَصونَ سرٍّ عن الإدراكِ مُنْكتِـم؟[1]

كم جيئةٍ وذهاب شُـرِّفتْ بهمـا ... بَطحاءُ مكة في الإصباح والغَسَـم[2]

ووحشةٍ لابـنِ عبـد الله بينـهما ... أشهى من الأُنس بالأحساب والحشـم[3]

يُسامِر الوحيَ فيـها قبـل مهبطـه ... ومَن يبشر بسيمَى الخـير يَتَّسـم[4]

لما دعا الصَّحْبُ يستسقونَ من ظمـأ ... فاضتْ يداه من التسنيم بالسَّـنِم[5]

وظلَّلته، فصـارت تسـتظلُّ بـه ... غمامةٌ جذَبَتْـها خِـيرةُ الديَـم[6]

محبـةٌ لرسـولِ الله أُشـرِبَها ... قعائدُ الدَّيْرِ، والرُّهبانُ في القِمـم[7]

إن الشمائلَ إن رَقَّـتْ يكـاد بهـا ... يُغْرَى الجَمادُ، ويُغْرَى كل ذى نَسَـم

ونودىَ: اقـرأ، تعـالى الله قائلُـها ... لم تتصلْ قبل مَن قِيلَـتْ لـه بفـم

هنـاك أُذِّنَ للرحمـن، فـامتلأت ... أسماعُ مكَّةَ من قُدسـية النَّغـم[8]

---

(١) حراء: جبل بمكة فيه غار كان يتعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة، وروح القـدس: جبريل عليه السلام، والإضافة فيه من إضافة الصفة للموصوف، أى الروح القـدس، والقـدس: الطهر. ومصون سر: من إضافة الصفة للموصوف أى السر المصون. وقوله "منكتـم: وصـف مؤكد للسر المصون؛ لأن السر لا يكون إلا كذلك: وتنكير"سر" للتعظيم.

(٢) البطحاء: المسيل الواسع فيه دقاق الحصى. والغسم: الإمساء وظلمة الليل. الإصباح والغسم: أى من كل مرة كان يطلب فيها النبي صلى الله عليه وسلم حراء لا كل صباح وكل غسـم، فإنـه صلى الله عليه وسلم كان يتزود، فيقيم في حراء الليالي والأيام.

(٣) ابن عبد الله: هو النبي صلى الله عليه وسلم. والحشم: الخدم الخاصون بمولاهم. والوحشة الخلـوة والهم، والمراد بها هنا مجرد الخلوة والانقطاع عن الناس.

(٤) مهبطه: هنا بمعنى هبوطه.

(٥) التسنيم: ماء بالجنة يجرى فوق الغرف، وسنم الإناء تسنيما: فكأنه أراد بالسنم هنا الإناء المملوء. والأحاديث الواردة في نبع الماء من بين أصابعه الشريفة كثيرة.

(٦) الديم: جمع ديمة وهى المطر الدائم.

(٧) القعائد: جمع قعيدة، وقعائد الدير: ملازموه من متنسكة النصارى. والقمم: جمع قمة وهى أعلـى الرأس من كل شيء، والمراد بها هنا أعالى الجبل.

(٨) أذن للرحمن: أى دعا إلى الله. وقوله"من قدسية النغم" : ترشيح لتشبيه الدعـاء إلى الله تعـالى بالصوت الجميل، وقدسية النغم: النغم المطهرة المنزهة عن تطريب الغناء بتكبير الألفاظ واعتصـار الحناجر وإيقاع الأصوات.

فلا تسلْ عن قريش كيف حَيرتُها؟ وكيف نُفرتُها في السهل والعَلَم؟[1]

تساءلوا عن عظيمٍ قد ألمَّ بهم رمَى المشايخَ والولدانَ باللَّمم[2]

يا جاهلين على الهادى ودعوته هل تجهلون مكانَ الصادق العَلَم[3]

لقَّبتموهُ أمينَ القومِ في صِغرٍ وما الأمينُ على قولٍ بمتَّهَم

فاق البدورَ، وفاق الأنبياءَ، فكمْ بالخُلق والخَلق مِن حسْن ومِن عِظم

جاء النبيون بالآيات، فانصرمت وجئتنا بحكيمٍ غيرِ مُنصرَم[4]

آياتُه كلَّما طالَ المدَى جُدُدٌ يَزينُهنّ جلالُ العِتق والقِدم[5]

يكاد في لفظةٍ منه مشرَّفةٍ يوصيك بالحق، والتقوى، وبالرحم

يا أفصحَ الناطقين الضادَ قاطبةً حديثُك الشَّهدُ عند الذائق الفهِم

حَلَّيتَ من عَطَل جيدَ البيانِ به في كلِّ مُنتَثرٍ في حسن مُنتظِم[6]

---

(١) فلا تسل: يعني أن الأمر واضح وغنى عن السؤال، يقال عند ظهور الأمر ووضوحه: لا تسأل. العلم: الجبل.

(٢) ألم: نزل واللمم (محركة) : الجنون، والمعنى أنه قد أقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الأمر العظيم الذي نزل بهم، وهو أن يقوم رجل ليس له ما لهم من البأس والمنعة يزعجهم عما كان يَعْبُدُ آباؤهم- وهم سادات قريش وحماتها- ويأخذهم عما ألفوا من عاداتهم وأخلاقهم المغروزة فيهم، دهشوا لهذا واستعظموه، حتى جن منه شيبهم وشبابهم.

(٣) العلم: الظاهر المشتهر. والجاهلون على الهادى: المتعنتون، والاستفهام في قوله "هل تجهلون": استنكارى.

(٤) انصرمت: انقطعت. منصرم: منقطع. الحكيم: القرآن، وقد وصفه الله تعالى بالحكيم في مواضع منه.

(٥) جدد: جمع جديد كسرر وسرير.

(٦) يقال: عطلت المرأة عطلا إذا لم يكن عليها حلى.

بكلِّ قـــول كـــريمٍ أنـــت قائلُـــه ... تُحْيِي القلوبَ، وتُحْيِي ميِّتَ الهِمَـــم

سَرَتْ بشـــائِرُ بالهـــادى ومولـــدِه ... في الشرق والغرب مَسْرَى النور في الظلَـــم

تخطَّفتْ مُهَجَ الطاغين مـــن عـــربٍ ... وطيَّرت أنفُسَ الباغين من عجـــم[1]

ريعت لها شُرَفُ الإيوان، فـلنصدعت ... من صدمة الحق، لا من صدمة القُـــدم[2]

أتيتَ والناسُ فَوْضىَ لا تمـــرُّ بهـــم ... إلاّ على صنَم، قد هـــام في صنـــم

والأرض مملوءةٌ جـــوراً، مُسَـــخَّرَةٌ ... لكلّ طاغيـــة في الخَلْـــق مُحتكِـــم

مُسَيطِرُ الفـــرْسِ يبغـــى في رعيَّتـــه ... وقيصرُ الروم من كِبْر أصـــمُّ عَـــمِ

يُعذِّبـــان عبـــادَ الله في شُـــبهٍ ... ويذبَحان كمـــا ضحَّيـــت بـــالغَنَم

والخلقُ يَفْتِك أقواهـــم بأضعفِـــهم ... كاللَّيث بالبَهْم، أو كـــالحوت بـــالبَلَم[3]

أسَرى بك الله ليـــلاً، إذ ملائكـــة ... والرُّسْلُ في المسجد الأقصى على قـــدَم[4]

لما خطرتَ بـــه التفُّـــوا بسـيدهم ... كالشُّهْب بالبدر، أو كالجُند بـــالعلم

صلى وراءَك منهم كل ذى خطـــرٍ ... ومـــن يفُـــز بحبيـــبِ الله يـــأتمِ[5]

جُبْت السمواتِ أو ما فوقهن بهـــم ... علـــى منـــوّرةٍ دُرِّيَّـــةِ اللجُـــم[6]

---

(١) مهج: جمع مهجة وهى دم القلب.

(٢) ريعت: ذعرت وخافت. وشرف: جمع شرفة وهى ما يوضع على القصور ونحوها. والقدم: جمع قدوم، روى أن شرف الإيوان- وهو مأوى سلطان الأكاسرة-ارتجت وهوت ليلة مولده صلى الله عليه وسلم، لم تعمل فيها المعاول و لم تهدمها القدم، بل تداعت من صدمة الحق.

(٣) البهم: جمع بهمةوهى ولد الضأن والمعز. والبلم: صغار السمك.

(٤) المسجد الأقصى: بيت المقدس. وعلى قدم: قائمون محتشدون.

(٥) ذى خطر: ذى قدرة ومنـزلة. ويأتمم: أى يأتم، والأصل: ومن يأتم بحبيب الله يفز، ولكنه قلب للمبالغة والمبادرة بذكر الفوز.

(٦) بهم: أى بملابسة بعضهم فيها، فإنه ورد أنه مر ببعضهم في السموات لا كما هو المتبادر من قوله إنهم صاحبوه حين جاب السموات. ويريد بقوله "منورة درية اللجم" : البراق.

رَكوبة لك من عزٍّ ومـــن شـــرف ... لا في الجياد، ولا في الأَيْنُق الرسُـم[1]

مَشِيئةُ الخـــالق البـــارى، وصَنعتُـــه ... وقدرةُ الله فـــوق الشـــك والتُّـــهَم

حتى بلغـــتَ سمـــاءً لا يُطـــارُ لهـــا ... على جناحٍ، ولا يُسْعَى على قـــدم

وقيـــل: كـــلُّ نـــبيٍّ عنـــد رتبتـــه ... ويا محمدُ، هـــذا العـــرشُ فاســـتلم

خطَطت للدين والدنيـــا علومَـــهما ... يا قارىء اللوح، بل يا لامـــسَ القَلَـــم[2]

أحطْتَ بينهما بالسرِّ، وانكشـــفتْ ... لك الخزائنُ من عِلْمٍ، ومن حِكَـــم[3]

وضاعَفَ القُربُ ما قُلِّدْتَ من مِنَـــنٍ ... بلا عِداد، وما طُوِّقتَ من نعـــم[4]

سلْ عصبةَ الشِّركِ حولَ الغارِ سالمةً ... لولا مطاردةُ المختـــار لم تُســـم[5]

هل أبصروا الأثر الوضَّاءَ، أم سِـمعوا ... همْسَ التسابيحِ والقرآن من أَمَـــم؟[6]

وهل تمثَّل نســـجُ العنكبـــوتِ لهـــم ... كالغابِ،والحائماتُ الزُّغْبُ كـــالرخم؟[7]

---

(١) "من" في قوله "من عز ومن شرف" : للتعليل، أى لأجل عزك وشرفك. والأنيق الرس: النـــوق الشديدة الوطء لقوتها، حتى كأنها ترسم في الأرض بمشيها آثارا ظاهرة. والرسم: واحدها رســوم. والجياد: جمع جواد وهو الفرس الرائع البين الجودة.

(٢) خطه علوم الدين والدنيا: كناية عن تعليمها الناس وبثها فيهم. وقراءة اللوح ولمس القلم: كنايـة عن اطلاع الله له على ما أطلعه عليه من الغيوب.

(٣) عن ابن عباس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: "علمني ربي ليلة الإسراء علوما شـتى: علم أخذ على كتمانه، وعلم خيرني فيه، وعلم أمرني بتبليغه".

(٤) يجوز أن يكون "القرب" فاعلا لـــ "ضاعف"، و"ما" وما بعدها مفعولا به، والمعنى أن قربه مـــن الله تعالى قد أربى على جميع ما وليه صلى الله عليه وسلم من النعم التى لا يدركها العد، فكـــانت بإضافة القرب إليها أضعاف ما كانت قبله، ويجوز أن يكون مفعولا، والفاعل "ما" وما بعدهـــا، والمعنى أن ما تجلى الله تعالى عليه به من النعم التى لا تعد وأولاه من الفضائل التى لا تحصى قـــد زاد قربه؛ لأنه قرب على قرب، والأول أولى.

(٥) عصبة الشرك: أى عصبة من أهل الشرك الذين ذهبوا يطلبونه صلى الله عليه وسلم يوم هجرتـه. والغار: كالثقب بجبل أسفل مكة. سالمة: راعية.

(٦) من أمم: من قرب.

(٧) الغاب: الشجر الكثير المتكاثف. والحائمات الزغب: الحمام. والرخم: جمع رخمة وهى طائر على شكل النسر إلا أنه منقط السواد والبياض.

فأدبروا، ووجوهُ الأرضِ تلعنُهم ... كباطلٍ من جلالِ الحق منهزِم[1]

لولا يدُ الله بالجارَيْنِ ما سلما ... وعينُه حولَ ركنِ الدين؛ لم يقم[2]

توارَيا بَجناح الله، واستترَا ... ومن يضُمُّ جناحُ الله لا يُضَم[3]

يا أحمدَ الخيرِ، لى جاهٌ بتسْمِيَتى ... وكيف لا يتسامى بالرسولِ سمِى؟[4]

المادحون وأربابُ الهوى تَبَعٌ ... لصاحب البُرْدة الفيحاءِ ذى القَدَم[5]

مديحُه فيك حبٌّ خالصٌ وهوىً ... وصادقُ الحبِّ يُملي صادقَ الكلم[6]

الله يشهدُ أنى لا أُعارضه ... من ذا يعارضُ صوبَ العارض العَرِم؟[7]

وإنَّما أنا بعض الغابطين، ومَن ... يغبِطْ وليَّك لا يُذمَمْ، ولا يُلَم[8]

هذا مقامٌ من الرحمنِ مُقتَبسٌ ... تَرمى مَهابتُه سَحْبانَ بالبَكم[9]

البدرُ دونكَ في حسنٍ وفي شرف ... والبحُر دونك في خير وفي كرم

شُمُّ الجبالِ إذا طاولتَها انخفضت ... والأنجُمُ الزُّهرُ ما واسمتَها تسِم[10]

---

(١) شبه إدبارهم ونكوصهم على أعقابهم خائبين بدمغ الباطل وإدحاضه، قال الله تعالى: {بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق}. ونسبة اللعن لوجوه الأرض مجاز عقلى، واللاعن: من فيها من المسلمين والملائكة، أو المراد وجوه أهلها أى أعيانهم وأفاضلهم.

(٢) الجاران: الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه. والمراد باليد: النعمة. وعينه: عنايته، وحرف الشرط مقدر في الجملة الثانية.

(٣) جناح الله: لطفه وستره: ويضم: يلحق به الضيم.

(٤) من أسمائه صلى الله عليه وسلم: أحمد، وقد سمى الشاعر به تيمنا باسم الرسول الأكرم. ويتسامى: يتعالى، والاستفهام في البيت إنكارى.

(٥) تبع: أخبر بالمصدر مبالغة، وأفرده لأنه يستوى فيه الواحد والجمع، أو على تقدير مضاف، أى ذوو تبع، لأنهم مقتدون به. والقدم: التقدم والمنزلة. وصاحب البردة: هو الإمام البوصيرى.

(٦) مديحه حب: أى ناشيء من الحب، أو ذو حب أى دال عليه.

(٧) الصوب: الانصباب، ويجئ السماء بالمطر. والعارض: السحاب المعترض في الأفق. والعرم: يريد المطر الشديد.

(٨) الغابط: الذي يتمنى مثل ما للغير، وليس هذا القدر بمذموم. ويذمم: يذم.

(٩) البكم: الخرس. وسحبان: هو سحبان وائل من بنى باهلة، كان يضرب بفصاحته المثل.

(١٠) يقال: واسمه في الحسن فهرسمه أى غلبه فيه. انخفاض الجبال: كناية عن ظهورها قصيرة بالنسبة

والليثُ دونكَ بأساً عند وثبته ... إذا مشيتَ إلى شاكى السلاح كَمى[1]

تهفوا إليكَ- وإن أدميتَ حبَّتها ... في الحرب- أفئدةُ الأبطالِ والبُهَم[2]

محبةُ الله ألقاها، وهيبتُه ... على ابن آمنةٍ في كلِّ مُصطدم[3]

كأن وجهَك تحت النَّقع بدرُ دُجى ... يضيءُ مُلْتَثِماً، أو غيرَ مُلتثم[4]

بدرٌ تطلَّعَ في بدر، فغُرَّته ... كغُرَّة النصر، تجلو داجيَ الظلَم[5]

ذُكرْت باليُتْم في القرآن تكرمةً ... وقيمةُ اللؤلؤ المكنونِ في اليُتم[6]

الله قسَّمَ بين الناس رزقَهُمُ ... وأنت خُيِّرتَ في الأرزاق والقِسم[7]

إن قلتَ في الأمر: "لا"، أو قلتَ فيه: "نعم" ... فخيرَةُ الله في "لا" منك أو "نعم"

أخوك عيسى دَعَا ميتاً، فقام لهُ ... وأنت أحييتَ أجيالاً مِن الرِّمم

والجهْل موتٌ، فإن أُوتيتَ مُعجزةً ... فابعثْ من الجهل أو فابعثْ من الرَّجَم[8]

قالوا: غزَوْتَ، ورسْلُ الله ما بُعثوا ... لقتْل نفس، ولا جاءُوا لسفكِ دم

جهلٌ، وتضليلُ أحلامٍ، وسفسطةٌ ... فتحتَ بالسيفُ بعد الفتح بالقلم

لارتفاع قدره صلى الله عليه وسلم وعلو شأنه.

(١) الكمى: لابس السلاح.

(٢) تهفو: هفا الظبي في المشى يهفو هفوا وهفوانا: أسرع وخف فيه، والمراد هنا شدة ميل القلوب له وانجذابها إليه صلى الله عليه وسلم. وحبة القلب: سويداؤه. والمبهم: جمع بهمة وهو الشجاع.

(٣) مصطدم: بمعنى المصدر أى الاصطدام، أو الموضع أى موضع الاصطدام وهو ميدان الحرب.

(٤) النقع: غبار الحرب.

(٥) بدر: موضع بين الحرمين الشريفين، وفيه كانت الغزوة المشهورة التى دفع فيها الشرك وأعز الإسلام.

(٦) اليتم في الناس: فقدان الأب، وهو في الأشياء: التفرد وعدم وجود نظائر لها. واللؤلؤة اليتيمة: التى لا نظير لها في العقد. ذكرت باليتم في القرآن: يشير إلى قوله تعالى: {ألم يجدك يتيما فآوى}، وحرك التاء اتباعا لحركة الياؤ قبلها في قوله"اليتم"، ولا يخفي ما فيه من حسن التعليل.

(٧) روى الترمذى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "عرض عليّ ربي أن يجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوما وأجوع يوما".

(٨) والجهل موت: كالترشيح للاستعارة في البيت السابق، وهو تشبيه بليغ. وأوتيت: خطاب لغير معين والرجم: القبر.

لما أتى لكَ عفوًا كلُّ ذى حَسَـــبٍ تكفَّلَ السيفُ بالجهالِ والعَمَـــم[1]

والشرُّ إن تَلْقَهُ بالخيرِ ضِقـــتَ بـــه ذَرْعاً، وإن تَلْقَهُ بالشـــرِّ يَنحسِـــم

سل المسيحيَّةَ الغراءَ: كم شـــربت بالصّاب من شَهوات الظالم الغَلِم[2]

طريدةُ الشركِ، يؤذيها، ويوســـعُها في كلِّ حينٍ قتالاً ساطعَ الحَـــدَم[3]

لولا حُماةٌ لهـــا هبُّـــوا لنصرَتِـــها بالسيف؛ ما انتفعتْ بـــالرفق والرُّحَـــم[4]

لولا مكانٌ لعيســـى عنـــد مُرسِـــلِه وحُرمَةٌ وجبتْ للروح في القِـــدَم[5]

لسُمِّرَ البدَنُ الطُّهرُ الشريفُ علـــى لَوْحَيْن، لم يخشَ مؤذيه، و لم يَجِـــم[6]

جلَّ المسيحُ، وذاقَ الصَّلْبَ شـــانئهُ إن العقابَ بقدرِ الذنبِ والجُـــرُم[7]

---

(١) العمم: اسم جمع للعامة.

(٢) الغلم: الهائج الثائر.

(٣) الحدم (بالتحريك): شدة احتراق النار.

(٤) الرحم: الرقة والمغفرة والتعطف لم يكن استعمال القوة في إقامة الدعوة للديـــن شـــأن الديـــن الإسلامي وحده، وهذه الديانة المسيحية الموصوفة بديانة الرهبنة والسلام. لم تبدأ الدعوة إليـــها حتى أصاب أهلها ما أصابهم، من الطرد والقتل والتعذيب والتشريد والتمثيل، بـــأيدى الجبـــابرة الطغاة من الملوك والقياصرة، بل بأيدى الشعوب والأمم، وتاريخ المسيحية بين أهل روميـــة ممـــا تشيب له الولدان، فترى الدين المسيحى دين الرهبنة والسلام ما دخل البـــلاد إلا علـــى رءوس الأسنة، ولا حمل إلى الأمم إلا على متون السيوف.

(٥) المكان: المكانة بمعنى القرب وارتفاع المنـــزلة؛ لأن الله تعالى منـــزه عـــن المكـــان والجهـــة. ووجبت: ثبتت له من القدم؛ لأن الله تعالى علم الأشياء وأرادها أزلا فصارت واجبة، بمعنى أنها لم تتخلف أبدا، والخبر محذوف في قوله: "مكان" و"حرمة": أى ثابتان.

(٦) لسمر: جواب الشرط في البيت السابق. والطهر: الطاهر من أدران المعاصي، ووصف بـــالمصدر مبالغة. واللوحان: الصليب الذي أعد له عليه السلام. والمراد بالتسمير الصلب. لم يجم: لم يفزع.

(٧) جل المسيح: تنـــزه عما رماه به اليهود من كاذب التهم وباطل الأقاويل، وعما زعموا من أنهـــم صلبوه [وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم]. وشانئه: مبغضه. وحرك الراء في قوله "والجـــرم" اتباعا لحركة الجيم قبلها.

أخُـو النـبي، وروحُ الله في نُـزل ... فوقَ السماءِ ودون العرشِ مُحترَم[1]

علَّمتَهم كلَّ شـيءٍ يجـهلون بـه ... حتى القتالَ وما فيه مـن الذِّمَـم[2]

دعوتَهم لِجِـهادٍ فيـه سـؤددُهُمْ ... والحربُ أُسُّ نظامِ الكونِ والأُمَـم

لولاه لم نـر للـدولاتِ في زمـن ... ما طالَ من عمد، أو قرّ من دُهُـم[3]

تلك الشواهِدُ تـترى كـلَّ آونـةٍ ... في الأعصر الغُرِّ، لا في الأعصُرِ الدُّهُـم[4]

بالأمس مالت عروشٌ، واعتلت سُـرُرٌ ... لولا القذائفُ لم تَثْلَمْ؛ و لم تصـم[5]

أشياعُ عيسى أعَدُّوا كـلَّ قاصمـةٍ ... و لم يُعِد سِوى حالاتِ مُنقصِـم[6]

---

(١) أخو النبي: أى في الرسالة. روح الله أى : روح منه، قال تعالى: [إنما المسيح عيسى ابـن مـريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منهْ] (النساء) وسمى روحا لإحيائه المرتـى بـإذن الله، ولأنه نفخة من جبريل، قال تعالى: [فنفخنا فيه من روحنا]، ونسبة النفخ إلى الله تعـالى مجـاز، و"من" في الآية للابتداء، فوق السماء: أى السماء الدنيا. محترم: صفة لقوله "مزلّ" بضمتين، وهـو في الأصل المترل، وما هيىء... الخ. وما هيئ للضيف أن ينزل عليه.

(٢) الذمم: جمع ذمة، وهى العهد والأمان، والحق.

(٣) عمد: جمع عمود. وقر: ثبت ودعم، جمع دعام وهو عماد البيت، والدعم هنا كناية عما يستقيم به نظام المالك، ويرتفع به شأن الأمم.

(٤) الغر: جمع أغر: صفة لذى الغرة، وهى بياض في الجبهة، والأعصر الغر: التى ساد فيـها العلـم وعمت أسباب العدل. الدهم: المظلمة التى شاع في أهلها الجهل وفشا فيهم الظلم.
ما زالت الغلبة للقوة، ولا زالت معتمد الدول ومستند الأمم، في رفع عماد الملك، وتثبيت دعامـة الحكم، استوت في ذلك الأزمان السالفة التى يظنونها أزمان تأخر وتقهقر، والأيام الحاضرة الـتى يزعمونها أيام تقدم وتنور. وفي البيت الطباق.

(٥) اعتلت: علت.

(٦) قاصمة: كاسرة: ومنقصم: منكسر. في هذا البيت مقارنة بين أهل الديانـة المسـيحية، وأهـل الديانة الإسلامية، فذكر أن المتشيعين اليوم إلى الدين المسيحى "دين الهدوء والسلام" هـم أهـل القوة الحربية، الدائبون على إعداد المهلكات في الحروب، حتى كأنهم أصبحوا، و لم يبق لهم مـن شغل يشغلهم، إلا استخراج الذهب من بطون الأرض، وإنفاقه على مصانع الحديـد والفـولاذ لطبع آلات الحرب في طول الأرض وعرض البحر، وقد افتنوا في أسباب الإهلاك والتجمـير، و لم يكفهم أن يدمدموا على الناس، ويأخذوهم بالبلاء عن يمائهم وعن شمائلهم، ومن خلفهم ومـن تحت أرجلهم، حتى قاموا على تسخير الرياح، ليرموهم من فوق رءوسهم بكل دهياء، على حـين أن أهل الديانة الإسلامية، الذين يتهمهم الظالمون بحب الفتح والجهاد ويشنون سمعتـهم بحـب

مهما دُعِيتَ إلى الهَيْجَاء قمت لهـــا ... ترمى بأسْدٍ، ويرمى الله بـــالرُّجُم[1]

على لِوَائِكَ منـــهم كـــلُّ مُنتقِـــمٍ ... لله، مُســـتقتِل في الله، مُعـــتزِم[2]

مُســـبِّحٍ للقـــاءِ الله، مُضطـــرِم ... شوقاً، على سابحٍ كالبرقِ مضطرِم[3]

لو صادفَ الدهرَ يَبغِي نقلةً، فرمـــى ... بعزمِهِ في رحالِ الدهـــرِ لم يَـــرِم[4]

بيضٌ، مَفاليلُ من فعلِ الحروبِ بهـــم ... من أسْيُف الله، لا الهندية الخُـــذُم[5]

كم في التراب إذا فُتشت عن رجـــلٍ ... من ماتَ بالعهدِ، أو من مات بالقسَـــم[6]

لولا مواهبُ في بعضِ الأنـــام لمـــا ... تفاوت الناسُ في الأقدار والقيَـــم[7]

الطعن والجلاء، والولوغ في دماء العباد، هم القوم أهل السكينة والسلام، وهيهات أن يدانو أهـل الديانة المسيحية في حب الفتوح والحروب، أو يشاكلوهم في ادخار آلات الحـــرب واستعداد معدات الكفاح.

(١) الهيجاء: الحرب. الرجم: النجوم التي يرمى به. رجع إلى خطابه صلى الله عليه وسلم، وشبه أصحابه بالأسود، لما لهم من شجاعتهم وبأسهم ورميه بهم: كناية عن ندبـــه إياهم للجـــهاد، وتقدمهم إلى مواطن الطعن والجلاد. والرمى بالرجم يكون للشياطين، ففيه استعارة مكنيـــة، أى إنهم كالشياطين يرمون بالرجم.

(٢) على لوائك: أى منضو تحت لوائك. استعارة العلو للتحتية استعارة تمليحية.

(٣) الاضطرام: توقد النار وتأججها. سابح: جواد، شبه حميتهم ونشاطهم في الحرب وحولاتهم فيـها باضطرام النار: وهو توقدها، وتأججها، وأخذها يمينا وشمالا، واستعار الاضطرام لذلك المعـنى، ثم اشتق منه مضطرم، على سبيل التبعية.

(٤) يبغى: يريد. وشبه العزم بالسهم، بجامع المضاء والنفوذ في كل وشبه الدهر بذى رحال، بجـــامع التحول في كل، وحذف المشبه به، ورمز إليه بلازمه- وهو الرحال- على طريقـــة الاســـتعارة المكنية- لم يرم: لم ينتقل و لم يتحول.

(٥) مفاليل: الفل الثلم في السيف. والهندية: نسبة إلى الهند كانت مشتهرة بطبع السيوف. والخـــذم: جمع خذم، ككتف السيف القاطع. بيض : أى سيوف بيض. شبههم بالسيوف لإزهاقهم نفـوس الأعداء وهو تشبيه بليغ. ومفاليل ترشيح للتشبيه بالسيوف.

(٦) بالعهد: أى احتفاظا بما عاهدوا الله ورسوله عليه من نصرته للرسول. من: تفصيل لحال الرجـل، أو تفصيل لمعنى "كم".

(٧) أشار في هذا البيت إلى أن ما ناله أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، من الفوز بالســـعادة، وارتفاع الدرجة عند الله تعالى، إنما كان بما تقدم لهم من الفضائل، والبـــلاء في نصـــرة الديـــن، وتعرضهم للقتل والطعن في سبيل الله تعالى، ولولا ذلك ما كان لهم فضل على سائر النـــاس، ولا

شريعةٌ لك فجـرت العقـول بهـا ... عن زاخرٍ بصنوفِ العلـم ملتطـمِ
يلوحُ حولَ سنا التوحيدِ جوهرُهـا ... كالحلْى للسيف أو كالوشْى للعَلَم[1]
غرّاءُ. حامت عليها أنفسٌ، ونُـهى ... ومن يَجدْ سَلسَلاً من حكمةٍ يَحُم[2]
نورُ السبيل يساس العـالَمون بهـا ... تكفّلتْ بشباب الدهـرِ والهَـرَم[3]
يجرى الزمّانُ وأحكامُ الزمانِ علـى ... حُكم لها. نافِذٍ في الخلق، مُرْتَسـمِ
لما اعتلت دولةُ الإسلامِ واتسـعَت ... مشتْ ممالِكَهُ في نورِهـا التَّمـم[4]
وعلّمـتْ أُمـةً بـالقفر نازلـةً ... رعْىَ القياصِر بعد الشَّـاءِ والنَّعَـم
كم شيَّد المصلحُون العـاملون بهـا ... في الشرق والغرب مُلكاً باذخَ العِظَم
للعلم. والعدلِ. والتمدينِ ما عزمـوا ... من الأمور، وما شدُّوا من الحُـزُم[5]
سرعان ما فتحـوا الدنيـا لملّتـهم ... وأنهلوا الناسَ من سَلسالها الشَّبِـم[6]
ساروا عليها هُداةَ الناس، فَهْى بهـم ... إلى الفلاحِ طريقٌ واضحُ العظَـم[7]

عدت درجتهم منـزلة غيرهم من العالمين.

(١) الوشى: النقش.

(٢) حامت: عطفت ومالت. ونهى: جمع نهيه وهى العقل. والسلسل: الماء العذب.

(٣) نور السبيل: لأنها يهتدى بها إلى غاية النجح والفلاح في الدنيا، والفوز والسعادة في الآخرة. وشباب الدهر والهرم: كناية عن أوله وآخره، أو عن حالتى إقباله وإدباره. وتكفلها بشباب الدهر.. الخ: أى تكفلها بما يعلى أهلها، ويصلح من شأنهم على كل حال من الأحوال، بلا تغيير في أحكامها ولا تبديل لنصوصها.

(٤) التمم: التام.

(٥) الحزم: جمع حزام.

(٦) سرعان: اسم فعل، يستعمل خبرا محضا، وخبرا فيه معنى التعجب يقال: سرعان ما فعل كذا: أى ما أسرعه. والنهل: أول الشرب، تقول: أنهلت الإبل إذا شربت من أول الورد. والسلسال: الماء العذب. والشبم: البارد.

(٧) ساروا عليها: أخذوا بها وجروا على أحكامها. هداة الناس: أى حالة كونهم هادين للناس فهى: أى الملة بهم: أى بسبب قيامهم بها ونشرهم لها.

لا يهدِمُ الدَّهرُ رُكناً شاد عدلُهُمُ ... وحائط البغي إن تلمسْهُ ينهدِم

نالوا السعادةَ في الدَّارين، واجتمعوا ... على عميم من الرضوان مقتسَم

دعْ عنك روما، وآثينا، وما حَوَتا ... كلُّ اليواقيت في بغدادَ والتُّوَم[1]

وخلِّ كِسرى، وإيواناً يدلُّ به ... هوى على أثرِ النيران والأُيُم[2]

واترُكْ رعمسيسَ، إن الملكَ مَظهرُه ... في نهضة العدل، لا في نهضة الهرَم[3]

دارُ الشرائع روما كلّما ذُكِرَتْ ... دارُ السلام لها أُلقتْ يدَ السَّلَم[4]

ما ضارَعَتها بياناً عند مُلتَأم ... ولا حكَتها قضاءً عند مُختصَم[5]

---

(١) روما: هي المدينة المعروفة الآن بهذا الاسم، قاعدة لمملكة إيطاليا، وكانت في الزمن السابق قاعدة لمملكة الرومان المشهورة. وأثينا: قاعدة مملكة اليونان الآن، وكانت من أكبر مدن الأمة اليونانية في العصور السابقة. وبغداد: قاعدة الخلافة الإسلامية في دولة بني العباس، والتوم: جمع ترمة: وهي الحبة من الفضة تعمل على شكل الدرة.

(٢) كسرى: لقب لكل من يلي ملك فارس. والنيران: لعله يريد بها نيران فارس، التي خبت ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك أيام كسرى أنو شروان. والأيم: الدخان.

(٣) الهرم: الأهرام في مصر كثيرة وأشهرها أهرام الجيزة الثلاثة. وأكبرها أشهرها وأعجبها، حتى إذ ذكر لفظ الهرم صرف إليه، ورعمسيس اسم بعض الفراعنة "ملوك مصر القدماء"، وقد تسمى بهذا الاسم غير واحد منهم، ولعل الشاعر يريد أولئك الفراعين- على الجملة- الذين ينتسب مجدهم إلى مثل هذا العمل الخطير، وإن كان باني الهرم ليس رعمسيس بعينه.

(٤) دار السلام: بغداد. والسلم: التسليم.

(٥) ملتأم: مجتمع. مختصم: بمعنى المصدر: أي اختصام. كما اشتهرت (روما) بقضائها وقوانينها قد اشتهرت بخطبائها وشعرائها، وكان من عادة الرومانيين أنهم إذا نزل بهم الأمر العظيم، نفروا إلى بعض أماكنهم العامة، فخطبهم الخطباء، وأنشدهم الشعراء، الذين كان لفصاحة ألسنتهم في الناس تأثير عجيب، ومع هذا فما دانوا في قضائهم شأو بغداد، التي كان يقضى فيها بدين الله، وهو أجل من أن يقاس به غيره، ويوازن به سواه، ولا بلغوا في فصاحتهم شأن فصحاء الدولة العباسية، الذين قالوا في كل باب، فهزوا النفوس وخلبوا الألباب.

ولا احتوت في طِراز من قياصِرهـــا ... على رشيدٍ، ومأمونٍ، ومُعتصِـــم[1]

. من الذيـــن إذا ســـارت كتائبُـــهم ... تصرّفوا بحدود الأرض والتخُـــم[2]

ويجلســـونَ إلى علـــمٍ ومَعرفـــةٍ ... فلا يُدانـــوْن في عقـــل ولا فَـــهَم

يُطأطىء العلماءُ الهـــامَ إن نَبَســـوا ... من هيبة العلْم، لا من هيبة الحُكُـــم

ويُمطرون، فما بالأرض من مَحَـــلٍ ... ولا بمن بات فوق الأرضِ من عُـــدُم[3]

خلائفُ الله جلُّـــوا عـــن موازنـــةٍ ... فلا تقيسن أملاكَ الـــورى بهـــم[4]

مَنْ في البرية كالفـــاروق مَعْدَلَـــةً؟ ... وكابن عبد العزيز الخاشعِ الحشم؟[5]

وكالإمام إذا مـــا فَـــضَّ مزدحمـــاً ... بمدمع في مآقي القـــوم مزدحـــم[6]

الزاخر العـــذْب في علْـــم وفي أدبٍ ... والناصر النَّدْب في حرب وفي ســـلم؟[7]

---

(١) الطراز: علم الثوب، والجيد من كل شيء. ولا احتوت على رشيد. إلخ، أى علـــى أمثـــالهم في الفضل والعدل والحزم. ورشيد: هو هارون الرشيد. ومأمون: هو عبد الله المأمون بـــن هـــارون الرشيد الخليفة العباسي المشهور. ومعتصم: هو أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشـيد، ولى الخلافة يوم وفاة أخيه المأمون.

(٢) الكتائب: جمع كتيبة. وهى الجيش. والتخم، كعنق: جمع تخوم وهى الفواصل بين الأرضين مـــن معالم الحدود.

(٣) المحل: الجدب. والعدم: فقدان المال.

(٤) خلائف الله: هذا قول مستأنف عام لجميع الخلفاء المتقدمين والمتأخرين وذكر الخلفاء الراشـــدين بعده من ذكر الخاص بعد العام، إهتماماً بشأنهم، وورعه، وتشبيه بهم، واقتدائه في عبـــد العزيـــز رضي الله عنه، لشدة فضله وورعه، وتشبهه بهم. واقتدائه في حكومته بحكومتهم، فكان حقيقـــا أن يذكر فيهم؛ ويلحق بهم.

(٥) المعدلة: العدل.

(٦) الإمام: هو الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه. ومآقي العيون: أطرافها مما يلى الأنـــوف، وهى مجارى الدمع.

(٧) يقال: رجل ندب، أى خفيف في الحاجة سريع ظريف نجيب.

أو كابن عفّانَ والقـــرآنُ في يـــدهِ ... يحنو عليه كما تحنو على الفُطُـــم[1]

ويجمـــع الآى ترتيبـــاً وينظمُـــها ... عقداً بجيد الليالي غـــير منفصِـــم[2]

جُرحان في كبدِ الإسلام ما التأمـــا ... جُرْحُ الشهيد، وجرحٌ بالكتاب دمـــى[3]

ومـــا بـــلاءُ أبي بكـــر بمتَّـــهم ... بعد الجلائل في الأفعـــال والخِـــدم

بالحزم والعزم حاطَ الدين في محـــنٍ ... أضلّت الحلم من كهل ومحتلـــم[4]

وحِدْنَ بالراشد الفاروق عن رشـــدٍ ... في الموت، وهو يقينٌ غير منبَـــهم[5]

يجـــادلُ القـــومَ مُسْـــتَلاً مـــهنَّدَه ... في أعظم الرسْلِ قدراً، كيـــف لم يـــدم؟

---

(١) ابن عفان: هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه. والفطم: جمع فطيم، وهـــو الصـــبي المفصول عن الرضاع.

(٢) وجرح بالكتاب دمى: أى وجرح دمى به الكتاب، وقلب للمبالغة. وذلك أن قتلـــه عثمـــان - رضي الله عنه- دخلوا عليه الدار، وخبطوه بالسيوف وهو صائم، والمصحف في حجره، وهـــو يقرأ فيه، فوقع المصحف من يده وسال الدم عليه.

(٣) يشير إلى حروب الردة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وانتصاره على المرتدين.

(٤) يقول: ما ظنك بتلك المحن التى تنحرف بعمر رضي الله عنه عن الرشد وله ما تعلم من كمـــال الرشد، ووفور العقل، وصدق اليقين، وتذهله عن إدراك أمر من أظهر البديهيات لديه، هـــو أن يدرك الموت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٥) وذلك أنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال الناس: مات رسول الله، أسرع عمـــر إلى سيفه وتوعد من يقول ذلك، وقال إن لأرجو أن يقطع أيدى رجال وأرجلهم، فلما حضـــر أبو بكر، وأخبر الخبر، كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أكب عليـــه، فقبلـــه وبكى، ثم قال: بأبى أنت وأمى، والله لا يجعل الله عليك موتتين، ؟أما الموتة التى كتبت عليك فقد متها. ثم خرج إلى الناس، وقال: ألا من كان يعبد محمد فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبـــد الله فإن الله حى لا يموت.

لا تعذلوه إذا طاف الذهـــولُ بـــه ... مات الحبيبُ، فضلَّ الصَّبُّ عن رَغَـم

يا ربِّ صَلِّ وسلِّم ما أردتَ علـــى ... نزيل عرشِك خيرِ الرسْـــل كلّـــهم

مُحيي الليالي صـــلاةً، لا يقطِّعُـــها ... إلاّ بدمع من الإشـــفاق مُنسـجم

مسبِّحاً لك جُنْحَ الليـــل، محتمـــلاً ... ضُرًّا من السُّهد، أو ضُرًّا من الـــورَم

رضيَّة نفسُـــه، لا تشـــتكي ســـأماً ... وما مع الحبِّ إن أخلصت مِن سَـــأم

وصلِّ ربِّي علـــى آلٍ لـــهُ نُخَـــبٍ ... جعلتَ فيهم لواءَ البيتِ والحـــرم[1]

بيضُ الوجوه، ووجهُ الدهـــر ذو حَلَـــكٍ ... شُمُّ الأنوف، وأنفُ الحادثات حمـــى[2]

وأهد خيرَ صـــلاةٍ منـــك أربعـــةً ... في الصحب، صُحبتُهم مَرْعيَّةُ الحُـــرَم

الراكبـــين إذا نـــادى النـــبيُّ بهـــم ... ما هال من جَلَلٍ، واشتد من عَمَم[3]

الصابرين ونفـــسُ الأرض واجفـــةٌ ... الضاحكين إلى الأخطار والتُحَـــم[4]

---

(١) النخب: جمع نخبة. وهو الرجل المختار.

(٢) الحلك (محركة): شدة السواد. والشمم في الأنف: ارتفاع القصبة وحسنها، وهو هنا كناية عـــن الحمية وشرف النفس. وأنف الحادثات حمى: كناية عن اشتداد الخطب واستفحال الأمر.

(٣) هاله الأمر هولا: أفزعه. والجلل، هنا: الأمر العظيم. والعمم: التام العام من كل أمر، يقال: أمـــر عمم، أى تام عام.

(٤) القحم: جمع قحمة بالضم، ومن معانيها، الأمر الشاق لا يكاد يركبه أحد، وهو المراد هنا.

يا رب، هبت شعوب مـــن منيتـــها ... واستيقظت أمم من رقـــدة العـــدم
سعد، ونحس، وملك أنت مالكـــــه ... تديل من نعم فيـــــه، ومـــن نقـــم
رأى قضاؤك فينـــــا رأى حكمتـــه ... أكرم بوجهك من قـــاض ومنتقـــم
فالطف لأجل رسول العـــالمين بنـــا ... ولا تزد قومه خســـــفا، ولا تســـم
يا رب. أحسنت بدء المسلمين بـــــه ... فتمم الفضل. وامنح حسن مختتم[1]

(١) لا يخفي ما في (حسن مختتم) من حسن الختام.

علي محمود طه

هو: شاعر الجندول، تعلم في الكتاب، ثم دخل الابتدائية، وبعد أن نال شهادتها ولد عنده شغف بالعلوم التصنيعية ثم تخرج في الفنون التطبيقية، ولم يكمل الخامسة والعشرين حتى كان قد تمكن من نشر بعض أشعاره في جريدة السياسة الأسبوعية، وسرعان ما أصبح علمًا من أعلام مدرسة أبولو التي أرست أسس الرومانسية في الشعر العربي.

وكان يحقق المثل الأعلى الرومانسي الذي كان يريده أصحاب مدرسة الديوان (العقاد وشكري والمازني) وهو الصدق أو عدم إفصاح الشعر عن الشاعر فكان علي محمود طه في حياته مثالاً لما يقوله في شعره.

عين وكيلا لدار الكتب عام ١٩٤٩ وتوفي في ذلك العام ١٩٤٩/١١/١٧م.

أخي، جاوزَ الظَالمونَ المَدَى
فحقَّ الجهادُ، وحَقَّ الفـــــــدا
أنتركهُمْ يَغصبونَ العُروبـــةَ
مجدَ الأبوَّةِ والســـــــــــــؤددا؟
وليسوا بِغَيْرِ صليلِ السيوفِ
يُجيبونَ صوتًا لنا أو صـــدى
فجرِّدْ حسامَكَ من غمـــــدِهِ
فليسَ لَهُ، بَعْدُ، أن يُغمـــدا

* * *

أخي، أيُّها العربيُّ الأبـــــــيُّ
أرى اليومَ موعدَنَا لا الغَـــدا
أخي، أقبلَ الشرقُ في أمَّـــــةٍ
تردُّ الضَّلالَ وتُحيي الهُدى
أخي، إنّ في القدسِ أختًا لنا
أعَدَّ لها الذَّابحونَ المُـــــــــــدى
صبرنا على غَدْرهِمْ قادرينَ
وكنا لَهُمْ قَدَرًا مُرصـــــــــــدا
طَلَعْنا عليهمْ طلوعَ المنونِ
فطاروا هَباءً وصاروا سُدى
أخي، قُمْ إلى قبلةِ المشرقَيْنِ
لنحمي الكنيسةَ والمسجـــدا
أخي، قُمْ إليها نشقُّ الغمـــــارَ

دمًا قانيًا ولظى مرعـــــــــــــدا

أخي، ظمئتْ للقتالِ السيوفُ

فأوردْ شَبَاها الدمَ المُصْعـــــــــدا

أخي، إن جَرَى في ثراها دمي

وشبَّ الضرامُ بها موقـــــــــدا

ففتِّشْ على مهجةٍ حُـــــــــــرَّةٍ

أبَتْ أن يَمُرَّ عليها العـــــــــــدِا

وَخُذْ رايةَ الحقِّ من قبضـــــــــةٍ

جلاها الوَغَى، ونماها النَّدى

وَقَبِّلْ شهيدًا على أرضـــــــها

دعا باسمِها الله واستشهـــــدا

فلسطينُ يَفدى حِماكِ الشبابُ

وجلُّ الفـــــــــدائي والمُفتدى

فلسطينُ تحميكِ منا الصدورُ

فإمَّا الحيـــــــــاةُ وإمَّا الـــــردَى

هاشم الرفاعي

هو السيد بن جامع بن هاشم بن مصطفى الرفاعي ينتهي نسبه إلى الإمـــام أبي العباس أحمد الرفاعي الكبير مؤسس الطريقة الرفاعية في القرن السادس الهجري بـأم عبيدة بالعراق، وقد اشتهر باسم جده هاشم الرفاعي تيمنًا به وكل قد كان العلمـاء في التصوف السني، ولد في منتصف مارس ١٩٣٥م في قرية إنشاص الرمل بالشرقية درج في البيت الكبير الزاخر بأمهات الكتب في الأدب والفقه وغيرهـــا وحفـظ القرآن في سن مبكرة ثم التحق في صباه بالتعليم المدرسي وتركه وهو على أبـواب الشهادة الابتدائية نظام قديم حيث أراد الله له أن يتلقى الدروس الشرعية ثم التحـق بمعهد الزقازيق الديني وبدأ في نظم الشعر في سن مبكرة وكانت أولى قصائده مـن وحي الجملة العربية.

انظر مقدمة ديوانه.

رسالة في ليلة التنفيذ

رسالة وجهها الشاعر إلى كل صاحب عقيدة يجاهد في سبيلها (مارس ٩٥٥

أَبَتاهُ، ماذا قد يخطُّ بناني ... والحبلُ والجلادُ منتظران

هذا الكتاب إليكَ من زنزانةٍ ... مقرورة[1] صخريَّةِ الجدران

لم تَبْقَ إلا ليلةٌ أحيا بها ... وأحسُّ أن ظلامها أكفاني

ستمرُّ يا أبتاه - لستُ أشكُّ في ... هذا- وتحملُ بعدها جُثماني

الليلُ من حولي هدوءٌ قاتلٌ ... والذكرياتُ تمورُ في وجداني[2]

ويهدُّني ألمي، فأنشِد راحتي ... في بضعِ آياتٍ من القرآن

والنفسُ بين جوانحي شفافةٌ ... دَبَّ الخشوع بها فهزَّ كياني

قد عشتُ أومنُ بالإلهِ و لم أذقْ ... إلا أخيراً لذةَ الإيمان

شكراً لهم، أنا لا أريدُ طعامَهم ... فليرفعوه، فلستُ بالجوعان

هذا الطعامُ المرُّ ما صنعته لي ... أمي، ولا وضعوه فوقَ خُوان[3]

كلا، و لم يشهدْه يا أبتي معي ... أخَوَانِ لي جاءاه يستبقان

مَدُّوا إليَّ به يداً مصبوغةً ... بدمي، وهذي غاية الإحسان

والصمتُ يقطعُه رنينُ سلاسلٍ ... عبثتْ بهنَّ أصابعُ السَّجان

ما بين آونةٍ تُمرُّ.. وأختها ... يرنو إليَّ بمقلتَيْ شيطان

من كوةٍ بالباب يرقبُ صيدهُ ... ويعودُ في أمنٍ إلى الدوران

أنا لا أحسُّ بأيِّ حقدٍ نحوَهُ ... ماذا جنى؟ فتمسّه أضغاني

هو طيّبُ الأخلاقِ مثلُكَ يا أبي ... لم يبدُ في ظمأ إلى العدوان

لكنَّه إنْ نامَ عني لحظةً ... ذاقَ العيالُ مرارةَ الحرمان

---

(١) مقرورة: باردة.

(٢) تمور: تفور وتغلي.

(٣) الخوان: بضم الخاء وكسرها: منضدة الطعام.

فلربما وهو المروّعُ سَحنةً ... لو كان مثلي شاعراً لرثاني

أو عاد - من يدري؟ - إلى أولاده ... يوماً وذُكِّرَ صورتي لبكاني

وعلى الجدارِ الصُّلب نافذةٌ بها ... معنى الحياةِ غليظةُ القضبان

قد طالما شارفتُها متأملاً ... في الثائرين على الأسى اليقظان

فأرى وجوماً كالضبابِ مصوِّراً ... ما في قلوبِ الناس من غَليان

نفسُ الشعورِ لدى الجميعِ وإن هُم ... كتموا، وكانَ الموتُ في إعلاني

ويدورُ همسٌ في الجوانح ما الذي ... بالثورةِ الحمقاءِ قد أغراني؟[1]

أوَ لم يكنْ خيراً لنفسيَ أن أرى ... مثلَ الجميعِ أسيرُ في إذعان؟

ما ضرَّني لو قد سكتُّ، وكلما ... غلبَ الأسى بالغتُ في الكتمان

هذا دمي سيسيلُ، يجرى مطفِئاً ... ما ثار في جنبيَّ من نيران

وفؤادي المِوَّارُ في نبضاتهِ ... سيكفُّ في غده عنِ الخفقان[2]

والظلمُ باقٍ، لنْ يحطِّمَ قيده ... مَوْتي، ولن يودى به قرباني[3]

ويسيرُ ركبُ البغي ليس يضيرُه ... شاةٌ إذا اجتُثَّتْ من القُطعان

هذا حديثُ النفسِ حين تشفُّ عن ... بَشَرِيَّتي.. وتمورُ بعد ثوان

وتقولُ لي: إنَّ الحياةَ لغايةٍ ... أسمى من التصفيق للطغيان

أنفاسُكَ الحرَّى وإن هيَ أُخمدت ... ستظلُّ تغمرُ أُفْقَهُم بدخان

وقروحُ جسمِك وهو تحتَ سياطِهم ... قسماتُ صبحٍ يتقيه الجاني[4]

دمعُ السجينِ هناكَ في أغلالِه ... ودمُ الشهيدِ هنا سيلتقيان

---

(١) الجوانح: جمع جانحة وهى الضلع القصيرة مما يلى الصدر.

(٢) المِوار : السريع.

(٣) يودى: يزيل ويذهب، قرباني: تضحيتي.

(٤) القروح: الجروح جمع قرح وهو الجرح تقيح بالصديد.

حتى إذا مـــا أفعمَـــتْ بـهما الربـــا ... لم يبـــقَ غـــيرُ تمـــردِ الفيضـــــان[1]

وَمن العواصفِ مـــا يكـــونُ هبوبُـــها ... بعـــدَ الهـــدوءِ وراحـــــةِ الرُّبـــــان

إن احتدامَ النـــار في جـــوف الـــثرى ... أمـــرٌ يثـــيرُ حفيظـــة البركـــــان[2]

وتتـــابُعُ القطـــرات ينـــــزل بعـــده ... ســـيلٌ يليـــه تدفُّـــــق الطوفـــــان

فيمـــوجُ..يقتلـــع الطغـــاة مزمجـــراً ... أقـــوى مـــن الجـــبروت والســـلطان

أنا لست أدرى، هل ســـتُذكَر قصـــتى ... أم سوف يعروهـــا دجـــى النســـيان؟

أو أنـــى ســـــأكون في تاريخنـــــا ... متـــآمراً أم هـــــادمَ الأوثـــــان؟

كـــل الـــذي أدريـــه أن تجرعـــــى ... كـــأس المذلـــةِ ليـــس في إمكـــــاني

لـــو لم أكـــن في ثـــورتي متطلبـــــاً ... غـــير الضيـــاء لأمَّـــــتى لكفـــــاني

أهـــوى الحيـــاة كريمـــة لا قيـــدَ، لا ... إرهـــابَ، لا اســـتخفافَ بالإنســـانِ

فإذا سقطتُ سقطتُ أحملُ عزتـــــى ... يغلـــى دمُ الأحـــــرارِ في شـــرياني

أبتاهُ، إنْ طلعَ الصبـــاحُ علـــى الـــدُّنى ... وأضاءَ نورُ الشمس كـــلَّ مكـــان[3]

واســـتقبلَ العصفـــورُ بـــين غصونـــه ... يومـــاً جديـــداً مشـــرق الألـــوان

وسمعـــتَ أنغـــامَ التفـــاؤل ثـــرةً ... تجرى علـــى فـــمِ بـــائعِ الألبـــان[4]

وأتى - يدق - كمـــا تعـــود بابَنـــا ... ســـيدقُّ بـــابَ الســـجن جـــلاَّدان!

وأكـــون بعـــدَ هنيهـــة متأرجحـــــاً ... في الحبـــلِ مشـــدودا إلى العيـــــدان

ليكنْ عـــزاؤك أنَّ هـــذا الحبـــلَ مـــا ... صنعتْـــهُ في هـــذى الربـــوع يـــدان

نســـجوهُ في بلـــدٍ يَشـــعُّ حضـــارةً ... وتُضـــاءُ منـــه مشـــاعل العِرفـــــان

أو هكذا زعمـــــوا، وجـــيء بـــهِ إلى ... بلدى الجريـــحِ علـــى يـــد الأعـــوان

---

(١) أفعمت: امتلأت.

(٢) احتدام: ثوران، فوران.

(٣) الدُّنى: جمع الدنيا.

(٤) ثرة: كثيرة.

أنـــا لا أريـــدُكَ أنْ تعيـــشَ محطمـــاً ... في زحمـــــة الآلام والأشـــــجان[1]

إن ابنَـــك المصفـــــودَ في أغلالـــــه ... قد سيق نحـــو المـــوت غـــير مَـــدان

فـــاذكرْ حكايـــات بأيـــامِ الصبـــــا ... قد قُلتَها لى عـــــن هَـــوى الأوطـــان

وإذا سمعتَ نشيج أمـــــى فى الدجـــى ... تبكى شـــباباً ضـــاع في الريعـــان[2]

وتُكَتِّـــمُ الحســـراتِ في أعماقـــــها ... ألمـــاً تواريـــــه عـــــن الجـــيران

فاطلب إليـــها الصفـــح عـــنى، إنـــنى ... لا أبتغـــى منـــها ســـوى الغفـــران

مـــا زال في سمعـــى رنـــينُ حديثـــها ... ومقالهـــــا في رحمـــــة وحنـــــان

أبَنـــيَّ: إنى قـــد غـــدوتُ عليلـــــةً ... لم يبـــق لى جَلَـــدٌ علـــى الأحـــزان

فأذق فؤادى فرحـــةً بـــالبحث عـــن ... بِنْت الحلال ودعـــكَ مـــن عصيـــاني

كـــانت لهـــــا أمنيـــــة..ريانـــــةً ... يـــا حُسْـــنَ آمـــال لهـــا وأمـــــان!

غزلتْ خيوطَ الســـعد مخضـــلا[3] و لم ... يكـــن انتقـــاض الغـــزل في الحُســـبان

والآن لا أدرى بـــأىِّ جوانـــــح[4] ... ســـتبيتُ بعـــدي أم بـــأي جنـــان[5]

هـــذا الـــذي ســـطَّرته لـــكَ يـــا أبي ... بعـــض الـــذي يجـــرى بكفـــرٍ عـــان

لكـــنْ إذا انتصـــر الضيـــاءُ ومُزِّقـــتْ ... بي الجمـــوع شـــريعةُ القُرصـــــان[6]

فلســـوف يذكـــرني ويُكْـــبِرُ همـــتى ... مَنْ كـــان في بلـــدي حليـــفَ هـــوان

وإلى لقـــاء تحـــت ظـــــل عدالـــةٍ ... قدســـية الأحكـــام والمـــيزان

---

(١) الأشجان: الأحزان.

(٢) النشيج: غصة البكاء. الريعان: بداية الشباب.

(٣) المخضل: الناعم.

(٤) الجوانح : الضلوع.

(٥)الجنان: القلب.

(٦)القرصان: لصوص البحر.

صلاح عبدالصبور

في المرحلة الحرجة من حياة مصر إبان فترة اشتد فيها الصراع ضد الاستعمار ولد صلاح، وتفتحت عيناه على نور يريد أن يعانق البشرية لتعيش في سلام.. وصلاح حملَ سنى حياته الخمس والعشرين في أمانة وشرف.. السنة بعد السنة تهيئ له كيانًا منطلقا سريع الخطوات ذكي التأثر، وتبنى له روحه الواعية المؤمنة بالخير والمحبة... وصلاح.. بعيدا عن تكوينه الفنى - إن جاز فصله عنه-ليس حدثا فرديا وإنما هو مظهر لطليعة عاملة كاحة تريد أن تصل إلى حياة أضيق ما فيها يسع الأرض والسماء.. وصلاح الحزين المتفائل يجمع بين ماضي أمته العربي في ثوبها المصري وبين واقعها المتطور في ظل ثقافة غربية هادفة.. وصلاح الحائر القلق الساخط الراضي يمثل هذا الجيل الصاعد، في كفره وإيمانه، في نجاحه وإخفاقه.. ولكن في غير إيمان بالهزيمة لأنها تدمير، وهو يحب البناء.. وصلاح المصري عرف الزقاق الصغير والشارع الكبير. واضطراب بين ما فيهما، لتنبض مشاعره مقدسة أساطير ابن البلد متجاوبة مع ترنيمات الدراويش مرتطمة بقيم الدين، مصرة على أن تعمل فينبثق المجتمع الجديد.. ينبثق من دماء الذين يعيشون في الزقاق الصغير والذين ينعمون بسكنى الشارع الكبير.. صلاح هو كل ذلك.. أما شعره فللقارئ هذه الخطوط قبل أن يقلب أولى صفحات الديوان، وسيقول ما أريد أن أقول.

قصيدة رحلة فى الليل

١-بحر الحداد

الليل يا صديقى (ينفضنى) بلا ضمير

ويطلق الظنون فى فراشى الصغير

و(يثقل) الفؤاد بالسواد

ورحلة الضياع فى بحر الحداد

فحين (يقبل) المساء (يقفر) الطريق.. والظلام محنة الغريب

(يهب) ثلة الرفاق، فض مجلس السمر

" إلى اللقاء" وافترقنا (نلتقى) مساء غد

" الرخ مات فاحترس الشاه مات!"

لم ينجه التدبير، إنى لاعب خطير

" إلى اللقاء" وافترقنا (نلتقى) مساء غد"

(أعود) يا صديقى لمترلى الصغير

وفى فراشى الظنون، لم تدع جفنى ينام

ما زال فى عرض الطريق تائهون (يظلعون)

ثلاثة أصواتهم (تنداح) فى دومة السكون كأنهم (يكون)

" لا شىء فى الدنيا جميل كالنساء فى الشتاء"

" الخمر (تمتك) السرار"

و(تفضح) الإزار"

والشعار.. والدثار"

و(يضحكون) ضحكة بلا تخوم..

و(يقفز) الطريق من ثغاء هؤلاء

٢- أغنية صغيرة

إليك يا صديقتى أغنية صغيرة

عن طائر صغير

فى عشه واحده الزغيب

وإلفه الحبيب

يكفيهما من الشراب حسوتا منقار

ومن بيادر الغلال حبتان

وفى ظلام الليل يعقد الجناح صرة من الحنان

على وحيده الزغيب

ذات مساء حط من أعلى السماء أجدل منهوم

ليشرب الدماء

ويعلك الأشلاء والذماء

وحار طائري الصغير برهة ثم انتفض..

معذرة صديقتى.. حكاية حزينة الختام

لأننى حزين..

٣- نزهة الجبل

الطارق المجهول يا صديقتى ملثم شرير

عيناه خنجران مسقيان بالسموم

والوجه من تحت اللثام وجه بوم

لكن صوته الأجش يشدخ المساء

" إلى المصير!".. والمصير هوة تروع الظنون

وفى لقائنا الأخير يا صديقتى وعدتنى بنزهة على الجبل

أريد أن أعيش كى أشمّ نفحة الجبل

لكن هذا الطارق الشرير فوق بابى الصغير

قد مدّ من أكتافه الغلاظ جذع نخلة عقيم
وموعدى المصير.. والمصير هوة تروع الظنون

٤- السندباد

فى آخر المساء (يمتلئ) الوساد بالورق
كوجه فأر ميت طلاسم الخطوط
(ينضح) الجبين بالعرق
و(يلتوى) الدخان أخطبوط
فى آخر المساء عاد السندباد
(ليرس) السفينة
وفى الصباح(يعقد) الندمان مجلس الندم
(ليسمعوا) حكاية الضياع فى بحر العدم
السندباد: لا تحك للرفيق عن مخاطر الطريق
إن قلت للصاحى انتشيت قال: كيف؟
(السندباد كالإعصار إن يهدأ يمت!!)
الندامى: هذا محال سندباد أن(نجوب) فى البلاد!
إنا هنا (نضاجع) النساء
ونغرس الكروم
ونعصر النبيذ للشتاء
ونقرأ الكتاب فى الصباح والمساء
وحينما(نعود) (نعدو) نحو مجلس الندم
(نحكى) لنا حكاية الضياع فى بحر العدم

٥- الميلاد الثانى

فى الفجر يا صديقتى تولد نفسي من جديد
كل صباح أحتفي بعيدها السعيد

ما زلت حيا! فرحتى! ما زلت والكلام والسباب والسعال
وشاطىء البحار ما يزال يقذف الأصداف واللآل
والسحب ما تزال تسح، والمخاض يلجئ النساء للوساد
ويلعب الأولاد فوق أسطح البيوت
لعبة العريس والعروس، والتبات والنبات
والورد فى خد البنات
وعند شط النهر عاشقان سارحان
لله ما أحلى عيون العاشقين يبسمون حين يبسمون
ويقسمون
بحرمة الشجون
وبالليالى المثقلات، وانتفاضة الحنين
وبالسواد فى العيون
العهد لن يهون
صديقتى! عمي صباحا، هل ذكرت نزهة الجبل؟
٦- إلى الأبد
" الرخ مات لا ترع فالشاه ما يزال"
والشاه بالبيادق التأم"
" إلى اللقاء" وافترقنا" نلتقى مساء غد"
لنكمل النزال فوق رقعة السواد والبياض
وبعد غد! وبعد غد!
سنلتقى إلى الأبد"[1]

---

(١) صلاح عبد الصبور قصيدة الناس فى بلادى.

التعليق على القصيدة:

نستطيع أن نميز فى تلك القصيدة عددا من السمات أو الظواهر الأسلوبية التى تميز بها شعر صلاح عبد الصبور فى هذه القصيدة، وذلك من خلال النظر إلى سمة أسلوبية ظاهرة فى تلك القصيدة هى أشبه شيء بما يسمى بالصيغ المفاتيح. حيث يعد تكرار صيغة المضارع فى هذه القصيدة هو المفتاح لفهم فكرة الشاعر الأساسية فى تلك القصيدة، كما يعد تكرار تلك الصيغة فى الوقت نفسه محورا سياقيا ينظر من خلاله إلى الصيغ فى القصيدة من جهة عدولها عن تلك الصيغة الشائعة إلى غيرها فى بعض السياقات لتحقيق غرض فنى معين يخدم الفكرة فى هذه القصيدة.

من المقرر أن مما يدل عليه المضارع حدوث الفعل فى الحال أو تكرار الحدث واستمراره فى المستقبل؛ ومن ثم فإن لتكرار تلك الصيغة فى نص أدبى دلالات فنية مناسبة لمعنى التكرار والاستمرارية أو معنى الحالية التى تدل عليها تلك الصيغة. وهذا ما نلمحه واضحا فى تلك القصيدة.

فالمقاطع الخمسة الأولى من القصيدة تمثل رحلة الليل المتكررة لدى الشاعر والرفاق من حوله، والتى يريد الشاعر أن يعبر فيها عن رحلة الليل الرتيبة المتكررة إلى الأبد بصورتها التى رسمها لنا الشاعر فى تصوير معاناته وتصوير ليل الرفاق.

ثم يأتى المقطع السادس من القصيدة" إلى الأبد" ليعبر عن هذا المغزى، وهو تكرر الصور والمشاهد فى رحلة الليل، ودوامها على هذه الرتابة إلى الأبد، ولذلك نراه يكرر لنا فى هذا المقطع بعض ما ذكره فى المقطع الأول من اجتماع الندامى على السمر حول لعبة الشطرنج التى يقضون بها ليلهم فى صورة رتيبة متكررة.

يقول الشاعر فى هذا المقطع: إنها إذن رحلة الليل المتكررة الليلة وغدا وبعد غد وهكذا.. إلى الأبد. وإذا كان هذا هو المعنى الذى يريد الشاعر إيصاله إلينا فلا شك أن أفضل صيغ الأفعال إعانة له على أداء هذا الغرض هو الفعل المضارع، الذى يمثل الاستمرارية والتكرر، والرتابة، ودوام الحدث فى المستقبل القريب والبعيد. فلا غرو أن تكثير صيغ المضارع فى تلك القصيدة ليوظف الشاعر دلالة التكرار فى تلك الصيغة

للدلالة على المعنى الفنى المراد توصيله والإيحاء به إلينا. وهذا ما يوحى به فى رأيى تكرار صيغة المضارع فى تلك الأفعال على سبيل المثال:

(ينقضى يطلق يثقل يقبل يقفر يهب نلتقى أعود يظلعون تنداح يكون تمتك تفضح يضحكون يقفز) فهذه هى أهم الأفعال المضارعة فى المقطع الأول التى وظفت لإفادة معنى التكرار والإيحاء به، فى حين نجد على المقابل أن الشاعر حينما أراد أن يعبر عن انتهاء الليلة قد عبر عن ذلك بالفعل الماضى المبنى للمجهول فى قوله: "فض مجلس السمر" وقد وظف هذا التحول المفاجئ من صيغة المضارع إلى صيغة الماضى المبنى للمجهول توظيفا فنيا رائعا كذلك أوحى بالمفاجأة والسرعة، فكأنما فجأة قد انتهت الليلة وأشرق الصباح، ومضى الليل مسرعا وجاء نور الصبح مفاجئا للندامى، أو لعله استخدمه وهو الأرجح لديّ كالفاصل بين ليلة وأخرى، فكأنه يقول هذه رحلة الليل يحدث فيها كذا وكذا، ثم يعلن انتهاء هذه الليلة، لتبدأ ليلة أخرى تمر على نحو ما مرت الليلة السابقة من تكرر الأحداث والصور والمشاهد.

وقد شاعت صيغ المضارع فى جميع مقاطع القصيدة ليوحى إلينا الشاعر بهذا المعنى، ويبلغ التوظيف الفنى لهذه الصيغ درجة عالية من الجودة فى المقطع الرابع من هذه القصيدة، وهو بعنوان " السندباد" وقد جعل الشاعر هذا المقطع يدور حول عملية الإبداع الشعرى المتكرر فى رحلة الليل وعلاقة الشاعر بشعره من ناحية، وبجماهيره من ناحية أخرى، كل ذلك من خلال بناء شعرى بارع يوظف فيه الشاعر شخصية السندباد البحرى توظيفا فنيا رمزيا، يرمز به إلى رحلته المتكررة فى بحار المعاناة الروحية والنفسية لاقتناص الومضة الشعرية، وصراعه المتكرر مع الحروف النافرة الجموح المبهمة الملامح من أجل ترويضها حتى تستقيم كلمات شاعرة، وتبلغ هذه المعاناة ذروة توترها فى آخر المساء، ففى هذا الوقت يرخى الشاعر السندباد الشراع لسفينته لتبحر فى بحار العناء والمكابدة، فيمتلئ وساده بالورق الناتج عن المحاولات المتكررة لتطويع الكلمات

المبهمة الخطوط كوجه فأر ميت وينضح جبينه بعرق المعاناة والمحاولة المتكررة[1] إن الشاعر فى هذا المقطع قد استخدم صيغة المضارع بكثرة ليصور لنا هذا التكرار المضاعف للأحداث من تكرار محاولات الإبداع فى الليلة الواحدة، وتكرار هذه المحاولات كل ليلة، وتكرار مواقف الندامى الكسالى الغارقين فى لذاتهم الحسية دون أدنى رغبة فى بذل أى جهد لمشاركة الشاعر فى معاناته، فهم يريدون أن يحصلوا على ثمار معاناته ويتمتعون بها دون أن يكلفوا أنفسهم أدنى جهد، ودون التخلى عن شىء من متعهم ولذاتهم الحسية الغارقين فيها

وهذا هو ما يبدو واضحا فى هذا المقطع، فى قول عبد الصبور:

٤- السندباد

فى آخر المساء(يمتلئ) الوساد بالورق

كوجه فأر ميت طلاسم الخطوط

(ينضح) الجبين بالعرق

و(يلتوى) الدخان أخطبوط

فى آخر المساء عاد السندباد

(ليرسي) السفينة

وفى الصباح(يعقد) الندمان مجلس الندم

(ليسمعوا) حكاية الضياع فى بحر العدم

السندباد: لا تحك للرفيق عن مخاطر الطريق

إن قلت للصاحى انتشيت قال: كيف؟

(السندباد كالإعصار إن يهدأ يمت)

الندامى: هذا محال سندباد أن(نجوب) فى البلاد

إنا هنا(نضاجع) النساء

---

(١) انظر د/ على عشرى/ قراءات فى شعرنا المعاصر ص ٤٢،٤٣ ط ٢ مكتبة الشباب.

ونغرس الكروم

ونعصر النبيذ للشتاء

ونقرأ الكتاب فى الصباح والمساء

وحينما(تعود) (نعدو) نحو مجلس الندم

(تحكى) لنا حكاية الضياع فى بحر العدم"[1].

نلاحظ تكرر صيغة المضارع فى هذا المقطع كثيرا لتوحى بمعنى تكرر الحدث واستمراريته، وذلك كما فى:

(يمتلئ ينضح يلتوى يرسى يعقد يسمعوا نجوب نضاجع نغرس نعصر نقرأ تعود نعدو تحكى)

كما نلاحظ أن الفعل المضارع فى قول الشاعر:

" السندباد كالإعصار إن يهدأ يمت"

قد وظف بمعنى آخر من معانى المضارع بالإضافة إلى معنى الاستمرارية وهو الحالية فى الفعلين (يهدأ، يمت) (فعل الشرط وجوابه) وهما دالان على حدوث الفعل فى الحال أو المستقبل العاجل وارتباط ذلك وثيق جدا بالمعنى الذى يريد الشاعر إثراءه وهو دوام الحدث وتكراره واستمراريته، فالسندباد وهو رمز للشاعر الجوال بفكره ومشاعره لا يهدأ أبدا فمحاولاته الإبداعية متكررة كل ليلة، بل تكررها فى الليلة الواحدة فى مرات عديدة يمتلئ منها الوساد بالورق. أما فى قول الندامى:

" هذا محال سندباد أن نجوب فى البلاد"

فالشاعر هنا ينفى عن الرفاق مشابهته فى تلك المعاناة والصبر على ذلك التجوال والشرود، فهو ينفى عنهم الاستمرارية فيما وصف نفسه بالاستمرارية عليه وهذه محاولة خفية من الشاعر لإبراز تميزه واستعلائه بذاته وأدبه عى الندامى والرفاق.

وقد يقطع الشاعر هنا استخدامه لصيغة المضارع متحولا عنها إلى الماضى لغرض فنى

---

(١) صلاح عبد الصبور الناس فى بلادى ص ٤٠، ٤١.

كذلك، وذلك كما فى قوله:

" فى آخر المساء عاد السندباد"

وذلك لأن الفعل عاد" هنا قد أوحى بماضيته المخالفة للمضارع المتكرر قبله بعنصر المفاجأة الناشئ من المخالفة المفاجئة للأفعال المضارعة، ولعل هذا يناسب تصوير حالة الإبداع التى تنتاب المبدع حيث يهجم الخاطر عليه فجأة.

كما أن اختيار الشاعر هنا لصيغة الماضى لم يقطع فكرة الاستمرارية وتكرر الحدث التى أوحى بها استخدامه المتكرر للمضارع؛ وذلك لأن فكرة التكرار لا تزال موصولة بالدلالة المعجمية للفعل" عاد" التى تدل على العود والتكرار والاستمرارية.

وبهذا نجد أن الشاعر قد وظف التكرار فى الفعل المضارع فى هذا المقطع ليخرج به إلى معنى التكرارية فى معاناته اليومية فى رحلة الإبداع والكفاح الأدبى الشريف الثائر فى وجه الفساد الحائل دون صفو الحياة، كما يعبر فى الوقت نفسه عن الرتابة والملل التى تنتاب الشاعر من تكرار واقع بغيض منفر، يتمثل فى حال الرفاق، وما هم عليه من استسلام لتروائهم معرضين تمام الإعراض عن بذل أدنى جهد لمشاركة الشاعر معاناته، ورغبته فى فجر جديد.

وأما فى المقطع الخامس: فقد وظف تكرار المضارع للتعبير عن صور الحياة المتكررة فى واقع الناس والتى يحلم الشاعر بها فى ميلاده الثانى، وفى غده المأمول، حيث تولد نفسه من جديد، ويعيش الناس حياتهم آمنين، بكل ما تشتمل عليه تلك الحياة من مظاهر رفيعة أو سوقية أو غير ذلك فهذه هى طبيعة الناس فى بلاد الشاعر التى عنى الشاعر فى ديوانه هذا بتصويرها.

الكلام والسباب والسعال، السحب، مخاض النساء، لعب الأطفال، عشق العاشقين وتأوهاتهم... الخ ومن ثم تتكرر صيغ المضارع والصيغ الدالة على الاستمرارية المعبرة عن تلك المظاهر فى هذا المقطع كذلك فى(أحتفى-ما زلت- ما يزال يقذف- والسحب ما تزال- تسح- يلجئ- يلعب- يبسمون-يقسمون) أما المقطع الثانى والثالث فقد كانا أقل المقاطع جميعا فى استخدام صيغة المضارع؛ والسبب فى ذلك يرجع إلى أن الشاعر قد

خصص هذين المقطعين للتعبير عن الظلم والطغيان والفساد الذى يحول بين اطراد مظاهر الحياة بأمنها ودعتها، وهذا هو السبب الذى يؤرق الشاعر كل ليلة ويبعث فى فراشه الظنون والمخاوف من مصير مجهول.

ومن ثم فقد أراد الشاعر فى هذين المقطعين أن يصور لنا كيف كدر هذا الغاشم الظالم صفو الحياة، وقطع مظاهر البهجة والحياة الآمنة المتكررة فيها، وقد وظف للتعبير عن ذلك صيغة المضارع أيضا فى قوله:

يكفيهما من الشراب حسوتا منقار..

وفى ظلام الليل يعقد الجناح صرة من الحنان

فى حين صور فى المقطع السابق حالة الرفاق وهم رمز للدهماء والعامة الذين لا يحرصون على شىء غير شهواتهم فهم لا يزالون غارقين فى واقع اللهو الرتيب المتكرر كل ليلة، وهم فى غفلة تامة من مخاوف الشعور وما يساوره من الظنون إزاء هذا الظلم والطغيان، الذى ألمح إليه الشاعر وصوره فى هذه القصيدة بطريقة رمزية بخلاف صنيعه فى قصيدته الأخرى عودة ذى الوجه الكئيب[1] حيث استخدم فيها أسلوب التصريح المكشوف بطريقة تنبئ بأنه قد فاض به، وضاق به الأمر ذرعا، فلم يسعه إلا الإعلان والتصريح.

ومن ثم ناسب أن يعبر هنا بصيغة الماضى فى قوله:

ذات مساء حط من أعالى السماء أجدل منهوم

حار طائرى الصغير برهة ثم انتفض

وذلك ليوحى بالمفاجأة للغافلين، وقطع مظاهر الحياة المستقرة، وتحقق وقوع ذلك البلاء الماحق.

ولكن الشاعر حينما أراد التعبير عن الأهداف المستقبلية لهذا الظالم وما يخفيه من أطماع، عاد لصيغة المضارع مرة أخرى:

---

(١) ديوانه السابق ص ٧٠.

ليشرب الدماء

ويعلك الأشلاء والذماء

وفى المقطع الثالث: نزهة الجبل:

يبين الشاعر أن هذا الظالم الطاغى قد بلغ الغاية فى ظلمه وطغيانه، ومن ثم يتطلع الشاعر إلى الخلاص والحرية رامزا لها بنزهة الجبل، ومن ثم يستخدم المضارع للتعبير عن إرادته فى استمرار عيشه ودوامه حتى يشم نفحة الجبل.

ويستخدم الشاعر فى وصف هذا الظالم صيغة المفعول فى قوله (ملثم) وقوله (عيناه خنجران مسقيان بالسموم) وفى رأيى أنه يريد أن يوحى بذلك بأن ثمة أيدى غريبة قد لثمته وأخفته حتى لا يبدو لنا، وأن تلك الأيدى ذاتها قد سقت عينيه بالسموم، وملأته حقدا على أبناء هذا الوطن.

كما يكرر فى وصفه كذلك صيغة المبالغة فى الشر(شرير) وصيغة المفاضلة فى الخشونة والغلظة (الأجش)، ويصف أكتافه كذلك بالصفة المشبهة بجموعة(الغلاظ) ليدل على استقرار هذا الوصف القبيح بالغلظ وثباته له.

وفى التعبير بالأكتاف بجموعة كذلك ما يوحى باتساع نفوذ هذا الظالم الغاشم، وقوة طغيانه وبطشه.

والحقيقة أن القصيدة قد عنيت بتوظيف الصيغ عناية فائقة وإن كانت صيغة المضارع هى أبرز تلك الصيغ وأكثرها شيوعا، وذلك لما لها من مناسبة حميمة بالفكرة التى أراد الشاعر تصويرها.

عبد الرحمن العشماوي

هو: شاعر عربي معاصر .

شموخ في زمن الانكسار

للأطفال الذين قالوا لرجالات العرب:

كان الصباحُ قصيدةً عربيَّةً ... والشمسُ تُنْشِدُها فلا تَتَلَعْثَمُ

كانت ربوعُ القدسِ أرضًا حُرَّةً ... تُرعى كرامتُنا بها وتُعظَّمُ

يأتي إليها الفَجْرُ طفلاً أشقرًا ... ولسانُه بالذِّكرياتِ يُتَمْتِمُ

كُنَّا بها الأحبابَ يجمعُ بيننا ... دينٌ يلمُّ شتاتَنا ويُنظِّمُ

ومَضَتْ بنا الأيامُ ليلٌ حالكٌ ... يسطو وفجرٌ ضاحِكٌ يَتَجَهَّمُ

ومضتْ بنا الأيام بيتُ رذيلةٍ ... يُبْنَى وبيتُ فضيلةٍ يَتَهَدَّمُ

ومضت بنا الأيام مركب حسرةٍ ... ينجو وزورق فرحةٍ يتحطَّمُ

ومضت بنا الأيام موكب عَزْمِنا ... متوقِّفٌ؟ وعدوُّنا يتقدَّمُ

وسمعتُ صوتًا في مغارة خوفِنا ... يُوحي صداهُ بظالمٍ لا يرحمُ

مِنْ أين هذا الصوتُ كلُّ إجابةٍ ... تاهتْ ووضعُ بلادنا يتأزَّمُ

ومضتْ بنا الأيام حتى أسفرتْ ... عن وجهها الأحداثُ واختلطَ الدَّمُ

وتجدَّدَ الصوتُ الغريبُ نداؤه ... شُؤْمٌ وأصواتُ المدافعِ أشأمُ

وتجدَّدَتْ مأساتُنا وتمزَّقتْ ... أوصالُ أُمَّتنا ونام الضَّيْغَمُ

مَنْ صاحب الصوت الغريبِ وما الذي ... أغراهُ بي حتى أتى يتهجَّمُ

هو صوتُ شُذَّاذِ اليهودِ وراءَهُ ... قُوَّاتُ أمريكا تُغير وتهجِمُ

ماذا يقولُ الصوتُ نصفُ حديثِه ... دعوَى ونصفُ حديثِهِ لا يُفْهَمُ

ما زال ينطقُ والرسائلُ لم تَزَلْ ... تَروِي لنا أقوالَهُ وتُقدِّمُ

صوتٌ ينادي أُمّتي ورجالها ... جهرًا ونيرانُ الضَّغينة تُضْرَمُ
لا ترفعوا رأسًا فإنّ حُسامَنا ... بإزالة الرأسِ العزيزةِ مُغْرَمُ
لا ترفعوا كفًّا فإنّ عيوننا ... مبثوثةٌ والقَيْدُ قيدٌ أدْهَمُ
لا تنطقوا حرفًا ففي قانوننا ... أنّ الثُّغورَ الناطقاتِ تُكَمَّمُ
وإذا ضربْناكم فلا تتحرَّكُوا ... وإذا سحقْناكم فلا تتألّموا
وإذا أجَعْناكمْ فلا تتذمَّرُوا ... وإذا ظلمناكم فلا تَتَظلموا
تُلقي الطعامَ لكم فإن قُلنا كُلُوا ... فكُلُوا وإلا بالصِّيامِ اسْتَعْصِمُوا
عَرَبٌ وأجملُ ما لديكم أنّكم ... سلّمتمونا أمْرَكم وغفلتموا
ماذا دَهاكُم تطلبونَ حقوقَكُم ... طَلَبُ الحقوقِ مِن الضعيفِ مُحَرَّمُ
نحنُ الذين نقولُ أما أنتمو ... فالغافِلونَ الصّامتونَ النُّوَّمُ
الأرضُ كلُّ الأرض مَسْرَحُنا الذي ... تجري الفصولُ عليه وَهْوَ مُنَظَّمُ
نُجري الشُخُوصَ كما نشاءُ ونشتهي ... الدَّوْرُ يُمْلَى والمَشَاهِدُ تُرْسَمُ
لن تستريحَ قلوبُنا إلا إذا ... لم يَبْقَ في الأرض الفسيحة مُسْلِمُ
وسكتُّ أبحثُ عن جوابٍ مُفحِمٍ ... وأصُفُّ أرتالَ الحروف وأنْظِمُ
ما كنتُ أعرف ما الجوابُ وربَّما ... وقفَ الحكيمُ كأنّه لا يعلمُ
وهَمَمْتُ أنْ ألوي العِنانَ وقد بدَا ... أنّي احْتبسْتُ وأنني لا أفْهَمُ
وإذا بجَبْهَةِ فارسٍ مُتوثِّبٍ ... يدنو ويرفعُ رأسَهُ ويُسَلِّمُ
من أنت وانْبَهَرتْ حروفَيَ والْتَوَى ... وجهُ السؤالِ وأنْبَتَني الأسْهُمُ
مَنْ أنتَ وامتدَّتْ إليه مشاعري ... جسرًا وقلبي بالسعادةِ مُفْعَمُ
من أنتَ أوزانُ القصيدةِ لم تَزَلْ ... عَطْشَى وأُفْقُ الشّاعِرِيَّةِ مُعْتِمُ
مَنْ أنتَ أشعُرُ أنّ بِئْرَ مخاوفي ... مِن بعدِ ما شاهدتُ وجهَكَ تُرْدَمُ
من أنت لا كفٌّ تُمَدُّ إلى العِدا ... مسلوبةَ المعنى و لم ينطِقْ فَمُ
ووقفتُ حين رأيتُ طفلا شامخًا ... قاماتُنا مِن حَوْلِه تَتَقَزَّمُ
طفلٌ صغيرٌ غيرَ أنّ شُمُوخَهُ ... أوحى إليَّ بأنّه لا يَهْرَمُ

طفلٌ صغيرٌ والمدافعُ حولَهُ ... مبهورةٌ والغاصِبونَ تبرَّمُوا
في كفِّه حَجَرٌ وتحتَ حذائِهِ ... حجرٌ ووجهُ عَدُوِّه متَبورِّمُ
مَنْ أنتَ يا هذا أعَدْتُ تساؤلي ... والطِّفلُ يرمُقُني ولا يتكلَّمُ
مَنْ أنتَ يا هذا ودَحْرَجَ نظرةً ... نحوي لها معنًى وراحَ يُتَمْتِمُ
أنا من رُبوعِ القُدسِ طفلٌ فارسٌ ... أنا مؤمنٌ بمبادئي أنا مُسْلِمُ
لُغةُ البطولةِ مِنْ خصائصِ أُمَّتي ... عنَّا رواها الآخَرُونَ وترجَمُوا
مِن ذلك الوقتِ الذي انتفضتْ به ... بطحاءُ مكَّةَ والحَطِيمُ وَزَمْزَمُ
منذ التقى جبريلُ فوق ربوعِها ... بُمحَمَّدٍ يَتْلُو له ويُعَلِّمُ
منذ استدارَ الدهرُ دورتَهُ التي ... عزَّ التَّقِيُّ بها وذلَّ المُجرِمُ
أنا من ربوع القدسِ تحت عِمَامتي ... عقلٌ يفكِّر في الأمور ويَحْسِمُ
ناديتُ قومي والرِّياحُ عنيفةٌ ... والصمتُ كهفٌ والظلامُ مخيمُ
ناديتُ لكنَّ الذي ناديتُهُ ... أعْمى أصمُّ عن الحقيقةِ أبْكَمُ
ناديتُ لكنَّ الذي ناديتُه ... أمسي على ماءِ التَّخاذُلِ يَرْقُمُ
ناديتُ لكنَّ الذي ناديتُه ... بالنَّومِ في الفُرُشِ الوثيرةِ مُغْرَمُ
ويَئِسْتُ ثم تركتُ قومي بعضُهم ... يُبدِي تآمُرَهُ وبعضٌ يَكْتُمُ
ومضيتُ وحدي في دروب عزيمتي ... إنّ المجاهدَ حين يصدُقُ يَعْزِمُ
ورأيتُ أعدائي صغاراً كلَّما ... واجهتُهم بيقينِ قلبي أحْجَمُوا
وغدوتُ أدعو مِنْ رجالِ عشيرتي ... مَنْ سافروا خَلْفَ السَّرابِ ودَمْدَمُوا
يا مَنْ رَحَلْتُم في دروب شوكُها ... صعبُ المِراسِ ورملُها مُتكوِّمُ
هَذي مَنابِرُكم تُزلزلُ نفسَها ... سأمًا وقد كفرتْ بما قَرَّرْتمو
طِيروا بأجنحةِ السياسةِ حيثما ... شئتم وقولوا ما أردتُمْ وارْسُمُوا
وقِفُوا أمام وسائل الإعلام في ... سَمْتٍ لتُؤْخَذَ صورةٌ وتبسَّموا
واستَمْطروا من هيئةِ الأُمم التي ... هرمتْ بقايا عطفِها كي تغنموا
وترقَّبُوا تأشيرة لدخولكم ... فلربَّما جادوا بها وتكرَّمُوا

وابنُو لكم في كلِّ أرضٍ دولةً ... الشعبُ والحُكّامُ فيها أنتمو
ودَعُوا لنا دربَ الجهادِ فإنّه ... دربُ الخلاصِ لنا وإنْ كابرتمو
دربٌ مضى فيه الرسولُ وصَحْبُهُ ... نشروا به الحَقَّ المُبينَ وعلّموا
ماذا أصاب القومَ ما أهدافُهُم ... ما بالُهم قد أبْهَمُوا وتكتَّمُوا
قالوا انتفاضتُنا صنيعتُهُمْ ولو ... صدقوا لقالوا إنهم لم يعلموا
نحن انتفضْنا غيرةً وتذمُّرًا ... ممَّا جناهُ الغاصِبونَ وأجرموا
يا أُمّةَ الإسلامِ نحنُ حقيقةٌ ... في أرضنا فتدَبّرُوا وتفهَّمُوا
ها نحن في درب الجهادِ وفوقنا ... مطرُ الرّصاصِ وللحجارةِ موسمُ
مِنْ داخلِ الوطن السليبِ جهادُنا ... لسنا وراءَ حدوده نتكلّمُ
وإذَا سألتم عن حقيقةِ حالنا ... فلدى حجارتنا جوابٌ مُفحمُ
نرمي بها الباغي وفي إسلامنا ... أن الشياطين اللعينةَ تُرجمُ
أنا منْ ربوعِ القُدسِ طفلٌ شامخٌ ... أحمي فُؤادي باليقين وأعْصِمُ
ما زلتُ أرْقَى في مدارجِ عِزَّتي ... قلبي دليلي والعزيمةُ سُلَّمُ
وأرى بعينِ بصيرتي ما لا يَرَى ... غيري وأعرفُ ما يُحاكُ ويُبْرَمُ
وإذا سألتُمْ عن بَني قومي ففي ... كَتْبِ الحقيقةِ ما يُمِضُّ ويُؤلِمُ
لا تسألوا عن حالهم فهناك مَنْ ... يمحو مآثِرَ شَعْبِهِ ويُهَدِّمُ
وهناك مَنْ يبني سعادتَهُ على ... كَتِفِ الضعيفِ ويستبدُّ ويظلمُ
وهناك مَنْ يسخو على شهواتِهِ ... ويُمِضُّه في المكرماتِ الدِّرهمُ
وهناكَ مَنْ ينسى بأنَّ رِحالَهُ ... تمضي وأنْ الموتَ أمرٌ مُبْرَمُ
إني أقول وللدَّفاترِ ضجَّةٌ ... حَوْلِي تَهيبَ مِنْ صداها المرسَمُ
لو كان أمرُ الناسِ في أيديهمو ... ما ماتَ فرعونُ وقام المأتَمُ
لو كان أمر الناس في أيديهمو ... ما ظَلَّ مكتوفَ اليدينِ الأشْرَمُ
لو كان أمر الناس في أيديهمو ... ما سفَّ مِنْ تُرْبِ الهزيمة رُسْتُمُ
سكت الرّصاصُ فيا حجارةُ حدِّثي ... أنّ العقيدةَ قوَّةٌ لا تُهْزَمُ

أحمد سويلم

هو: شاعر مصري معاصر .

رسالة في الفَرَق .. والأَرق

أخرِجنا يا سيدنَا من صمتِ القلبْ
أخرجنا من صلَفِ السُّفهاءِ
ومن غابات يملكها القتلةُ
والعسسُ المترقب في مفترق الدربْ ..
أخرجنا يا سيدنا من هذا الكربْ
هذا زمنٌ يحملُنا في فكيْهِ
يصعدُ .. يصعدُ .. يُلقينا من فوق السُّحْبْ ..
نهبط في حُفَرٍ .. في صخْرٍ
في بيداء ..
وعلينا .. تجتمع صقورٌ
تقتتل وحوشٌ
نعدُو الصيدَ الأشْهى .. والنهبْ ..
ها نحن دُميً في أيدى من يملِكُنا
نتشكلُ فوق خرائطهِم
بُقعًا حمراءَ ..
وأسلاكًا شائكةً ..
وزوايا .. وخطايا ..

وسبايا حربْ ..
ها نحن انكسر الظهرُ ومرِضَ القَلبُ
وران على مفْرقنا الشيبْ
فمتى يا سيدنا تلقانا
ومتى تخرجنا مأجورين بلا ذنبْ
متى تُخرجنا من هذا الكربْ!

فتحي سعيد

هو: شاعر عربي معاصر .

دعوة

لا تخرجْ من بيتك[1]
لا داعى أن تخرجَ من بيتكْ
اقبعْ في ركنٍ منه وأوصدْ بابَك
مثل القابع في داره
مثل الآمن في غاره
بابك محرابُك فتعبد
وتفيأْ ظلَّ جِداره
وتَنَعَّمْ بضجيجِ صغاره
فالعالم في الخارجِ معتوه
قد جُنَّ فعربدْ
والطقس كئيبٌ وملبدْ
والردُ شديدٌ..فتشددْ
البردُ شديدٌ هذا العام
والأفقُ غَمام
وجبينُ العاصفةِ تفصَّدْ
ثلجاً أسود
فاشددْ في صمتٍ أوتارك

---

(١) فتحى سعيد: بعض هذا العقيق ص٧٦.

وتدثر لا تبرحْ دارك
إن تخرجْ تَزدَدْ..
لا تخرجْ من بيتك
اقبعْ في دارك
تربحْ..
واحتمل العزلةَ وتعَّودْ
* * *
أغلقْ شباكَك.. لا تأمن لهبوب الريح
للنسمة أذنان
وللجدران
عينان.. ولليل فحيح
والجو ردىء ومعبأ
والخمرة أردأ
فاشربْ وتداوَ من نفسِ الداء
صحوك أسوأ
وجميعُ الأشياء سواء
وشتاؤك قاس فتزود
وأعدّ نبيذاً وعشاء
واقدْح نارَك
أحرِق في نارِك أشعارَك
فالشعر تجمد
في زمني.. والحرفُ تجعَّدْ
* * *

لا تخرجْ من بيتك والزمْ دارك
تأمنْ عارك
والتحفِ الصمتَ.. تفرَّدْ
امكثْ عند المنضدةِ ووسعْ أذْنيك
واسمعْ..
بل أغلقْها حتى لا تسمع
وافتحْ عينيك
أغلقها حتى لا تحلم
يسرقك الحلمُ فلا ترجع
وابق مكانك منتظرا
لا داعى أن تنتظر.. تمدَّد
وامسك أعصابك لا تفزع
وسِّدْ أعصابَك لا تفزع
وسِّدْ قدميك المقْعد
سيطولُ بك الأمرُ .. تجلَّد
لا تخرجْ من بابِ البيتْ
لُذْ بالصمتْ
كن منفرداً حتى الموتْ
وحدتُك.. صديقتُك.. توحد
بالوحدة يأتى العالمُ لك
ويدق البابَ عليك.
لا تعبأْ..
لا تفتح للطارِق بابا
سيجىء إليك

سيجيء بنفسه

يتسلل

كي يحسرَ عنه نقابا

وسيذهلُ

ويخرُّ على قدميك

فتمرَّدْ

لحظتها.. لن يملكَ إلا أن يسجد

لن يملك إلا أن يتلوّى..

يتلوى بين يديك..!

أحمد مطر

شاعر ثوري عراقي تمرد على الحكام والأحكام وعبر عن ذلك في شعره، وكانت لنا دراسة كاملة في لافتاته جاءت تحت عنوان "المفارقات في شعر أحمد مطر".

الوصايا

(١)

عندما تذهب للنوم
تذكر أن تنام
كل صحو خارج النوم
حرام
وخذ الفرشاة والمعجون
واغسل
ما تبقى بين أسنانك من بعض الكلام
أنت لا تأمن أن تدهمك الشرطة
حتى في المنام
ربما تشخر
أو تعطس
أو تنوى القيام
فدع المصباح مشبوبا
لكي تدرأ عنك الاتهام
يا صديقي

كل فعل في النظام
هو تخطيط لإسقاط النظام

(٢)

احترم حظر التجول
لا تغادر غرفة النوم
إلى الحمام ، ليلا
للتبول

(٣)

قبل أن تنوى الصلاة
اتصل بالسلطات
واشرح الوضع لها
لا تتذمر
وخذ الأمر بروح وطنية
يا صديقي
خطر أي اتصال
بجهات خارجية

(٤)

عند إفطارك
لا تشرب سوى كوب اللبن
قدح البن منبه
فتجنبه إذن
قدح الشاي منبه
فتجنبه إذن
يا صديقي

كل شخص متنبه
هو مشبوه ، مثير للفتن
يبتغي أن يشعل الوعي
لإحراق الوطن

(٥)

لك في المطبخ آلات
تثير الارتياب
انتزع أنبوبة الغاز
ولا تنس السكاكين ، وأعواد الثقاب
وسفافيد الكباب
ربما تطبخ شيئا
وتفوح الرائحة
ما الذي تفعله لو ضبطوا
عندك هذى الأسلحة ؟
هل ترى تقنعهم
أنك مشغول بإعداد طبيخ
لا بإعداد انقلاب ؟

(٦)

قبل أن تخرج
دع رأسك في بيتك
من باب الحذر
يا صديقي
في بلاد العرب أضحى
كل رأس في خطر

.. ما عدا أمر الشهر

انتبه عند الإشارة

لا تقف حتى إذا احمرت

إذا كنت قريبا من سفارة

(٨)

لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد

ربما قبل حلول الليل

تبعد

(٩)

أغلق السمع

ولا تصغ لأبواق الخيانة

ليس في التحقيق ذل

أو عذاب أو إهانة

أنت في التحقيق موفور الحصانة

ربما يشتمك الشرطي

من باب (الميانة)

هل تسمى ذلك اللطف إهانة ؟

ربما تربط في مروحة السقف

لكي تصبح في أعلى مكانة

هل تسمى ذلك العز إهانة ؟

ربما مصلحة التحقيق تضطر المحقق

أن يجس النبض من كل الزوايا

ويدقق .

فإذا جسمك من (ظهرك)

أو ثبت فيه الخيزرانة

لا تظن الأمر ذلا

أو عذابا أو مهانة

يا صديقي

إن إثبات العصا في (الظهر)

إجراء ضروري

لإثبات الإدانة

(١٠)

لا تمت منتحرا

لا تسلم الروح لعزرائيل

في وقت الوفاة

ليس من حقك

أن تختار نوعية أو وقت الممات

انتبه

لا تتدخل في اختصاص السلطات .

الشاعر هنا يعرض عددا من المتناقضات أو المفارقات المتجانسة التي ترجع كلها إلى معنى واحد وهو كشف فساد كثير من الأنظمة الفاسدة في بلاده.

الشيخ إبراهيم علي بديوي

بك أستجير ومن يجير سواك

بِكَ أَسْتَجِيرُ وَمَنْ يُجِيرُ سِوَاكَا ... فَأَجِرْ ضعيفًا يَحْتَمِي بِحِمَاكَا

إِنِّي ضَعِيفٌ أَسْتَعِينُ عَلَى قُوَي ... ذَنْبِي ومعصيتي ببعض قُوَاكَا

أَذْنَبْتُ يَا رَبِّي وَآذَتْنِي ذُنُو ... بٌ مَا لَهَا مِنْ غَافِرٍ إلاكَا

دُنْيَايَ غَرَّتْنِي وَعَفْوُكَ غَرَّنِي ... مَا حِيلَتِي في هذه أَوْ ذَاكَا

لَوْ أَنَّ قَلْبِي شَكَّ لَمْ يَكُ مُؤْمِنًا ... بِكَرِيمِ عَفْوِكَ مَا غَوَى وعَصَاكَا

يَا مُدْرِكَ الأَبْصَارِ وَالأَبْصَارُ لا ... تَدْرِي لَهُ وَلِكُنْهِهِ إِدْرَاكَا

أَتَرَاكَ عَيْنٌ والعُيُونُ لها مَدًى ... مَا جَاوَزَتْه ولا مدًى لِمَدَاكَا

إِنْ لم تَكُنْ عَيْنِي تَرَاكَ فَإِنَّنِي ... في كُلِّ شيءٍ أَسْتَبِينُ عُلاكَا

يا مُنْبِتَ الأَزْهَارِ عَاطِرَةَ الشَّذَا ... هَذَا الشَّذَا الفَوَّاحُ نَفْحُ شَذَاكَا

يا مُرْسِلَ الأَطْيَارِ تَصْدَحُ في الرُّبَا ... صَدَحَاتُهَا تَسْبِيحَةٌ[1] لِعُلَاكَا

يا مُجْرِيَ الأَنْهَارِ مَا جَرَيَانُهَا ... إِلاَّ انْفِعَالَةُ قَطْرَةٍ لنداكَا

رَبَّاهُ هَأَنَذَا خَلِصْتُ مِن الهوَى ... واسْتَقْبَلَ القَلْبُ الخَلِيُّ هَوَاكَا

وَتَرَكْتُ أُنْسِيَ بالْحَيَاةِ وَلَهْوَهَا ... وَلَقِيتُ كُلَّ الأُنْسِ في نَجْوَاكَا

وَنَسِيتُ حُبِّي واعْتَزَلْتُ أَحِبَّتِي ... ونَسِيتُ نَفْسِي خَوْفَ أَنْ أَنْسَاكَا

ذُقْتُ الهَوَى مُرًّا وَلَمْ أَذُقِ الْهَوَى ... يَا رَبِّ حُلْوًا قَبْلَ أَنْ أَهْوَاكَا

أَنَا كُنْتُ يَا رَبِّي أَسِيرَ غِشَاوَةٍ ... رَانَتْ عَلَى قَلْبِي فَضَلَّ سَنَاكَا

واليومَ يَا رَبِّي مَسَحْتُ غِشَاوَتِي ... وَبَدَأْتُ بالقَلْبِ البَصِيرِ أَرَاكَا

يَا غَافِرَ الذَّنْبِ العظيمِ وقابِلاً ... للتَّوْبِ قَلْبٌ تَائِبٌ نَاجَاكَا

---

(١) في الأصل : صدحاتها إلهام موسيقا كا ، فغيرتها نصحا لقائلها.

أتَـرُدُّهُ وَتَـرُدُّ صَـادِقَ تَوْبَتِـي ... حَاشَـاكَ تَرْفُضُ تَائِبًـا حَاشَـاكَا

يَا رَبِّ جِئْتُكَ نَادِمًـا أبكِـي عَلَـى ... مَـا قَدَّمَتْـهُ يَـدَايَ لا أتَبَاكَـا

أخْشَى مِن العَرْضِ الرَّهِيبِ عليكَ يَـا ... ربي وأخْشَـى منـكَ إذْ ألْقَاكَـا

يَا رَبِّ عُدْتُ إِلَـي رِحَـابِكَ تَائِبًـا ... مُسْتَسْـلِمًا مُسْتَمْسِـكًا بِعُرَاكَـا

مَـا لي ومَـا للأغنيـاءِ وأنـتَ يَـا ... ربَّ الغَنِـيُّ ولا يُحَـدُّ غِنَاكَـا

ما لِي وَمَـا لِلأَقْوِيَـاءِ وَأَنْـتَ يَـا ... ربي وَرَبَّ النَّـاسِ مَـا أقواكَـا

ما لي وأبواب المُلوكِ وأنـتَ مَـنْ ... خلـقَ الملـوكَ وقسـمَ الأملاكَـا

إنِّي أَوَيْتُ لِكُـلِّ مَـأْوًى في الحَيَـا ... ةِ فَمَا رَأَيْـتُ أعَـزَّ مِـنْ مَأْوَاكَـا

وَتَلَمَّسَتْ نَفْسِي السبيلَ إِلَـى النَّجَـا ... ةِ فلمْ تجد مَنجـى سـوى مَنجاكَـا

وَبَحَثْتُ عَنْ سِـرِّ السـعادةِ جَـاهِدًا ... فوجـدتُ هـذا السـرَّ في تقْواكَـا

فَلْيَرْضَ عنِّي النـاسُ أوْ فَلْيَسْـخَطُوا ... أنا لَمْ أعُـدْ أسـعى لغـيرِ رِضاكَـا

أدْعُـوكَ يَـا ربِّـي لِتَغْفِـرَ حَوْبَـتِي ... وتُعينَـنِي وتمـدَّنِي بِهداكَـا

فاقْبَلْ دُعـائِي واسـتَجِبْ لِرَجَـاوَتِي ... ما خاب يومًا مـن دعـا ورجاكَـا

يا ربِّ هذا العصـرُ ألْحَـدَ عندمـا ... سـخَّرتَ يـا ربي لـه دُنْياكَـا

عَلَّمْتَه مـن عِلْمِـكَ النَّـوَوِيِّ مَـا ... علَّمتَـهُ فـإذا بـه عَادَاكَـا

ما كـادَ يُطْلِـقُ للعُـلا صَارُوخَـهُ ... حـتى أشَـاحَ بوَجْهِـهِ وَقَلاكَـا

واغْـتَرَّ حَتَّـى ظَـنَّ أنَّ الكـونَ في ... يُمْـنى بـني الإنسـانِ لا يُمناكَـا

أوَ مَا دَرَى الإنسـانُ أنَّـكَ لَـوْ أرَدْ ... تَ لَظَلَّـتِ الـذَّرات في مَخْباكَـا

لَوْ شئتَ يـا ربي هَـوَى صَارُوخُـهُ ... أوْ لوْ أردتَ لمـا اسـتطاعَ حِراكَـا

يـا أيُّـها الإنسـانُ مَـهْلاً واتَّئِـدْ ... واشكرْ لربِّك فضـلَ مـا أولاكَـا

واسـجُدْ لمـوْلاكَ القديـرِ فإنَّمـا ... مسـتحدثات العلـم مـن مولاكـا

اللهُ مَـازَكَ دونَ سَـائِرِ خَلْقِـهِ ... وبنعمـةِ العقـلِ البصـيرِ حَبَاكَـا

أفَـإنْ هَـدَاكَ بِعِلْمِـهِ لِعَجِيبَـةٍ ... تَـزْوَرُّ عنـهُ ويَنْثَنِـي عِطفاكَـا

إنَّ النَّـوَاةَ ولِكْتُرُونَـاتِ الـتي ... تَجـري يراهـا اللهُ حـين يراكـا

ما كنتَ تَقْوَى أنْ تُفَتِّتَ ذَرَّةً ... مِنهنَّ لولا اللهُ قد قوَّاكا

كلُّ العَجَائبِ صَنْعَةُ العَقْلِ الذي ... هو صَنعةُ اللهِ الذي سوَّاكا

والعقلُ ليس بمدركٍ شيئا إذَا ... ما اللهُ لم يكتبْ له الإدْراكا

للهِ في الآفاقِ آياتٌ لعلَّ ... أقلَّها هو ما إليهِ هداكا

ولعلَّ ما في النفس من آياتِهِ ... عجبٌ عجابٌ لو ترى عيناكا

والكونُ مشحونٌ بأسرارٍ إذا ... حاولتَ تفسيرًا لها أعياكا

قلْ للطبيبِ تخطفته يدُ الرَّدى ... يا شَافِيَ الأمراضِ منْ أرْدَاكا

قل للمريضِ نجا وعُوفيَ بعد ما ... عجَزتْ فنونُ الطبِّ من عافاكا

قل للصحيحِ بموتَ لا من علةٍ ... من بالمنايا يا صحيحُ دهاكا

قل للبصيرِ وكان يحذرُ حفْرةً ... فهوى بها مَنْ ذَا الذي أهْوَاكا

بلْ سائلِ الأعْمى خطا بين الزِّحَا ... مِ بلاَ اصْطدامٍ من يقودُ خُطاكا

قلْ للجنين يعيشُ معزولا بلا ... راعٍ وَمَرْعى ما الذي يرعاكا

قل للوليد بكى وأجْهَشَ بالبكا ... ءِ لدى الولادة ما الذي أبكاكا

وَإذا ترى الثعبانَ ينفُثُ سُمَّهُ ... فاسألْهُ منْ ذا بالسمومِ حشاكا

واسألْهُ كيف تعيشُ يا ثعبانُ أو ... تَحْيَا وهذا السُّمُّ يملأُ فاكا

واسألْ بطونَ النحلِ كيف تقاطرتْ ... شَهْدًا وقلْ للشهدِ مَنْ حَلاكا

بلْ سَائلِ اللبن المصفَّى كان بَيْـ ... ـنَ دَمٍ وفَرْثٍ ما الذي صفَّاكا

وإذا رأيْتَ الحيَّ يخرجُ من حَنَا ... يَا ميِّتٍ فاسألْهُ من أحيَاكَا

وَإذا ترى ابنَ السُّودِ أبيَضَ ناصعًا ... فاسأله مِنْ أيْنَ البياضُ أتاكا

وَإذا تَرى ابنَ البيض أسودَ فاحمًا ... فاسأله من ذا بالسوادِ طَلاكا

قل للهواء تحسُّهُ الأيْدي ويَخْـ ... ـفَي عن عيون الناس من أخْفاكا

قل للنبات يَجِفُّ بعد تعهُّدٍ ... ورِعايةٍ مَن بالجفافِ رماكا

وإذا رأيت النبت في الصحراء يَرْ ... بُو وحْدَه فاسألهُ مَن أرْباكا

وإذا رأيت البدر يسرى ناشرًا ... أنوارَهُ فاسأله من أسراكا

واسألْ شعاعَ الشمسِ يدْنو وَهْي أبـــْ ... سعَدُ كلِّ شيءٍ مـــا الـــذي أدْناكـــا

قل للمَرِيرِ من الثِّمَـــارِ مَـــنِ الـــذِي ... بـــالْمُرِّ مـــن دونِ الثمـــارِ غذاكـــا

وإذا رأيتَ النخلَ مشـــقوقَ النَّـــوَى ... فاسألْهُ من يـــا نخـــلُ شـــقَّ نواكـــا

وإذا رأيـــتَ النـــار شَـــبَّ لهيبُـــهَا ... فاسألْ لهيـــبَ النـــارِ مَـــن أوْراكـــا

وَإِذَا تَرى الجبـــلَ الأشـــمَّ مَنَاطِحًـــا ... قِمَمَ السَّحَابِ فســـلْهُ مـــنْ أرْســـاكا

وَإذا تَـــرَى صخْـــرًا تفجَّـــرَ بالميـــا ... ه فَسَلْهُ مَنْ بالْمَـــاءِ شَـــقَّ صَفَاكَـــا

وإذا رأيت النـــهْرَ بـــالعذْبِ الـــزلا ... لِ جَرَى فَسَلْهُ مَـــنِ الَّـــذِي أجْرَاكَـــا

وإذا رأيـــت البحـــر بـــالملح الأُجـــا ... جِ طَغَى فَسَلْهُ مَـــنِ الَّـــذِي أطْغَاكَـــا

وَإِذَا رَأَيْـــتَ اللَّيْـــلَ يَغْشَـــى دَاجِيًـــا ... فَاسْأَلْهُ مَنْ يَا لَيْـــلُ حَـــاكَ دُجَاكَـــا

وَإِذَا رَأَيْتَ الصُّبْـــحَ يُسْـــفِرُ ضَاحِيًـــا ... فاسْأَلْهُ مَنْ يَا صُبْحُ صَـــاغَ ضُحَاكَـــا

هَذِي عَجَائِبُ طَالَمَا أُخِـــذَتْ بِـــهَا ... عَيْنَـــاكَ وَانْفَتَحَـــتْ بِـــهَا أُذُنَاكَـــا

يَاأَيُّهَا الإِنْسَـــانُ مَـــهْلاً مَـــا الَّـــذِي ... بِاللَّـــهِ جَـــلَّ جَلالُـــهُ أغرَاكَـــا

أبو همام

هو الشاعر عبداللطيف عبدالحليم من مواليد محافظة المنوفية – طوخ – دلكـــة، يعمل أستاذًا للدراسات الأدبية في كلية دار العلوم ، حصل على العديد من الجوائـز والأوسمة منها جائزة الشاعر محمد فقي وجائزة البابطين، وجائزة الدولة له عـــدة دواوين مطبوعة منها "زهر النار"، و"مقام المنسرح"، "هدير الصمت"، وغـير ذلك. كذلك له عدة بحوث ودراسات في الأدب العربي والدراسات الأندلسية.

نجوى

إذا ما ضمني الليل الحزين تمزني النجـــوى
هنا لا شيء غير سفينتي ضل بهـا المـأوى
وينتحب الشراع يقاوم الإعسار لا يقـوى
وأنت هناك كالأمل الذي في الضفـة القصـوى
يخايل أعين المـلاح والمـلاح في مـهوى
أنيليه شعاع الصبـح إن مسـاءه يلـوى
وكوني الماء كوني النار كوني المر والحلـوى
أحبك فارحمي قلبًا كفـاه بأنـه يـهوى

د.عبد الحميد هنداوي

هو عبدالحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي شاعر معاصر ،ولد في القـــاهرة عام ١٩٦٢م ،وحفظ القرآن صغيرًا على يد والده الشيخ أحمد، وحصـــل علـــى جائزتي الدولة بالعمرة والحج في القرآن الكريم والبحوث الدينيـــة عـــام ١٩٨٠، ١٩٨١ . وتخرج في دار العلوم عام ١٩٨٤ ، وكان أول دفعته بتقدير ممتـــاز مـــع مرتبة الشرف الأولى. ثم عين معيدًا بالكلية في قسم البلاغة والنقـــد الأدبي والأدب المقارن ،ثم حصل على الماجستير في علوم البلاغة العربية ١٩٩١م وعين مدرسًـــا مساعدًا ، ثم عين مدرسًا عام ١٩٩٦م، له عدد من البحـــوث والتحقيقـــات في مجالات عديدة في شتى العلوم العربية والإسلامية، وتربو كتبه المصنفة والمحققة علـــى المائة كتاب نشرتها دور النشر العالمية، وانظر قائمة بهذه الكتب في فـــهارس هـــذا الكتاب.

ليتك تخلعين الحجاب

ليتك تخلعين الحجاب !
ويتوب الله على من تاب
حجابك قد أخفى الإيمان
حجابك ليس له عينان
حجابك قد يبدو أحمر ..
أو أبيض أو أسود ..
ولكن حجابك يا سيدتي ..
أسود كلون الغراب
خداع كما يبدو السراب
ليتك تخلعين الحجاب!
ويتوب الله على من تاب

* * *

بالأحمر تنتقب الشفتان ..
ويحتجب الخدّان
بالأخضر والأزرق والأسود
قد تخفى العينان
ليتك تخلعين الحجاب !
ويتوب الله على من تاب

* * *

حجابك قد غطى قلبك بالران
بحجابك تخفين الإيمان
ليتك تخلعين الحجاب
ويتوب الله على من تاب

حبيبتي !

حبيبتي !
قرأت بعينيك تاريخ القرون
وأودعت سمعك كل الظنون
تمايلت ..فأبدعت كل الفنون
تعاقدنا ..ولكن بغير مأذون
فالعقد لدينا ..
يمنعه القانون
وصداقك آلاف ومئون
ونكحتك :.فحملت
فكان لنا
بناتٌ وبنون

* * *

حبيبتي ..!
أثرت فيك أحاديث الشجون
تكلمي ..
حدثيني حديث الفتون ..
حبيبتي ..!
آه يا واسعة العيون !
آه يا سديلة القرون !
آه يا ذات الشجون !
حبيبتي .. مكتبتي !

غثاء يدعو للغثيان!

غثاء يتبعه الغثاء

كي يدعو للغثيان

يتماسك .. يتعاظل

كي يبدو في حجم الإنسان

يتنافر .. يتساقط

كي يدخل في طور النسيان

يحمله السيل الجارف للوديان

يتفاخر ..يتباهى

أنا فوق السيل الجارف

أنا أعلو فوق الطوفان

* * *

يستشعر سفل الوادي

يستيقن بالذوبان

يغمره السيل فيغرق ..

فينادي ..

أنا أشجب !!

أنا أش ..

أنا أغـــ ..

سبحانك يا طوفان !

أنا صنعة سيلك

أنا دفعة موجك

أنا لست بإنسان

أنا شيء يدعو للغثيان

هدهده السيل وطمأنه ..

أنا لست أبيدك ..

فاليوم أعيدك ..

غثاءً أشبه بالإنسان !!

معذرة ..ليس معي هوية !

خرجت في رحلة بحرية
وذهبت إلى النمور الأسيوية
وعلى باب المدينة قيل لي ..
أين الهوية ؟
فقلت : إنني من بلدة عربية !
ولكن لا أعرف لي هويّة !
هاك بطاقتي
إنها قصاصات شتّى
كتبت بلغات عالمية
بريطانية – أميريكية
فرنسية – ألمانية
بكل لغات البشر ..
وغير البشر ..
حتى اللغة العبرية
وقد تلمح فيها بعض العربية .
يهتز الحارس ضحكا ..
ألقاها في وجهي ..
عفواً ..
ليس لها صلاحيّة !

هذى كل الحيلة ..!

هذى كل الحيلة ..
هذى كلماتي
أسلحتي الثقيلة
أتنقصها التفعيلة ؟
هذى كلّ الحيلة !
معذرة ..
أنا لست بفنان
ولكني إنسان
دعني أتكلم ..
وبأي لسان .

* * *

أنا ما قصدت إلى الشعر
أنا ما أردت بها السحر
أنا ما أردت بها الأجر
أنا ما أردت بها الذكر
ولكن ..صرخة إنسان
زفرة غليان
ولفحة بركان
أدركوا الثائر
قبل فوات الأوان !

دعني أحرر

ناقدنا القابع خلف الجدران !

أولست الباني تلك الجدران ؟

أولست الصانع للفن حدوداً وحواجز خلف القضبان ؟

ووقفت تهدد من يخترق الجدران ؟

سموك الناقد ، ونسونا أنك سجان .

لن أرضخ يوماً للسجان

سأحطم كلّ قيود الفنّ

وسأسعى في فك الأغلال

وسأكتب شعراً في نثر ، وسأكسر كل الأوزان

وسألبس طاقية الإخفا

وسيأتي الشعر وقد أخفى

بجورهْ .. كل الألوان

وسيبحث إذ ذاك السجان

عن قفل أكبر للقضبان

هيهات فقد فات الأوان

كسرنا كلّ القضبان

فتداعت تلك الجدران

والناقد بين النائم واليقظان

يتحسس قفل القضبان

قد ضاع القفل من السجّان

معذرة لعزيزي الناقد

فحدودك ليست في القرآن .

لعلكم تفسقون !

يا أيها المؤمنون !
كتب عليكم الصيام
لعلكم تفسقون !
ويحك يا مجنون !!
لعلكم تتقون
أهكذا تقرأون ؟
نعم !
ولكن ..
هكذا تفعلون ؟
هذا ليلكم ونهاركم ..يا صائمون
رقص ولهو ومجون !
غناء وفسق وعفون !
عفواً ..فنون !

إلى قدس الفدى

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنـــــزل ... بقدس الفدى بين الجنـــوب وشمـــأل

بلاد بهـــا مـــد الســماح جناحـــه ... فعم الورى مـــــن مجدهـــا المتـــأصل

تـــرى عـــش الحمـــام في عرصاتهـــا ... بأغصان زيتـــــون نســـجن ومنـــدل

وقوفا بهـــا صحـــبي علـــى مطيـــهم ... يقولـــون لا تملـــك أســـى وتجمـــل

كـــأني بهـــا والطـــير ينشـــد لحنـــه ... ويرجو ســـلاما كالزمـــان المخـــايل

كأني بهـــا والطفـــل يحفـــظ درســـه ... لـــدى سمـــرات بـــالجليل كبلبـــل

كـــأني بهـــا والشـــيخ يتلـــو ورده ... لدى نســـمات بـــالأصيل وجـــدول

كـــأني بهـــا والأم تحلـــب رســـلها ... وتجني ثمـــارا مـــن بقـــول المحـــاقل

كأني بها والـــزوج ترقـــب زوجـــها ... فيـــأتي عشـــيا بالنيـــاق الحوافـــل

تحية إلى أطفال الحجارة

عمّ البلاء وفاض الضر وانفرجت ... مسافة الخلف بين القول والعملِ
في أرض إيلياء يشكو الطفل من زهق ... من وعد قوم له ببارق الأملِ
قد أسمعوه جميل القول وانصرفوا ... نحو الملاذ بلا عبءٍ ولا خجلِ
يمضي الصغير لصخر الأرض يلقطه ... يرمي به غير هيَّابٍ ولا وَجِلَ
قد يفْجرُ الصخر رأساً يغتلي حسداً ... على العروبة أو يطوى على دَخَلِ
من علّم الطفل قول الحق في الحجر ... أنّ الحجارة قد تَنْحَطُّ من وجلِ
قد يهبط الصخر من خوف لذي رهب ... أو يَفْجُرُ الدمع عند الحادث الجللِ
لكنَّ قوماً بما زادت قلوبهم ... عن جامد الصخر أو عن جلمدِ الجبلِ
ليسوا بني عُرْبةٍ تُرجى مودتهم ... بل لا لآدم في الأوغاد من نَسْلِ

الناس في بلادي (١)

كان الناس قديماً يقرأون القرآن

صار الناس اليوم يقرأون (الجرنان)

كان الناس الفجر يأمون المساجد

صار الناس الفجر يأمون المراقد

كان جدي يجمع أسرتي بعد العشاء

كان جدي يعلمنا صفات الأولياء

مات جدي

أبدلونا بعده هذا الجهاز

علبة من حديد واسمها التلفاز

تلفازنا جهاز عجيب

في كل ساعة

نسمع الأنباء

ونسمع كيل الأكاذيب

تلفازنا ثرثار

تلفازنا يصرخ

تلفازنا يغني

تلفازنا يدوي

بالليل والنهار

تلفازنا يجوب البلاد

ويكشف الفساد

ويكشف الأجساد

يعلم الأولاد

أخلاق الغريب

تلفازنا يا سادة

ما عنده زيادة

يعمل بالنهار

وشمسه لا تغيب

شكوى

شكوت إلىّ مني
فلم أعبأ بنفسي
و لم أعرني
من التفكير ثانية ..لكني
فتحت لها باب التمني
فقلت أيا نفسُ لا تيأسى مني
فلسوف أفعل ما تمنى
ولسوف أصبح كابن جني
ولسوف أترك ذا التدني
فلقد حفظت كتاب ربي
ولسوف أكمل حفظ سنن
ولسوف أدرس فقهها
ولسوف أتقنها كأني
مسلم أو الدارقطني
فقالت لي النفس
كفاك !
حسبك من تمني
فلسوف سوف تسوف الأيام مني
إن كنت ذا بادرة فهيا
فما أراك حديث السنّ !

الناس في بلادي (٢)

الناس عندنا يقرأون الكف
أما أنا فأطالع الحرف
الناس عندنا يسجدون للدجال
ويقرأون سورة الحمد
أما أنا فأقرأ للدجال
سورة الكهف
ويزعم الدجال أن الأمر إلف
ويزعم الدجال أن الناس صف
ويزعم الدجال أن الخير كثر
ويزعم الدجال أن المال ألف
يبشر الدجال بالخير الكثير
ولكن بعد مرور ألف !!

* * *

فرج قريب

أمن المنون وريبها تتوجع ... والدهر ليس بمعتب من يجزع
كم من دواء للنفوس شربته ... ولقد وجدت الصبر يوماً ينفع
فلربما حار الطبيب وإنه ... يشفى بإذن الله مما يوجع
ولربما ظن الشفاء بشربة ... والحق أنك سُمُّها تتجرع
فاصبر لها في النازلات فإنما ... ينجو لدى الهيجاء من يتشجع
واصبر لها إن ضاق رزقك إنما ... قد ضاق ثمة ريثما يتوسع
فالرزق يقْسِمُه المليك وإنه ... مثل السحاب يجيء ثم يُقَشَّع
ولربما رؤي السحاب ببلدة ... ونزوله من حيث لا يتوقعُ

تزاحم

تكاثرت الظباء على خراش ... فما يدري خراش ما يصيدُ
لعمرك إنني أهوي اصطناعا ... لأمجاد تولت ما تعودُ
لعمر الله إن الأمر جدّ ... وتقوى الله غاية ما أريدُ
ومن يطلق صيادا طالقات ... ويطلق دونها ما قد يصيد
فكالخرقاء تنقض غزل عام ... وأرعن بالحماقة يستزيد
و لم أر في عيوب الناس شيئاً ... كمن يحوى حطاما يستزيد
ومن يبن صروحا شامخات ... من الحصباء مهواها أكيد
فدونك صرح مجد لا يزول ... من التقوى لها عزم وطيد

* * *

أقول لها

أقول لها وقد سفرت وجـــالت ... مكانك تحمدي أو تســـتريحي
مكانك تسعدي في ظل عيـــش ... من الإسلام والدين الســـميحِ
مكانك تنـــزلي في ظـــل مجـــدٍ ... من الإيمان والعقـــل الرجيـــحِ
مكانك تحنثـــي في ظـــل زوج ... يقودك-أُختَنَـــا-لغـــدٍ ربيـــحِ
لجنات بعـــدن كـــي تبوئـــي ... بخير منـــازل الـــدار الفســـيح
بجنـــات أعـــدت للواتـــــى ... عرفن الحق بـــالدين الصحيـــح
عرفن شـــريعة الحـــق المبـــين ... فلم يظهرن بـــالثوب القبيـــح
بثوب تـــبرجٍ يكشـــفن فيـــه ... عن الأطراف أو وجه صبيـــح
فحـــيٌّ علـــى مبايعـــة لـــرّبٍ ... وحيّ عليه مـــن بيـــع ربيـــح

* * *

صبرا سليمى

أقول لهـــا إن المنـــون تقلـــب ... فـــتربص بالشـــامتين ليقلبـــوا
ومصائب قد ظـــن أن ذهابهـــا ... كذهاب ظل دائما لا يذهـــبُ
فتضاعفت تلك الظلال عشـــية ... وكذاك تلك مصائب تتـــألب
فتعاظمت حتى ظننت مجيئـــها ... مثنى كذاك الفيء حين يغيّـــب
فتساقطت تلك الهموم لذكـــره ... وتبدلت بالفرح حين تصعّـــب
فتذكـــري لله يغـــني أنـــني ... متيقن باليسر ســـوف يغلّـــب
فلعمر ربك ما البقاء لعســـرة؟ ... يسران يجتذبان عُســـرا يغلـــب
فلسوف تذهب عسرة وهي التي ... أنقضت ظهرك دونما تتقلـــب

* * *

بائعو العلم

يزعجني جلوسك فوق رصيف العلم
تتسول ..
تستجدى هبة السلطان
تتطاول . وتمد الأعناق
تتلق الجائزة الكبرى
جائزة تعطى للخوان
فلتهنك جائزة الرقص
وسأرقص أيضاً بعد ثوان
فسأرقص ثانية عجلى

وسترقص ما دام الملوان
لا تعجب من رقص الحق
فشتان وشتان وشتان
فرقص الباطل فوق الحبل
ورقص الحق بشر زمان
من تحت حبال الموت
أعنى مشنقة السجان

* * *

ما أجمل الكرامة

ما أجمل الكرامة
ما أجمل أن يملك المرء (لا)
عندما تعرض الدنيا أمامه
ما أجمل أن ينطق القلب لا
إذا كان في الفم الكمامة
فلا ضير تغل اليدان
إذا كان القلب ممتلكا زمامة
ولا ضير أن تقطع الرأس منك
إذا كان الفم تعلوه ابتسامة
فإلام تترك باطلا
يعثى الفساد بلا ملامة
وإلام تبقى راقدا
أما مللت من المنامة
وإلام تسكت ساكتا
وإلام خزيكم إلام

وعلام ترضى بالهوان
وتكثر الشكوى علام
فإن لم يكن في المرء فعل
فليت المرء يسمعنا كلامه

* * *

لا زلت أرقب الفجر

لازلت أرقب الفجر وأحلم بالضياء
لازلت أرجوه
من المساء إلى المساء !
فيالك من ليل ما يراد له انجلاء !
ويالك من ليل تفنن في ابتلاء !
ما بين أشباح بوجوه كالحات
وكلاب على الطريق نابحات
ورعود للنفوس زاجرات
وبروق ..
أتراها تأتي بالضياء ؟
ووعود السماء ؟
أتراها فتنة وابتلاء
فينقطع الرجاء
رحماك يارب السماء !

* * *

رحماك يا رب
من شر غاسق إذا وقب
من شر ما فيه من عجب

من شر ذاك الطارق !!

وما أدراك ما الطارق؟

إنه الكلب الثاقب

إن كل نفس لما عليها حافظ

نقيب رقيب لما يلفظ اللافظ

فلنغرق في صمت قاتل

وليعلو صوت الباطل

وليصمت صمت الصامت

فالصامت حيوان عاقل

* * *

صمت صديقي لم يتكلم

قد قرر قتل الليل

ومضي في الخلاء

يخبط في عشواء

وأما أنا

فلا زلت أرقب الفجر وأحلم بالضياء

وسرت أنظر في السماء

واستهدى النجوم لأهتدي إلى وادي الضياء

مقعد شاغر

شغر مقعد بالوزارة
يا لها من خسارة
قد كان ذا جدارة
وكان ذا مهارة
لكنه يا سادة
ذو عفة وطهارة
قد عينوه صباحا
فما أتم نهاره

* * *

مرشحو الوزارة الجدد
خمسون ما فيهم أحد
يحفظ سورة الله الصمد
ما صام يوما ولا يوما سجد

* * *

وفي الخمسين جواظ أشد
لعداوة الإسلام سموه الألد
وكالأذلين : عير أو وتد
قد حاز قصب السبق في اللدد
قالوا فهذا صاحبها . وقد !

* * *

ملومكما

ملومكما يجل عـــن الملام ... ووقع فعاله فـــوق الكـــلام
ذراني والكتاب بلا صديـــق ... وقلبي والقريض بـــلا زمـــام
فإني أستـــريح بـــذا وهـــذا ... وأتعب إن تركت بلا عـــلام
فذاك الصحو مني فيه سكـــر ... بفكر لا بكأس من مـــدام

* * *

رحلة على جواد النفس

وحيدا تغشاني الهمـــوم بغاســق ... تنوء بها الأجبـــال ذات الجلامـــدِ
فيا نفس مهلا إن يومك منقـــضٍ ... بفـــرح وتـــرح مـــا أراه بعـــائد
فقد ترفع الأجبال يومـــا بثلجـــها ... وتضحى نهارا من لهيـــب المواقـــد
وبينـــا ريـــاح مكفـــهر نقيعـــها ... فتمسى وتصفو بالنســـيم المـــوارد
فلا فرح يبقـــى لا و لا ذي للواجـــد ... ولا اليسر مغلوب بهذى المكـــائد
فداوِ جروح النفس إن كنـــت راجيـــا ... لنفسك خـــيراً بالمعـــاد المعـــاود
فقد تمتلي نفسي لـــدى نزغاتهـــا ... بشر شـــديد كالشـــرود المعـــاند
وتكتظ نفسي بالهموم إلى الحشـــا ... وتغلي دمائي من ســـفاهة حـــاقد
وتختال نفسي من مديـــح لمـــادح ... وتزهو اغترارا من نصيب مزايـــد
فدع عنك نفســـا إن نفســـك شـــارد ... فللنفس ثـــوّرات تثـــور بجـــارد
ودع عنك مرضاة النفوس فإنمـــا ... خئوون ، وما كان الصديـــق بكـــائد
وإن تبتغي نصحا فنفســـك فـــاجتب ... ولا تحسبنها بـــالنصوح المجـــاهد
وقد أتناسى الهمّ عنـــد احتضـــاره ... بتذكـــار أذكـــار ولمحـــة عـــابد
فأسلو بذاك الخير عـــن رغباتهـــا ... فتغدو جـــواداً حزتـــه لشـــدائد
سبوحا لها من صهلها صوت أنّـــة ... بعيد صداها في بحـــار المســـاجد

ويعلو نشـــيج في الحلـــوق فإنـــه كأصوات قدر أوقـــدت بمواقـــد
فغادرت أهـــلا بـــالبلاد وشـــيعة وأهلكت مالي من طريف وتـــالد
وجاوزت أحراسا إليك ومعشـــرا على شدادا لـــو يســـرون مفقـــد
فياليت شعري هل أفـــوز بنظـــرة ويا ليت شعري هـــل إلى ذاك محفـــدي
ينال رضا ربي فـــأدرك حـــاجتي وأهدي سبيلي للطريـــق الموحـــد

* * *

الاستعداد ليوم الرحيل

دع عنك سلمى إن ســـلمى ظـــاعن واذكر معادا قـــد دنـــا للغـــافل
ودع زمان اللهو إن اللـــهو مـــا يقضي ديونـــا أثقلـــت بالكـــاهل
واذكر وقوفا بـــالصعيد الجـــامع عند المليـــك الحـــي رب عـــادل
إذ كورت شمـــس النـــهار فيالهـــا من موقد قد أوقـــدت للداخـــل
هذى النجوم الغر قد صارت بهـــا سودا غذتهـــا باللـــهيب الشـــامل
هذا مقام الخلـــق طـــرا يومـــها ذاك المقام الحق هل مـــن عـــامل